

مدخل إلى علم اللغة

LARB1263



المحتويات

المقارنة بين علم اللغة وفقه اللغة:

الدراسة والهدف منها عند العرب وغيرهم

عناصر الدرس

تعريف مصطلح فقه اللغة

فقه اللغة: هو دراسة اللغة من جوانبها الأربعة كوسيلة لدراسة الثقافة والأدب وخدمة للقرآن الكريم.

وجوانب اللغة أربعة وهي: الجوانب الصوتية، والجوانب الصرفية، والجوانب النحوية، والجوانب الدلالية.

تعريف مصطلح علم اللغة

من المصطلحات العلمية التي ظهرت في العصر الحديث هو مصطلح علم اللغة.

تعريفه: هو دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها.

إن علم اللغة لا يهدف إلى خدمة القرآن الكريم، بل يدرس اللغة بدون أي عامل خارجي. كما أنه لا يدرسها هادفًا إلى ترقيتها، أو إلى تصحيح جوانب منها أو تعديل آخر. بل عمله قاصر على أن يصفها ويحللها بطريقة موضوعية.

كما لا يهتم علم اللغة بلغة معينة مثل: الفرنسية، أو الإنجليزية، أو العربية، إنما يهتم باللغة التي تظهر وتتحقق في أشكال لغات كثيرة، ولهجات متعددة.

الفرق بينهما في الغرض والهدف

لقد اختلفت الآراء في الفرق بين هذين المصطلحين، فقد اقتسم العلماء على رأيين:

١. ذهب بعضُ العلماء إلى القول بأن مصطلح "فقه اللغة" يرداف نظيره "علم اللغة".

٢. وذهب فريقٌ آخر من العلماء إلى أن "علم اللغة" أعم من فقه اللغة، و"فقه اللغة "أخص من "علم اللغة" يعني أن "علم اللغة" يشمل "فقه اللغة" وزيادة.

الدليل على القول الأول: أن مباحثهما متداخلة عند علماء المشرق والمغرب قديمًا وحديثًا، نجد مثلًا: هذا مؤلف في "علم اللغة"، وذاك مؤلف في "فقه اللغة"، والمباحث هي: البحث عن اللغة الإنسانية الأولى، والبحث في الفصائل اللغوية، والبحث في الاشتقاق، في التضاد، في الترادف، في النحت... وما إلى ذلك، فصائل اللغات هنا وفصائل اللغات هناك، اللغة العربية في "فقه اللغة" واللغة العربية في "علم اللغة"، مميزات اللغة العربية في "علم اللغة" ومميزات اللغة العربية في "فقه اللغة"، فالمباحث متداخلة في كلا العلمين، ولذلك قالوا: إنهما علمٌ واحدٌ.

دليل الذين قالوا إن بينهما فرقا: أن العلماء القدامى لم يكن عندهم المقارنة بين اللغات مثل الدراسة الحديثة -الفصائل اللغوية وما إلى ذلك- فيقولون بأن "علم

اللغة" أعم من "فقه اللغة" ؛ لأن مباحث "فقه اللغة" ما هي إلا جزءٌ من مباحث أعم وأشمل هي مباحث "علم اللغة".

والراجح: أن "علم اللغة" يرادف نظيره "فقه اللغة"؛ لأن المباحث متداخلة عند علماء المشرق والمغرب قديمًا وحديثًا. ولكن الفرق بينهما في الهدف والغرض.

الغرض من دراسة فقه اللغة، وعلم اللغة

هدف فقه اللغة: الغرض والهدف من دراسة هذه الجوانب في "فقه اللغة" هو: دراسة اللغة كوسيلة لدراسة الثقافة والأدب وخدمة للقرآن الكريم ؛ لأن الدراسات اللغوية لم تقم عند العرب إلا خدمة للقرآن الكريم، لم تقم دراسة النحو إلا خدمة للقرآن الكريم، لم تقم دراسة البلاغة إلا خدمة للقرآن الكريم، لم تقم دراسة القواعد إلا خدمة للقرآن... وهكذا. يقول أبو عمرو بن العلاء: علم العربية هو الدين بعينه، يعني: لم تقم الدراسات اللغوية إلا خدمة للقرآن الكريم.

وهدف علم اللغة: والغرض من علم اللغة، هو -أيضًا-: دراسة اللغة من جميع جوانبها -الجانب الصوتي والجانب الصرفي والجانب النحوي والجانب الدلالي- ولكن دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها، يعني بقطع النظر عن أي عامل خارجي ؛ لنتوصل إلى أحكام، هذه الأحكام تصدق على اللغة، يعني: أحكام تندرج تحتها الظواهر اللغوية وتطبق عليها، بقطع النظر عن هذه الظاهرة ما استنبطناه أو ما استخلصناه من القرآن الكريم، أو من الحديث النبوي الشريف، أو من القراءات القرآنية، بقطع النظر عن أي عامل خارجي.

وخلاصة القول في الفرق بين المصطلحين: أن "علم اللغة" يقطع صلته بالقرآن الكريم، وبالقراءات القرآنية، وبالحديث الشريف، هو يدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، إنما "فقه اللغة" يدرس اللغة بقصد التوصل إلى أحكام وقواعد مستنبطة في الأساس من القرآن الكريم، ومن الحديث النبوي الشريف، ومن كلام العرب شعره ونثره.

أخي طالب العلم هناك سؤال! مَن هو أول عالم في العرب سمى الدراسات اللغوية (فقه اللغة)؟

أول مَن سمى الدراسات اللغوية بـ"فقه اللغة" عند العرب هو أبو الحسين أحمد بن فارس.

فروع علم اللغة

عناصر الدرس

من فروع علم اللغة النظري : علم الأصوات

ينقسم "علم اللغة" إلى قسمين :

القسم الأول : "علم اللغة النظري" وهو العام.

القسم الثاني : "علم اللغة" التطبيقي.

أولًا : "علم اللغة النظري" وفروعه هي :

١. علم الأصوات ؛ لأننا قلنا بأن "علم اللغة" هو دراسة اللغة من جميع جوانبها ، أول جانب هو الجانب الصوتي ، ودراسة الأصوات لها علمٌ خاصٌّ هو علم الأصوات يندرج تحت "علم اللغة النظري" ، وعلم الأصوات يمكن أن نقسمه إلى قسمين : دراسة مخارج الأصوات وصفاتها وكيفية صدورها ، وعلم الفونيمات.

علم مخارج الأصوات :

ويدرس الأصوات من حيث مخارجها ؛ يعني أن صوت الدال من حيث إنتاجه هو صوت مجهور ، وصوت صامت ليس صائتًا ؛ لأن عندنا الأصوات الصائتة هي ما تسمى في العربية بالحركات ، وهي أصوات المد واللين ، يعني الحركات : الفتحة والضمة والكسرة ، عندما تكون قصيرة -فتحة ضمة وكسرة- نسميها أصوات لين قصيرة ، والألف والواو والياء عندما تكون طويلة ، يعني : الفتحة عندما تمدّ تصبح صوت لين طويل ، الضمة عندما تمد تصبح صوت لين طويل ،

الكسرة عندما تمد تسمى صوت لين طويل، عندنا مثلًا فتحة نقول: "بَ" "بَ" "بَ" يعني صوت الفتحة صوت لين قصير، لكن عندما نقول: "با" صوت لين طويل، "بَ" فتحة زائدة يتولد عن الفتحة ألف مثلًا: "ضربَ" نقول: "ضارب" إذن الفتحة تولد عنها الألف أصبحت ألفًا عندنا، مثلًا: "قال" "قا" صوت لين طويل، "قال" مد طبيعي بمقدار حركتين، و"يقول" مددنا الضمة فتولد عنها واو "يقولوا" قال - يقول، الياء "يَقيل" أو "يُقيل" إذن المد الكسرة تولد عنها ياء، نقول: "قال" الفتحة تولد عنها ألف، "يقو" الضمة تولد عنها واو "يقول" لأننا لو قلنا: "لم يقل" فإن الضمة هي ضمة فقط "حركة قصيرة"، لكن "يقول" ضمة تولد عنها صوت لين طويل "يقول" واو، و"يقيل" فكسرة تولد عنها ياء؛ إذن هناك أصوات لين قصيرة وأصوات لين طويلة، وهي الحركات: الفتحة والضمة والكسرة، وعلم الأصوات يبحث هذه الأصوات، أي يقول: إن هذه الحركة تمد بمقدار حركة واحدة هي الفتحة والضمة والكسرة إنما عندما تكون صوت لين طويل تمد بمد طبيعي بمقدار حركتين. لكن عندنا في التجويد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] تمد صوت اللين ثلاثة أو خمسة أو ستة.

فعلم الأصوات هو علم يبحث في الأصوات من حيث مخارجها، ولمعرفة مخرج الصوت: ننطق الصوت ساكنًا وقبله إما همزة مفتوحة وإما همزة مكسورة، عند سيبويه همزة مكسورة، نقول: مخرج الباء "إبْ"، أو عند الخليل "أبْ" الصوت ساكن وقبله حركة مفتوحة.

وعندما نتذوّق صوتًا من الأصوات، نقول: "أقْ" "أبْ" "أتْ" "أجْ"، نتعرف على مخرجه عندما نقول: "أدْ" أو "إدْ" طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا "أدْ". عندما نقول: "أجْ" وسط اللسان مع ما يقابله من الحنك الأعلى، مخرج الصوت هو

نقطة التقاء العضوين أو نقطة تقارب العضوين، يعني: التقاؤهم التقاءً محكمًا أو التقاء غير محكم، في حالة التقاء المحكم نقول: الصوت شديد، الالتقاء غير المحكم نسميه صوتًا رخوًا عندما نقول: "إذْ" "إشْ" التقاء غير محكم، عندما نقول: "إجْ" التقاء محكم، صوت شديد، عندما نقول: "إقْ" "أكْ" التقاء محكم نسميه صوتًا شديدًا. نبحث في الصوت من حيث المخرج ومن حيث الصفات، يعني: صوت شديد، صوت رخو، صوت مجهور، والصوت المجهور يعني: أنه يهز الأوتار الصوتية، وعندنا الأوتار الصوتية هنا أو الحبال الصوتية هما رباطان مرنان يمتدان أفقيًّا من الخلف إلى الأمام يلتقيان عند البروز الحنجري المسمى بتفاحة آدم، هذان الرباطان المرنان يسميان الأحبال الصوتية أو الوتران الصوتيان، عندما يكون الصوت مجهورًا يقتربان من بعضهما، ويحدث فيهما اهتزاز، فنسمي الصوت نتيجة لهذا الاهتزاز صوتًا مجهورًا، أما إذا خرج الصوت ولم يؤثِّر في الأوتار الصوتية باهتزاز بأن ابتعد الوتران عن بعضهما نسمي هذا الصوت صوتًا مهموسًا. والأصوات المهموسة مجموعة في: "سكت حثه شخص" والقاف والطاء عند المحدثين؛ لأن الطاء والقاف في الدراسات الحديثة وجد أنهما لم يؤثِّرا في الأوتار الصوتية بالاهتزاز. أما سيبويه فقال بأن الطاء والقاف صوتان مجهوران، ويجوز أن تكون الطاء والقاف قد تطورتا، فكانا ينطقان قديمًا بحيث إنهما يؤثران في الأوتار الصوتية أما حديثًا فلا يؤثران في الأوتار الصوتية.

فعلم الأصوات علم يدرس مخارج الأصوات، يقول بأن صوت الدال يخرج من نقطة التقاء العضوين، موضع التقاء عضوي النطق هو مخرج نسميه مخرج الصوت، يعني: "إدْ" طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، "إجْ" وسط اللسان مع ما يقابله من الحنك الأعلى، "إقْ" أقصى اللسان مع ما يقابله من الحنك الأعلى، "إكْ" أقصى اللسان مع ما يقابله من الحنك الأعلى، مما يلي الفم.

إذن نبحث صحيح الصوت أو المادة الأصلية للصوت، هي النفَس، يخرج من الرئتين أولًا، ثم يذهب من الرئتين إلى الحنجرة، والأوتار الصوتية هي الأساس في مصدر الصوت، ومصدر الصوت هو الحنجرة، والحنجرة متسعة مكونة من أربطة وعضلات وفيها الوتران الصوتيان؛ ولذلك لو أن شخصًا أجرى عملية وشاهدناها فطبعًا سينقطع الصوت؛ لأن صوت الوترين الصوتيين هما أساس الصوت؛ ولذلك نقول: مصدر الصوت الإنساني هو الوتران الصوتيان أو نقول: الحنجرة؛ لأن الحنجرة هي التي بها الوتران الصوتيان.

أول شيء ندرسه في فروع "علم اللغة" هو علم الأصوات، علم الأصوات من حيث المخارج، يعني: إنتاج الصوت، ومن حيث الصفات، يعني: هذا الصوت مجهور، هذا الصوت مهموس، هذا الصوت رخو، هذا الصوت شديد،... إلى آخره.

علم الفونيمات:

أيضًا ندرس من فروع "علم اللغة النظري" "علم الفونيمات"، الفونيم هو: صوت أصيل نشأ منه صوتان أو أكثر دون أن يكون للاختلاف أثر في المعنى، يعني عندنا القاف نقول: "قال"، ونقول في اللهجة البدوية أو في لهجة الأرياف هنا في القاهرة: "آل"، في أرياف مصر: "جال" و"قال"، وفي السودان "غال" تتحوّل القاف في اللهجة الدارجة إلى غين يقولون في "قد": "غد"؛ إذن القاف فونيم، القاف الأصيلة صوت أصيل نشأ منه صوتان أو أكثر، فالقاف والجاف والغين أصوات نسميها في علم الأصوات متغيرات صوتية، نشأ من صوت القاف صوتان أو أكثر دون أن يكون للاختلاف أثر في المعنى، فالسوداني عندما يقول:

"غد" يعني "قد"، والريفي عندما يقول في "قال": "جال" أو البدوي "چال"، عندنا الجيم الفصيحة فونيم، الجيم الفصيحة جيم نطقها فصيح، وفي سوريا وفي لبنان يقولون: "چاء" يعطشونها أكثر "جاء" وفي القاهرة يقولون: "جاء" الجيم والچيم والجيم الفصيحة، الصوت الأصيل هو الجيم، هو الفونيم الفصيح، نشأ منه صوتان الجيم –المعطشة- ونشأ صوت الجيم - القاهرية- إذن الفونيم هو صوت أصيل نشأ منه صوتان أو أكثر دون أن يكون للاختلاف أثر في المعنى.

ونعني بالفونيم المتغيرات الصوتية، وهي طبعًا تتصل بالقراءات القرآنية، عندما نقول مثلًا في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ ﴾ [القصص: ٢٣] نقول: ﴿ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ ﴾ الإشمام هو -عند حمزة والكسائي- فونيم، إن أنا أنطق الصوت بين الصاد والزاي أو بالزاي المفخمة هذا فونيم، يعني: متغير صوتي، تغير صوت الصاد إلى زاي مفخمة يدخل معانا في دراسة الفونيمات.

إذن علم الفونيمات هو علم يبحث في الفروق الوظيفية بين الأصوات فيتناول الوحدات الصوتية -الوحدات النطقية- والمتغيرات الصوتية. قلنا: الفونيم صوت أصيل نشأ منه صوتان صوت أصيل هي وحدة نطقية، الباء وحدة نطقية، القاف وحدة نطقية، أيّ حرف من حروف الهجاء وحدة نطقية، الدال وحدة نطقية، الجيم وحدة نطقية، القاف وحدة نطقية، المتغيرات الصوتية لهذه الأصوات: صوت القاف له متغيرات هي "جاف" أو يقولوا فيها: "قاف" تتغير الأصوات بحسب اللهجات، فالقاف عندنا في الفصحى وتغيير في السودان إلى غين، وتتغير في القاهرة إلى همزة يقولون في "قال": "آل" فتتغير إلى همزة متغير صوتي.

إذن علم الفونيمات هو علم يبحث في الفروق الوظيفية بين الأصوات، فيتناول الوحدات الصوتية، وهي الحروف -أي الأصوات-: الباء الدال الجيم القاف...

إلى آخره، والمتغيرات الصوتية، أي: صوت الجيم -الجيم الفصيحة- والجيم القاهرية، والجيم في اللهجة السورية وهكذا نسميها متغيرات صوتية.

علم الأصوات الفيزيائي:

أيضًا يدخل تحت "علم اللغة النظري" علم الأصوات الفيزيائية، ويبحث هذا العلم في الظواهر الصوتية، اختلاف درجات الصوت، وتعدد الدرجات، ونوعها، واشتقاقها، وانتقالها إلى الأذن، والعوامل المؤثرة، يعني نبحث في صوت المرأة، فصوت المرأة صوت حاد؛ لأن ذبذباته كثيرة، أكثر في الثانية، صوت الرجل صوت غليظ أو صوت عميق؛ لأن الذبذبات ذبذبات قليلة؛ لأن الوترين الصوتيين في الرجل يكونان طويلين ومرتخين فيهم ارتخاءهم، أما المرأة فالوتران الصوتيان قصيران ومشدودان وبالتالي الذبذات تكثر، عندما تشد الطبلة في الشمس يقصر الوتران الصوتيان، عندما يقصر الوتران الصوتيان في الإنسان تكون عدد الذبذبات كثيرة وهذا عند المرأة، أما في الرجل فيكون الوتران الصوتيان مرتخيين والطفل كذلك؛ لأن الطفل أيضًا يكون الوتران الصوتيان لديه قصيرين ومشدودين، لكن عندما يصل الطفل إلى مرحلة البلوغ يطول الوتران الصوتيان، ويتضخمان ويرتخيان، وصوت الطفل يغلظ ويصبح من الرجال؛ إذن لدى الأطفال والنساء عدد الذبذبات الصوتية أكثر؛ ولذلك نسميه صوت حاد، أما صوت الرجل فالوتران الصوتيان يكونان مرتخيين؛ وبالتالي عدد الذبذبات أقل؛ ولذلك نسميه صوت عميق.

إذن علم الأصوات الفيزيائي يبحث في شدة الصوت، وانتقاله إلى الأذن، ويبحث في الأذن، مكونة من صيوان الأذن، ومن صماخ الأذن، ومن الأذن

الداخلية، ... وهكذا؛ إذن ندرس في علم الأصوات الفيزيائي الصوت، وانتقال الصوت أيضًا من فم الإنسان إلى الأذن، ونقول: إن انتقال الصوت من فم الإنسان إلى الأذن غالبًا وعبر الهواء، إنما في غير الغالب ممكن أن تنادي على شخص من خلف جدار فيسمعك ينتقل برده الصوت في وسط صلب، أيضًا قد يكون الناقل غازي الوسط، إنما الغالب هو الهواء.

علم الأصوات الوصفي، ويقابله علم الأصوات المعياري، وعلم الأصوات الوصفي أو الدراسة الوصفية أننا ندرس الصوت من حيث وصف هذا الصوت، من حيث ما هو كائن -يعني موجود- أما عندما ندرس الصوت دراسة معيارية فندرس الصوت من حيث ما ينبغي أن يكون عليه الصوت، يعني القاف لا بد أن ننطق هذا الصوت كما ينطق قديمًا، ننطق الدال والراء أيضًا كما كانت تنطق قديمًا، أي أننا ننطق الصوت كما يجب أن ينطق.

إنما عندما ندرس علم الأصوات الوصفي ننطق الصوت كما هو أو نَصِفُه كما هو، فمثلًا "ثعبان" نقول في اللهجة القاهرية: "تعبان" فنحول الثاء إلى تاء، وهذا طبعًا دراسة وصفية، أنا أقول: إنه إفلاس علمي لا بد أن ننطق الصوت كما يجب ولا بد أن نعلل لماذا نُطِقَ هكذا.

علماؤنا القدامى: الخليل بن أحمد، وسيبويه، وابن جني، ... وما إلى ذلك، كانوا يدرسون اللغة، وكانوا يعللون ويحللون يقول: كذا لكذا، عندما نجد قاعدة من القواعد يعللون لها، اسمها "الدراسة المعيارية"، يعني: أنه يعلل، وأنه يأتي بالصوت كما ينبغي أن يكون. إنما الدراسة الوصفية: وصف الصوت كما

هو موجود لا كما ينبغي أن يكون ؛ ولذلك نقول فيه نحو وصفي ونحو معياري ، هو دراسة الأصوات أيضًا دراسة وصفية ودراسة معيارية ، وصفي يعني : يصف الصوت كما هو ، لهجة القاهرة تقول كذا ، إذن ننطقها كدراسة وصفية دون أن نعلل أو أن نفسر ، أما الدراسة المعيارية فننطق الصوت كما ينبغي أن يكون الصوت ونعلل.

إذن الدراسة الوصفية هي دراسة الصوت كما هو تغير الصوت وندرسه كما هو ؛ لذلك نجد بعض المستشرقين يدرس اللهجات الدارجة وأصل هذه اللهجات كان اللغة العربية الفصحى ، ثم انحرف ، فهناك فرق بين الدراسة الوصفية والدراسة المعيارية : دراسة علمائنا العلماء -جزاهم الله خيرًا- كانت دراسة معيارية ، يعلل ويفسر. أما الدراسة التي جاءت لنا عن طريق المستشرقين بوصف هذا الصوت هذه الدراسة سطحية ، يدرس الأصوات من حيث وجودها الآن ، يعني في الكلام العادي يصف الأصوات كما هي في الكلام في اللهجات المحلية ، إنما نحن في الدراسة المعيارية الأصوات كما ينبغي أن تكون ؛ لأننا نحافظ على اللغة العربية ؛ لأن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ، وكما قال أبو عمرو بن العلاء : "علم العربية "هو الدين بعينه".

علم الأصوات التاريخي :

كما يدخل معنا من فروع "علم اللغة النظري" علم الأصوات التاريخي ، كما نتكلم عن صوت الطاء والقاف وصوت الطاء وصفه سيبويه والخليل بأنه صوت

مجهور، ثم أصبحت الآن مهموسة، يعني بإدخالها في المعامل الصوتية أصبح صوت الطاء مهموسًا لا يهز الأوتار الصوتية. ولكن عند سيبويه كان صوتًا مجهورًا، أي: يهز الأوتار الصوتية، أيضًا صوت القاف كان قديمًا مجهورًا، يهز الأوتار الصوتية، تطور إلى أن أصبح صوتًا مهموسًا.

علـــــــم الدلالـــــــة

وهو أيضًا من فروع "علم اللغة النظري" وهو علم الدلالة، ويدرس العلاقة بين الرمز اللغوي ومعناه، والكلمة رمز لمعناها، والجملة رمز لمفهومها أو مضمونها، وعلم الدلالة يدرس العلاقة بين الرمز اللغوي وبين معناه، ثم يتتبع تطور المعاني والمجاز اللغوي والعلاقات بين كلمات اللغة، هذا طبعًا مجمل، وسنوضحه فيما بعد، وعلم الدلالة يدرس العلاقة بين الرمز اللغوي كالكلمة مثلًا، فالكلمة رمز تدل على معناها، والحرف أيضًا، ولدينا حروف اسمها حروف المعاني في اللغة العربية وفيه حروف المباني، أما الحروف التي لها معنى فهي حروف المعاني؛ يعني كلمة "لا" تدل على "لا" أي أنني أنفي كلمة. فحرف "هل" يدل على: "أستفهم" لم يدل على أنفي. إذن فحروف المعاني هي الحروف التي لها معنى، وهناك حروف مباني هي: الباء التاء الثاء... إلى آخره، اسمها حروف مباني، إذن فالكلمة رمز لمعناها، أيضًا الحرف الذي له معنى رمز لمعناه، "لا" "لم" رمز للنفي، أيضًا "هل" رمز لأستفهم، والجملة أيضًا رمز لمفهومها.

علـــــــم القواعـــــــد

وعلم القواعد فرع من فروع علم اللغة النظري، ويدرس الضوابط اللغوية التي يمارسها شعب ما في استعمال لغته، كلامًا أو كتابةً، ويشمل علم القواعد: علم الصرف وعلم النحو. وعلم الصرف وهو الذي يعنى بتركيب الكلمة؛ من أحرفها، ومن حركاتها، وسكناتها، ويشمل أيضًا علم النحو الذي يُعنى بتركيب الجمل.

أي أن: علم الصرف يعنى بتركيب الكلمة فَعَل فاعلة، مفعول، فاعل، فعال، كلمة مكونة من أحرف ومن حركات، ومن سكنات، عندما نقول: كاذب ونقول -مثلًا-: كذاب، هذه الصيغة لها معنى، وتلك الصيغة لها معنى آخر. إذن تركيب الكلمة هذا يُعنَى به علم الصرف، وتركيب الجملة يعنى به علم النحو.

يعني: حضر محمد فَعَلِيٌّ، حضر محمد ثم علي، حضر محمد إلى القاهرة، أعطيتك، أعطيتكه، علاقات نحوية، عندما نقول: "ثم" "إلى" "الباء"... كذا، علاقات نحوية تربط بين الجمل، هذا يدخل في صميم علم النحو. فعلم الصرف يهتم بالكلمة، والكلمة: لبناتها هي الحروف، والحروف محركة.

علم النحو يعنى بالجمل وترتيب الجمل، وترتيب الكلمات بعضها مع بعض، من صميم علم النحو.

ولذلك نقول: دراسة التراكيب مختصة بعلم النحو، إنما الكلمة بهيئتها وبحركاتها وسكناتها من اختصاص علم الصرف، نسمي الاثنين "علم القواعد".

علم اللغة التطبيقي، ومن فروعه: تعليم اللغات، وصناعة المعاجم

يتفرع علم اللغة التطبيقي إلى:

١ - "تعليم اللغات" و"صناعة المعاجم":

نأتي بعد ذلك إلى فروع علم اللغة، وقد تحدثنا -فيما سبق- عن فروع علم اللغة النظري؛ فتحدثنا عن الأصوات، وتحدثنا عن الفونيمات، وتحدثنا عن علم الأصوات الفيزيائي، وعلم الأصوات الوصفي، وعلم الأصوات المعياري، وعلم الأصوات التاريخي، وعلم الدلالة، وعلم القواعد، ونتحدث الآن عن علم اللغة التطبيقي، وهو الفرع الثاني من علم اللغة؛ لأن علم اللغة يتنوع إلى نوعين: علم لغة نظري، وعلم لغة تطبيقي.

وأول فرع من فروع علم اللغة التطبيقي: تعليم اللغات:

يدخل في تعليم اللغات لغير الناطقين -مثلًا- بالعربية: كيف يتعلم الطفل اللغة؟ كيف يتعلم غير العربي اللغة العربية؟ كيف يتعلم العربي اللغة الإنجليزية؟... وما إلى ذلك.

أيضًا من فروع علم اللغة التطبيقي صناعة المعاجم، وتشتمل هذه الصناعة أو هذا الفن على خطوات، هذه الخطوات هي:

أولًا: جمع المعلومات والحقائق، فنقوم بجمع هذه المعلومات والحقائق.

ثانيًا: نختار المداخل، نبدأ بكلمات مستعملة، والشوارد والنوادر نهايةً طبقًا لنظام معين، يعني: نظام القافية، نظام الألفباء الهجائية العادية، نقوم بترتيب المداخل.

كان قديمًا يوجد ترتيبات أخرى، مثل الترتيب حسب المخارج، فلاقوا فيه صعوبة، وترتيب حسب التقليبات الصوتية، وترتيب حسب التقليبات الأبجدية، بحسب القافية، فابن فارس عندما صنع معجميه -(المقاييس) و(المجمل)- رتب -أيضًا- ترتيبًا يختلف عن الأبجدية العادية؛ لأنه لا يبدأ بعد الحرف الأول إلا بالذي يليه، فهذه -طبعًا- وجدوا فيها صعوبة، وانتهى الأمر إلى الترتيب الأبجدي؛ لأن أسهل ترتيب هو ترتيب الأبجدية العادية: أبجدية ناصر بن عاصم، هي: ألف، باء، تاء، ثاء... إلى آخره. إنما فيه أبجدية أخرى؛ الأبجدية الفينيقية، ترتب لها الفصول الدراسية أو المدرجات، مدرج "أ" هي "أبجد هوز حطي كلمن..." إلى آخره؛ لأن الفينقيين هم الأصل في اختراع الأبجدية، ولهم الفضل في هذا. تركنا أيضًا الأبجدية الصوتية، هي الترتيب الأبجدي الصوتي، اخترعه الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ لأن فيه صعوبة في ترتيب المعاجم.

ثالثًا: كتابة المواد.

رابعًا: نشر النتاج النهائي، هذا النتاج يسمى معجمًا أو قاموسًا؛ لأن كلمة "قاموس" من صنع الفيروز آبادي لمعجمه (القاموس المحيط) فسمى المعجم قاموسًا، ومن عهد الفيروز آبادي أصبحت كلمة معجم ترادف كلمة قاموس، وهو: كتاب يحتوي على كلمات منتقاة، مرتبة -عادةً- ترتيبًا هجائيًّا مع شرح لمعانيها، ومعلومات أخرى ذات علاقة بها، وهناك معجم موسوعي يحتوي على نواحٍ حضارية وتاريخية، يعني: مادة من المواد. ولو صادفنا مصطلحًا مشهورًا نتكلم عنه أيضًا، ولو صادفنا عالمًا من العلماء أو مشهورًا من المشاهير نتكلم

عنه، مثلًا: معجم أكسفورد في اللغة الإنجليزية، ومعجم اللغة الفرنسية، وعندنا أيضًا (المعجم الكبير) لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، يحتوي على بعض المعلومات الحضارية أيضًا، والمعالم التاريخية.

والصناعة المعجمية تعتمد على علم المفردات؛ سواء كانت هذه المفردات مصطلحات أو مفردات لها دلالات خاصة أو ما إلى ذلك، إذن علم المفردات وعلم المعاجم يتصلان اتصالًا وثيقًا ببعضهما، ولكنهما لَيْسَا شيئًا واحدًا، صحيح أن هناك اتصالًا وثيقًا، والاثنان مرتبطان ببعض لا ينفصلان.

من فروع علم اللغة التطبيقي: علم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي

نأتي بعد ذلك علم اللغة النفسي، يدخل في فروع علم اللغة التطبيقي:

علم اللغة النفسي: يبحث في طريقة اكتساب اللغة الأم، يعني: عندما يبدأ الطفل في الكلام، طريقة اكتسابه من المحيطين به، يعني: من أبيه وأمه، ومن المخالطين له، ويبحث في طريقة اكتساب اللغة الأم، وهي اللغة الأصيلة للطفل، أو لغة والديه، يبحث في طريق تعليم الطفل للغة الأجنبية، والعوامل المؤثرة في هذا التعليم.

وكما يبحث عن عيوب النطق لهذا الطفل، وعلاجها، يعني: الطفل مثلًا ألثغ - ينطق أصواتًا محرفة أو أصواتًا بها عيوب- وعن علاج هذه العيوب، والعوامل النفسية والعقلية المصاحبة للمهارات اللغوية، والمهارات اللغوية مثل مهارة الكلام، مهارة لغة، مهارة استماع، فعلم اللغة النفسي يبحث في هذه المهارات؛ كيف يتكلم الطفل؟ كيف يستمع الطفل؟ العوامل المؤثرة في هذا الكلام، يعني: علاقة النفس الإنسانية باللغة، وما إلى ذلك.

من فروع علم اللغة التطبيقي أيضًا: علم اللغة الاجتماعي:

وهو يبحث في تأثير العوامل الاجتماعية على الظواهر اللغوية، فيه لغة للبدو، فيه لهجة للحضر، فيه لهجة ثقافية، كل طبقة لها لهجة، لهجة الطبقة العليا من المجتمع هم علية القوم، التجار لهم لهجة، النجارون لهم لهجة، حتى اللصوص لهم لهجة، إذن كل فئات المجتمع كل فئة من فئات المجتمع لها لهجة، ولذلك نقول: لهجة فصحى، ولهجة فصيحة، ولهجة دارجة، ولهجة عامية، لهجة سوقية، المتوغلة في العامية حتى قديمًا كان اللهجة الفصحى هي القرشية، وفيه لهجة قريبة من الفصحى كانت اللهجة التميمية، وفيه لهجة بعيدة عن الفصحى كانت هي لهجة قضاعة، لهجة كشكشة، ربيعة ومضر، كشكشة بكر بن وائل، فحفحة هزيل، هذه كلها لهجات.

علم اللغة الاجتماعي يبحث في تأثير العوامل الاجتماعية على الظواهر اللغوية، كما يبحث عن مشكلات اللهجات الجغرافية، يعني لهجة من اللهجات، الجزيرة اللغوية: منطقة داخل لهجة معينة، يعني قرية من قُرَى الشرقية، الزنكلوني نسميها الجزيرة اللغوية؛ لأنها تتفق مع لهجة الشرقية في الظواهر اللغوية، إلا في ظاهرة واحدة، قلب الكاف شينًا، يقولون في الكلب: شلب، وغير هذه الكلمة.

يهتم أيضًا بتأثير المجتمع في اللغة، كما يهتم أيضًا بالازدواج اللغوي، بالفروق اللهجية، والتأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع، كما أن إنسانًا يتكلم اللغة العربية، ثم يُدخل بعضَ الكلمات الأجنبية، وما إلى ذلك.

من فروع علم اللغة التطبيقي : علم اللغة الآلي

شكركم، إذن معنى الرزق الشكر، وقد انتقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنًى جديد.

واللفظ قد يضيق معناه، وقد يتسع، وقد يرقى معناه، وقد ينحط، وهذا اسمه تطور الدلالة، فمثلًا عندنا كلمة: الكعبة. الكعبة هي في الأصل لكل بيت مربع الجوانب، فأصبحت الآن تطلق على البيت الحرام بمكة المكرمة، ضاق معناها أم اتسع؟ بالطبع ضاق معناها؛ فأصبحت هذه الكلمة لا تطلق إلا على البيت الحرام.

أيضًا من تطور الدلالة: اتساع المعنى، فكلمة "السُّفرة" كانت في الأصل هي طعام المسافر، وما يُحمل فيه هذا الطعام، فأضحت الآن تطلق على المائدة وما عليها من طعام، إذن اتسع المعنى. و كلمة "الدستور" أصلها كلمة فارسية، أصلها: دَسْتور بالدال المفتوحة، عُرِّبت إلى دُستور بضم الدال، كانت تطلق هذه الكلمة في الأصل على الدفتر، تُكتب فيه أسماء الجند، والرواتب، ثم ارتقت دَلالة هذه الكلمة إلى مجموعة من القواعد الأساسية التي تبين شكل الدولة، ونظام الحكم فيها، ومدى سلطتها إزاءَ الأفراد. فالدستور يربط العَلاقة بين الأفراد، وبين النظام، وبين الحكم، ويبين ما على الأفراد، وما على الحكومة، وما إلى ذلك. لا يتغير إلا للضرورة القصوى.

كلمة السفير أيضًا ارتقت دلالتها، فقد كانت تدل في الأصل على الرسول لأمر من الأمور: أنا أرسلت إليك رسولًا، يعني: أرسلت إليك شخصًا في مهمة،

أصبحت الآن تدل على المبعوث الذي يمثل الدولة لدَى رئيس الدولة المبعوث إليها، سفير مصر إلى روسيا، سفير مصر إلى أمريكا، مأخوذة من أرسل يُرسل، فهو رسول، الرسول لقبيلة كذا، أو رسول لعائلة كذا، أو رسول يقضي أمر كذا.

وقد تنحط دلالة الكلمة، بمعنى أن اللفظ له دلالة، وقد كانت هذه الدلالة راقية في الأصل، ثم انحطت هذه الدلالة إلى دلالة متواضعة، نزلت بعض الشيء، فكلمة "البلغة". كانت تدل على ما يكفي لسد الحاجة، ولا يفضل عنها، أصبحت في شمال أفريقيا -يعني في مصر والمغرب وتونس والجزائر- لها معنى آخر تدل على نوع من الأحذية.

لفظ: حاجب، الحاجب: يعني الذي كان يدل على بواب الملك، إنما الآن الحاجب: مدرسة ابتدائي، حاجب الناظر. والكاتب: كان في الأصل الكاتب عبارة عن رئيس وزارة، مثل: عبد الحميد الكاتب، فمثلًا كاتب في جريدة، كاتب مرموق في جريدة رئيسية يكتب للرئيس الخطب، يستشيره الرئيس في كذا، مستشار ثقافي... فكلمة "كاتب" انحطت دلالتها بأنها مجرد "كاتب": يعني ليس له من الأمر شيء، من الفئة الدنيا من الموظفين، انحطت دلالة هذه الكلمة من مكانة مرموقة عالية إلى مكانة دنيا في المجتمع.

إذن الكلمة -من حيث تطور الدلالة- قد تتطور دلالتها، وتنتقل من معنى إلى معنى.

مفهوم اللغة

عناصر الدرس

أصل اللغة من الناحية الاشتقاقية

أصل كلمة "لغة" : "لغو" أو "لُغية"، يجوز فيها الاثنان بأن نغلق حركة الواو ؛ لأن حركة الواو ضعيفة ؛ لأنها حرف علة، والحركة تكون ثقيلة على حرف العلة، فننقل حركةَ الواو إلى الغين حرف صحيح ؛ لأن الواو صوت ضعيف، لا يتحمل الحركة، فنُقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها -وهذا ما نسميه "الإعلال بالنقل"- ثم حذفت الواو.

والعرب قد يَحذفون وقد يعوضون، وقد يحذفون ولا يعوضون، وهنا عوضوا الواو فأصبحت ساكنةً، فحذفوها، وعوضنا عنها الهاء. فقلنا: "لغة" على وزن "فُعة". وجمع لغة: لغات، أو لغَى، أو لغون، من الفعل: لغِي، يلغَى، فعِل يفعل، أو من: لغَى يلغَى: فعل يفعل، أو من لغى يلغو: فعل يفعُل.

كلمة "لغة" تدل في كثير من اللغات على عضو من أعضاء التكلم، وعلى اللغة.

ويجوز أن تكون كلمة "لغة" مأخوذة من اللهاة، وقلنا بأن اللهاة هذه هي قطعة اللحم المشرفة على الحلق، وهي تسمى في علم الأصوات لسان المزمار.

مما يقوي هذا الرأي -كما قلنا- أن كلمة "لغة" وكلمة "لهاة" مشتركتان أو متشابهتان في الحروف، فعندنا كلمة "لغة" و"لهاة" اللام مشتركة بين الكلمتين، والغين والهاء من حروف الحلق التي يصح حلول بعضها محل بعض ؛ فنقول: مدح ومَدَهَ، بمعنى واحد، و"أراق دمه" و"هراق دمه"، الاثنان أيضًا بمعنى واحد.

ومما يرجح هذا الرأي ويقويه أن الكلمة الدالة على اللغة تدل في الوقت نفسه على عضو من أعضاء التكلم في كثير من اللغات ؛ ففي العبرية -والعبرية أخت العربية ؛ لأنها من اللغات السامية- تستعمل كلمة "سافاه" بمعنى لغة وبمعنى شفة ، وكلمة "ليشون" هي "لسان" وهي "لغة" أيضًا في العبرية ، والشفة واللسان عضوان من أعضاء التكلم ، والعبرية أخت العربية. وفي الفارسية -والفارسية طبعًا من اللغات الهندية الأوربية- تستعمل كلمة "زبان" بمعنى لغة ، وبمعنى لسان أيضًا ، وفي الإنجليزية تستعمل كلمة "تونجو" بمعنى لغة وبمعنى لسان أيضًا ، وفي الفرنسية تستعمل كلمة "لانجو" بمعنى لغة وبمعنى لسان أيضًا.

إذن هناك تشابه بين كلمة "لغة" وكلمة "لهاة" ، تشابه من حيث الحروف ، اللام فيهما ، والغين في لغة ، والهاء في لهاة ، والغين والهاء من حروف الحلق التي يصح حلول بعضها محل بعض.

فالشفة لها حالات معينة : حالة الانفراج ، وحالة التدوير ، وحالة كذا إلى آخره... ، يبقى إذن الشفة عضو من أعضاء التكلم.

نأتي بعد ذلك إلى رأي آخر يقول بأن كلمة "لغة" ليست عربية أصيلة ؛ لا نبحث في اشتقاقها من الفعل لغي يلغى أو من لغا يلغو ؛ لأنه ما دامت كلمة غير عربية ؛ ليس لها اشتقاق من كلمة عربية ؛ لأن الذي يقول بأن الكلمة الأجنبية مشتقة من كلمة عربية يكون كالذي يقول بأن الإنسان ولد قردًا أو كذا إلى آخره ؛ لأن الاشتقاق نتاج وتوليد ولا يحدث إلا بين أمور متجانسة ؛ فلا يمكن أن تلد المرأة إلا إنسانًا ، ولا يمكن أن تلد القردة إلا قردًا. كما يقول السيوطي في "المزهر".

والرأي الذي يقول بأن كلمة "لغة" ليست كلمة عربية أصيلة ؛ ولكنها معربة - يعني مترجمة- ومأخوذة من كلمة أخرى هي كلمة "لوغوس" الإغريقية.

إذن الفريق الآخر يرى أن كلمة "لغة" ليست عربية أصيلة ؛ وإنما هي تعريب للكلمة الإغريقية لوغوس ومعناها "كلمة" أو "كلام" أو "لغة" يعزز أيضًا هذا الرأي ويقويه التشابه الكبير بين كلمة "لغة" والكلمة الإغريقية.

أيضًا يقوي هذا الرأي عدم ورود كلمة لغة بمعناها المعروف لنا في القرآن الكريم ؛ فلم ترد كلمة "لغة" في القرآن الكريم ، وقد عبر عنها في القرآن الكريم بكلمة "لسان" ؛ قال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾ [مريم: ٩٧] و ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥] يعني بلغة عربية مبينة ، ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴾ [مريم: ٩٧]، يعني بلغتك. أيضًا مما يعزز هذا أن كلمة "لغة" لم ترد في الشعر الجاهلي أو الأدب العربي المأثور عن أدباء ما قبل الترجمة عن الإغريقية.

معنى اللغة في الاصطلاح

الاصطلاح ذاته يعني: إجماع علماء هذا الفن أو هذا الفرع من فروع المعرفة على اصطلاح معين ، ولكل علم اصطلاحاته.

اللغة في الاصطلاح: عرفها ابن جني في كتابه (الخصائص) بأنها : "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". فالأصوات إذا لم تكن معبرة ؛ ليست لغة. لو دخلت في سوق ووجدت أصواتًا : "لا لو ، عا عو ، حا حي"... فإنها أصوات ليست معبرة ؛ إنما لو قلت لك : "لا" أو "هل" أو "لم" فهي أصوات ولكنها معبرة ؛ عندما

أقول لك: هل؛ يعني أستفهم، عندما أقول لك: لا؛ يعني أنفي، عندما أقول لك: لم؛ يعني أنفي... وهكذا.

إذا كان الصوت معبرًا إذن يدخل عندنا في تعريف اللغة؛ أما إذا لم يكن معبرًا فيخرج من تعريف اللغة.

ويعرفها ابن جني بقوله: "اللغة أصوات يعبر بها كل قوم -و"كل قوم": يعني أن اللغة لا تنشأ إلا في مجتمع يعبر بها، "كل قوم": يعني في مجتمع من الناس- عن أغراضهم"؛ يعني عن حاجاتهم وعن أفكارهم وعن مشاعرهم، وعن نقل الأفكار، وعن نقل المعلومات من شخص إلى آخر... إلى آخره؛ ولذلك نقول: اللغة ظاهرة اجتماعية؛ لأنها توجد وتنمو داخل المجتمع.

ومن إيحاءات تعريف القدماء نستطيع أن نقول بأن اللغة عبارة عن نظام من رموز صوتية على نسق نحوي متجانس، يستعمله كل قوم في تبادل المشاعر والأفكار، ونقل الأخبار أو الحقائق، وفي التعبير عن أغراضهم ومقاصدهم.

تعريف ابن جني -أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم- تعريف شامل وجامع ومانع ومختصر؛ لأن اللغة هي الإيجاز، صحيح أنه عرفها علماء الاجتماع وعرفها علماء المنطق وعرفها علماء الفلسفة تعريفات كثيرة؛ ولكن يجمعها تعريف ابن جني: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.

وتكلم عن طبيعة اللغة وطبيعة اللغة أنها أصوات معبرة داخل مجتمع.

فالأصوات هي اللبنات التي تكوِّن الألفاظ، ومن الألفاظ تتكون اللغة، ولا تكون اللغة إلا داخل مجتمع؛ فهي ظاهرة اجتماعية تنمو في المجتمع نتيجة اتصال أفراد المجتمع بعضهم ببعض، فاللغة ظاهرة اجتماعية؛ لأنها لا تنمو إلا داخل مجتمع فهذه طبيعتها إذن أنها ظاهرة اجتماعية.

وظـــــــائف اللغـــــــة

اللغة منحة عظمى، منحها الله للإنسان وخصه بها، وميزه عن أي كائن آخر؛ لتكون سبيله لمعرفة نفسه أولًا، ثم لمعرفة العالم الكبير حوله، وهي في جوهرها شكل من أشكال السلوك الاجتماعي نما نتيجة سعي الإنسان وولعه بتحقيق حاجاته ورغباته؛ لأنها لا تنمو إلا داخل مجتمع.

واللغة أيضًا تقوم بدور فعال في حياة الإنسان؛ فلا يستطيع الإنسان الاستغناء عن اللغة؛ فإننا جميعًا نستعمل اللغة دومًا أردنا أو لم نرد، نستعمل اللغة حتى في الحروب، فاللغة سلاح فتاك من أسلحة الحروب لا يقلُّ أثرًا عن القنابل والمدافع والصواريخ. والروح المعنوية لا تقوى إلا باللغة، ونجد شعر الجهاد عندما كان الشعراء في الجاهلية وفي صدر الإسلام يتبارون في الشعر، فقد كان هناك ما يسمى بشعر الجهاد؛ تحميسًا للقتال وتشجيعًا على الاستشهاد.

إن مَن يملك زمام اللغة -زمام السيطرة على الكلمة المنطوقة- هو القادر حقًّا على تملك زمام الحكم، وفي النظام الديمقراطي تقوم اللغة بدور فعال بارز في الجدل البنَّاء والنقاش المثمر وتقرع الحجة بالحجة؛ ومن ثم تسعى الدول لمحو أمية مواطنيها.

فاللغة تعدُّ أبرز عامل من عوامل الترابط الاجتماعي وتكامل المجتمع؛ إنها تجعل من الأمة الناطقة بها كلًّا متراصًّا.

وجمل القول أن لِلُّغة أربع وظائف:

أولا: وظيفة تعبيرية: لأننا نستعمل اللغة في التعبير عن المشاعر والأفكار وما إلى ذلك... نعبر بها عن ذاتنا، نعبر بها عما يجول في خاطرنا سواء عبرنا كلامًا أو عبرنا كتابة؛ والكلام هو العنصر الأساسي في اللغة، والكتابة تعبير ثانوي.

ثانيًا: وظيفية معرفية: نعرف ما في هذا الكتاب من أفكار، من عناصر، من معلومات، من مواد، من مادة لغوية، من مادة كلامية... إلى آخره.

ثالثًا: وظيفة اجتماعية: لا نتعاون مع الأفراد ولا نتبادل المعلومات والأشياء وما إلى ذلك إلا باللغة؛ فاللغة لها وظيفة اجتماعية، كيف تتعامل مع الآخرين؟ كيف تأخذ وكيف تعطي للآخرين؟ كيف تتبادل المشاعر والأفكار؟.

رابعًا: وظيفة وصفية: نستطيع أن نصف بها الأشياء، نستطيع أن نصف ما نجده من أشياء أمامنا، غير الوظيفة التعبيرية؛ التعبيرية نعبر بها عن هذه الأشياء، والوصفية نصف بها الشيء وصفًا كاملًا، من حيث الجوانب، من حيث الأبعاد، من حيث الحدود.

أغراض علم اللغة

عناصر الدرس

من أغراض علم اللغة: الوقوف على حقيقة الظواهر اللغوية، ووظائفها، والعلاقة بينها، واختلافها

تدرس أغراض علم اللغة في ضوء تزاوج اللونين من الدراسة: اللون العربي القديم بضوابطه ومعاييره، واللون الغربي الحديث بنظرياته وأساليبه.

فمن أغراض علم اللغة: الوصول إلى حقيقة وكنه الظواهر اللغوية ومكوناتها والأسس التي تقوم عليها وتصنيفها وبيان وظائفها.

والظواهر اللغوية هي: ظاهرة الإبدال، وظاهرة القلب المكاني، وظاهرة المعاقبة الصوتية، وظاهرة الإدغام، وظاهرة الإظهار.

تعريف الإبدال: هو تغير صوت إلى آخر في كلمة ما بتأثير البيئة اللغوية المحيطة - المحيطة بهذا الصوت- أو هو في أغلب صوره: إقامة حرف مقام حرف آخر يقاربه في المخرج أو في الصفة أو فيهما معًا، مع اشتراك الكلمتين في المعنى وفي باقي الحروف. مثل: خَبن، وغَبن، وعصيكَ، وعصيتَ، والجدس، والجدث.

تعريف المعاقبة الصوتية: تبادل كل من الواو والياء لغير علة تصريفية؛ مع اشتراك الكلمتين في المعنى وفي باقي الحروف. مثل ماذا؟ مثل: كَنَوْته وكَنَيْته - يعني بالواو وبالياء- كنوًا وكنيًا: جعلت له كنية.

تعريف الإدغام: النطق بحرفين حرفًا واحدًا مشددًا، أو تذويب الحرف الأول في الحرف الثاني فننطق بالحرفين حرفًا واحدًا.

وسبب الإدغام: هو ثقل النطق بالحرفين بينهما فاصل ؛ ولذلك طلب التخفيف، بحذف الحركة ثم الإدغام.

مثلًا: شَدَدَ، أو غضض، نقول: اغضض من صوتك. حرفان هنا في "غضض" ضاد، ومثلها ضاد أخرى ؛ وبين الحرفين الحركة؛ فعندما نأتي بالحرفين يكون هنا ثقل. اللسان ينطق بالحرف الأول ثم يترك الحرف الأول إلى موضع الحركة، ثم بعد ذلك ينتقل إلى الحرف مرة ثانية ؛ إذًا فيه ثقل على اللسان ؛ إنما لما نسكن الحرف الأول وندخل الحرف الأول في الحرف الثاني ؛ فننطق بالحرفين حرفًا واحدًا، وينبو اللسان عن الحرفين -الحرف المشدد- نبوة واحدة -يعني يفارقه مرة واحدة- يحصل التخفيف، إذًا الإدغام هنا أتى لتخفيف -أو لترك- هذا الثقل.

شروط الإدغام: للإدغام ثلاثة شروط:

الأول: التلاصق بين الحرفين دون حاجز، أي: عدم وجود فاصل بين الحرفين.

الثاني: التماثل أو التقارب أو التجانس ؛ بين الحرفين فالتماثل: حرفان متماثلان دال ودال، نحو: ودَّ، والتقارب يعني: تقاربا في المخرج، مثل: دال وسين ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ [المجادلة: ١] والتجانس مثلًا دال وتاء ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ﴾ [العنكبوت: ٣٨].

الثالث: عدم ذهاب الإدغام ببعض الصفات، يعني عندما ندغم حرفًا في حرف لا بد أن يبقى هذا الحرف الأول بصفاته، يعني لا يذهب من صفاته شيء.

فعندنا الطاء والتاء: الحرف الأول طاء، والحرف الثاني تاء؛ لا ندغم الطاء في التاء؛ لماذا؟ لأن الحرف الأول هو الذي يذوب في الحرف الثاني؛ لا بد أن يكون الحرف الأول أضعف من الحرف الثاني، يكون الحرف الأول ساكنًا والثاني متحركًا فندغم التاء في الطاء هذا صحيح؛ ولكننا لا نفعل العكس، يعني: لا ندغم الطاء في التاء؛ لأن الطاء أقوى من التاء؛ فلا تدغم الطاء في التاء؛ لأن الطاء فيها إطباق؛ والإطباق ليست موجودة في التاء؛ الطاء فيها تفخيم وهذا ليس موجودًا في التاء.

والإدغام والإظهار لهجتان فاشيتان في اللغة العربية: الإدغام لغة تميم، وعلى لهجتهم جاء قوله تعالى ﴿مَن يَرْتَدَّ﴾ [المائدة: ٥٤] و﴿وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ﴾، والإظهار لغة الحجازيين، وعلى لهجتهم ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ [النساء: ١١٥] ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩].

فالتميميون أدغموا للتخفيف؛ لأن النطق بحرفين ثقل، فلثقل النطق أدغموا؛ طلبًا للخفة. والحجازيون أظهروا -يعني: فكوا الإدغام- لبيان الأصل؛ أي: لنعرف أصل الكلمة.

إذن: علم اللغة عندما يتناول الظاهرة؛ يعرف الظاهرة -حقيقة الظاهرة- ويعرف العناصر أو الأسس التي تقوم عليها الظاهرة، شروط الظاهرة، أبعاد هذه الظاهرة.

من أغراض علم اللغة: الوقوف على أساليب تطور الظواهر اللغوية

قد شرحنا أن علم اللغة يتفرع إلى عدة فروع، فمن أغراض علم اللغة الوقوف على كيفية تطوير مباحث هذه الفروع.

فمن أغراض علم اللغة من الناحية التاريخية: تتبع أساليب تطور الظواهر اللغوية عبر مراحل زمنية متباعدة؛ نتيجة العوامل الخارجية أو الداخلية، واختلافها باختلاف الأمم والعصور، يعني صوت من الأصوات يتطور في بلد بخلاف تطوره في بلد آخر؛ فهناك لهجات مختلفة للغة العربية: اللهجة السورية، اللهجة المصرية، اللهجة الحجازية.

ومن أغراض علم اللغة من الناحية الاجتماعية: الكشف عن الطرق إلى معرفة العلاقات بين اللغات المختلفة المستعملة في مجتمع ما، نعرف وجوه التشابه ونعرف وجوه الافتراق بين اللغات.

ومن أغراض علم اللغة في تعليم اللغات: تطوير تعليم اللغات - كتطوير تعليم اللغة الإنجليزية للذين يرغبون في تعلم اللغة الإنجليزية، أو تطوير تعليم اللغة العربية للذين يريدون تعلم اللغة العربية- والتعرف على العوامل النفسية والعوامل الاجتماعية المؤثرة في هذا التعلم.

ومن أغراض علم اللغة من الناحية النفسية: الكشف عن أسباب عيوب النطق وطرق علاجها، فعندما نذهب إلى بلدة معينة ونجد أن أطفال هذه البلدة عندهم عيب معين في النطق بحرف من الحروف؛ علم اللغة يبحث في عيب النطق بهذا الحرف أو بهذه الحروف، ويبحث في طرق العلاج؛ فربما يكون عيبًا نفسيًّا، وربما

يكون عيبًا اجتماعيًّا راجعًا إلى المجتمع ؛ فهذا العيب عندما نعالجه يسهل تعلم - ويطور تعليم - اللغة ، وبيان التأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع هذا أيضًا من أغراض علم اللغة.

ومن أغراض علم اللغة في صناعة المعاجم : تطوير وتحديث فن صناعة المعاجم اللغوية.

المعجم في القديم : كان عبارة عن جمع مادة علمية وترتيب هذه المادة وشرحها.

وفي الحديث : عندما نطور صناعة المعاجم نبحث أولًا في الجمع والترتيب ونضيف أيضًا انتقاء مداخل المعجم ، يعني لا نأتي بنادرة ولا نأتي بشاردة في المدخل ؛ لأن الشوارد والنوادر لها معاجم أخرى ؛ أو في آخر المعجم ، وإبراز أهمية السياق في دلالة الألفاظ أيضًا ، يعني عندما نأتي بكلمة ، معنى الكلمة يتغير بتغير السياق ؛ لا بد أن نبرز أهمية السياق في صناعة المعجم ؛ سواء كان سياق لغوي ، أو سياق حال.

والسياق ينقسم إلى قسمين :

سياق لغوي : يعني ما يتقدم اللفظ وما يتأخر عنه نفهم به معنى اللفظ. السياق اللغوي يسمى سياق صريح يعني ؛ لأن الكلمة قبلها وبعدها هو الذي يوضحها أو الذي يدل على معناها.

سياق الحال : وهو حال المتكلم ، وحال السامع ، والظروف والملابسات المحيطة بالكلام ، مثل كلمة "كتاب" : تطلق على القرآن الكريم ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾ [الأنعام: ٩٢] "الكتاب" أيضًا يطلق على مجموعة من الأوراق : كتاب القراءة ، كتاب النحو ، كتاب النصوص ، أي : كتاب يطلق عليه كتاب ، أيضًا لفظ "كتاب" يطلق على الرسالة عندما يخاطب موظف في كلية موظفًا آخر في كلية

أخرى أو عميدًا أو وكيلًا أو ما إلى ذلك يقول: ردًّا على كتابكم. المراد بالكتاب: الرسالة.

من أغراض علم اللغة من الناحية الآلية: الارتقاء بنظم الترجمة الآلية وتخزين المعلومات، والنهوض بالدراسات اللغوية بالتنظير والموازنة والتأصيل والتطويع، يعني عندما ندرس مسائل لغوية أو ظواهر لغوية؛ لا بد أن نستخدم علم اللغة الحديث في الموازنة والتأصيل والتطويع، تأصيل الكلمات نعرف أصل هذه الكلمة، نعرف أصل هذا الأسلوب؛ فهذا من أغراض علم اللغة، أن نوازن بين أسلوب وأسلوب، أو بين كلمة وكلمة.

من أغراض علم اللغة في الدلالة: الكشف عن الدلالات الاجتماعية لمجتمع ما، عندما نبحث في دلالات الألفاظ باختلاف المجتمع، يعني قد يكون اللفظ له دلالة في مجتمع قد تختلف هذه الدلالة في مجتمع آخر. وأيضًا بالنسبة للدلالات الطبقية نجد أن اللفظ تختلف دلالته باختلاف الانتقال من طبقة إلى طبقة أخرى؛ فاللفظ عند الطبقة المثقفة غير معناه عند الطبقة الدنيا من المجتمع. واللفظ تختلف دلالته باختلاف الشعوب، فعندنا في مصر لفظ "كبسة" يعني هجمة لرجال الشرطة لضبط أشياء ممنوعة، عندما نذهب إلى السعودية نجد لفظ كبسة معناه: أكلة من الأكلات، يعني عبارة عن: الرز المحشو باللحم والتوابل... وما إلى ذلك، أيضًا كل فئة من فئات المجتمع لها ألفاظ ولها دلالات معينة؛ الفئة الفقيرة لها ألفاظ بدلالات معينة، الفئة الراقية لها ألفاظ بدلالاتها المحددة.

ومن أغراض علم اللغة أيضًا وضع المناهج للبحث، من منهج وصفي، ومنهج معياري، ومنهج مقارن.

والغرض الأساسي من علم اللغة: التوصل إلى القوانين التي تخضع لها اللغة، ووضع الضوابط والمعايير التي تحفظ اللغة من سوء الاستعمال.

نشأة علم اللغة وتطوره عند العرب وغيرهم

عناصر الدرس

نشأة علم اللغة عند العرب

مرت نشأة علم اللغة عند العرب بخمس مراحل.

المرحة الأولى: طور الظهور والوضع.

المرحلة الثانية: طور النمو.

المرحلة الثالثة: طور النضج والإبداع اللغوي.

المرحلة الرابعة: طور توسيع مجال الدراسات اللغوية.

المرحلة الخامسة: طور تزاوج الأصالة والتجديد.

أولًا: طور الظهور والوضع:

لم توضع مباحث علم اللغة طفرة واحدة، بل نشأت كأي علم آخر بسيطًا ثم بعد ذلك نما وتطور واكتمل كيانه.

أسباب نشأة علم اللغة: هناك سببان رئيسيان:

سبب ديني: وهو العناية بلغة القرآن الكريم، وخدمتها.

سبب قومي: وهو غيرة العرب الشديدة على لغتهم، وحرصهم على أن تظل صافية نقية.

هل كانت للعرب فكرة عن المعاجم -أي: ذهن معجمي- أم أخذ ذلك عن غيرهم؟ العرب كان عندهم الفكر المعجمي بدليل: سئل الرسول ﷺ عن بعض الألفاظ وكان يوضحها للصحابة، وسئلت السيدة عائشة عن بعض الألفاظ

وكانت توضحها أيضًا ؛ "سئلت السيدة عائشة عن الكوثر ، فقالت : نهر أُعطيه نبيكم في بطنان الجنة ، قالوا لها : وما بطنان الجنة؟ قالت : وسطها". وكذلك أسئلة نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس أيضًا : ما الريش؟ قال : المال. وما الوسيلة؟ قال : الحاجة ؛ إذًا كان عند العرب فكر معجمي : اللفظ ، ومعناه. وكذلك في مجالس عبد الملك بن مروان عندما قال لأصحابه أو للذين يجلسون معه في محاضرة ثقافية : أيكم يأتيني بحروف المعجم في بدني؟ فقام له أحد الحاضرين وقال : أنا آتي بها ، يا أمير المؤمنين. فأتى بحروف المعجم في جسده - يعني يأتي اللفظ : أذن... أنف... كذا... إلى آخره ، بعدد حروف المعجم- فقام آخر وقال : أنا آتي بها مرتين. فقام سويد بن غفلة فقال : أنا آتي بها ثلاثًا ، يا أمير المؤمنين. وقام وذكر حروف المعجم لألفاظ في جسده ، فقال : أعطوه ما تمنى.

لِمَ لَمْ تؤلف العرب المعجم؟

لم يكن عندهم قديمًا التأليف المعجمي؛ لأن أدوات الكتاب لم تكن موجودة عندهم ، فكانت أدوات الكتابة موجودة عند العراقيين وعند المصريين وعند الفينيقيين ؛ إنما في شبه الجزيرة العربية كانت صحراء ؛ فكانت أدوات الكتابة مفقودة ، والكتابة -كما يقال- فن من الفنون الحضارية وكانت توجد حيث توجد الأنهار ، حتى عندما جاء الإسلام كان الذين يعرفون الكتابة في مكة كان يعدون على الأصابع.

إذن: أول طور من أطوار التأليف في علم اللغة هو طور الظهور والوضع : وتمثل هذا الطور دراسة الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة خمس وسبعين ومائة في كتابه (العين) ، الذي رتب فيه كلام العرب ووضع باكورة علم الأصوات العربية ، ومن ثم يعد الخليل أول مَن وضع علم اللغة وأبرزه إلى الوجود علمًا مصنفًا.

ثانيًا: طور النمو:

يتمثل هذا الطور في مجالين من الدراسة:

المجالات الدلالية: مثل: (كتاب النبات) لأبي زيد الأنصاري المتوفى سنة ٢١٥ هجرية، وكتاب (خلق الإنسان)، وكتاب (النخل والكرم) للأصمعي المتوفى سنة ٢١٦ هجرية، وكتاب (البئر) لابن الأعرابي المتوفى ٢٣١ هجرية.

والبحوث في الاشتقاق: مثل: كتاب (اشتقاق أسماء البلدان) لهشام الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هجرية، و(اشتقاق الأسماء) للأصمعي المتوفى سنة ٢١٦ هجرية، و(اشتقاق الأسماء) لأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي المتوفى سنة ٢٣١ هجرية.

أول مَن أطلق علي الدراسات اللغوية اسم فقه اللغة: هو أبو الحسين أحمد بن فارس، وهي تشمل علم اللغة، وفقه اللغة.

ثالثًا: طور النضج والإبداع اللغوي:

هذا الطور وصلت فيه الدراسات اللغوية إلى درجة راقية اكتملت المقدرة اللغوية، استطاعت أن تستوعب خصائص اللغة وأسرار العربية، تمثل هذا الطور دراسات أبي الطيب اللغوي المتوفى سنة ٣١٥ هجرية عن الإتباع، ودراسات ابن جني في كتابيه (الخصائص) و(سر صناعة الإعراب)، كتابه الخصائص يعني خصائص العربية وأسرارها وتعليل الظواهر اللغوية بعللها الحقيقية؛ وأيضًا تمثل هذا الطور دراسات ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ هجرية، في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة)، وأيضًا في معجميه، (مقاييس اللغة) و(الأفراد) كما تمثل هذا الطور

دراسات أبي البركات عبد الرحمن الأنباري المتوفى سنة ٥٧٧ هجرية في كتابه (أسرار العربية).

هل علماء العربية عللوا الظواهر اللغوية بعلل فسلفية، يعني: علل مقتبسة من اليونان أو المنطق الأرسطي؟

لا، إن علل علماء العربية مبنية على الاستثقال والاستخفاف؛ ولذلك قلنا: أدغم التميميون لثقل النطق بالحرفين في ظاهرة الإدغام؛ لأن الإدغام هو النطق بحرفين حرفًا كالثاني مشددًا، أو إدخال الحرف الأول الساكن في الحرف الثاني والنطق بهما حرفًا وحدًا؛ فهنا العلة: ذهب التميميون من الإظهار إلى الإدغام لثقل النطق؛ طلبًا للتخفيف.

رابعًا: توسيع مجال الدراسات اللغوية وإثراء العربية وتكثير مفرداتها:

وتمثل هذا الطور دراسات جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هجرية في كتابه (المزهر).

وقد اشتمل كتاب المزهر على موضوعات متعددة من ظواهر اللغة منها:

أصل اللغة: يعني البحث في نشأة اللغة؛ هل هي توقيف أم مواضعه واصطلاح... وما إلى ذلك.

الترادف: وهو المعنى المتعدد اللفظ، نقول "ذراع" و"ساعد" الذراع هو الساعد، المعنى واحد، نقول "سكين" و"مدية"، المعنى واحد. عندما قدم أبو هريرة من قبيلته دوس عام خيبر؛ قال له الرسول ﷺ: ((ناولني السكين)) - وكانت السكين في الأرض- فنظر أبو هريرة يمنه ويسره ولم يدرِ ما معنى هذه الآلة؛

فأعاد عليه الرسول ﷺ الطلب وقال: ((ناولني السكين))، فلم يفهم معنى اللفظ، في المرة الثالثة قال: آلمدية تريد؟! آلمدية تريد؟! أو تسمى سكينًا عندكم؟.

المشترك اللفظي -عكس الترادف-: هو اللفظ الواحد له أكثر من معنى. مثل: لفظ "العين": تطلق على العين الجارحة، وعلى البئر، وعلى أحد النقدين، وعلى سنام الجمل، وعلى النفيس من كل شيء، نقول: هذه القصيدة من عيون الشعر، أو هذا الرجل من أعيان البلد، يعني: من المعروفين المشهورين في البلد.

والتضاد: هو اللفظ الدال على معنيين متقابلين مثل قديمًا "السدفة": الضوء، عند قيس، و"السدفة": الظلمة، عند تميم. وكذلك لفظ "جلل": يطلق على العظيم، ويطلق على اليسير والقليل.

بعض الأمثلة للتضاد من كتاب المزهر: "جلل": يطلق على العظيم، ويطلق على اليسير والقليل قال الشاعر:

فلئن عفوت لأعفون جلل

"لأعفون جللا"، يعني: لأعفون عفوًا عظيمًا؛ لأن الذي يتنازل عن ثأر أخيه عفو عظيم. والشاعر الآخر يقول:

كل شيء ما خلا الموت جلل ❖ والفتى يسعى ويلهيه الأمل

فهنا معنى جلل: يسير أو حقير.

إذن: تكلم السيوطي في (المزهر) عن كثير من الظواهر اللغوية مثل: ظاهرة المناسبة بين اللفظ ومدلوله، ومعرفة لغات العرب والغرائب والنوائب، وتداخل اللغات والمعرب، وتطور الدلالة ومعرفة المولَّد وخصائص اللغة والاشتقاق... وغيرها.

خامسًا: طور تزاوج الأصالة والتجديد:

وتمثله الدراسات اللغوية الحديثة. وهي دراسة بدأت من نقطة انتهاء دراسات القدماء؛ فكانت الموازنة بين اللغات المختلفة، وترجمة المؤلفات الحديثة من مختلف اللغات في هذا العلم الذي سما وتلألأ في عالم اليوم، على يد رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فدرسوا تراثنا اللغوي بعمق ودقة من جميع جوانبه وأبعاده، وكشفوا عن معطيات العلم العربي، وأضافوا إليها ما جاء به العلم الحديث، وفي هذا أصالة وتجديد، وستظل الأجيال تذكرهم بالثناء والعرفان.

إن جميع النظريات الحديثة لها إشارة في الدراسات القديمة، فنظرية الفونيم، دراسة حديثة؛ ولكن نجد ابن جني أشار إليها؛ فقال: إن الصوت الساكن ليس مثل الصوت المتحرك، وأنه ينشأ من هذا الصوت صويت، هو الفونيم. وكذلك في القراءات القرآنية أيضًا عندما ندرسها دراسة متعمقة نجد إشارة إلى الفونيم؛ فنجد أن فيها الإشمام، عند حمزة والكسائي في قوله تعالى: "حتى يصْدر الرعاء": بنطق الصاد بين الصاد والزاي، يعني بزاي مفخمة.

نشأة علم اللغة عند الغرب

ما الفرق بين دراسة العرب، ودراسة الغرب؟

إن دراسة القدماء العرب دراسة معيارية وهي: نطق اللغة بأسلوب على ما ينبغي أن يكون عليه، على ما يجب أن يكون عليه، فهي أوامر: قل كذا ولا تقل كذا.

ودراسة الغرب دراسة وصفية وهي: نطق الأسلوب أو النص كما هو. سواء كان متمشيًا مع قواعد اللغة أو مع اللغة الفصحى، أو لم يكن متمشيًا مع قواعد الفصحى، فهي: تقريرات الناس: يقولون كذا، ونقول كذا.

ندرس نشأة علم اللغة عند الغرب في النقاط التالية:

أولًا: متى بدأ الاهتمام باللغة عند الغربيين؟

بدأ الاهتمام باللغة ومشكلاتها عند الغربيين مع فلاسفة اليونان القدماء والنحاة السنسكرتيين الهنود.

الفرق بين اليونان والهنود: ناقش الأولون اليونانيون أصل اللغة وطبيعتها، وحاول الآخرون -وهم الهنود أو نحاة الهنود- أن يقنّنوا لغتهم ويضعوا لها القواعد الخاصة، وقد شقّ النحاة اليونانيون في النهاية طريقهم مستقلّين عن الهنود، وتوصّلوا إلى وضع نظام نحوي يناسب لغتهم، وغيرها من اللغات الشبيهة بها في الترقيب .

ولكن في بداية الأمر حتى القرن الثاني عشر وما بعده كانت دراسة الغرب معيارية أكثر منها وصفية والوعي اللغوي بمعناه الاصطلاحي الحديث المؤسّس على الملاحظة، والتحليل، والترقيب، والتعليم لا مما يفتقده المرء في مثل تلك الدراسات. وكثيرًا من النتائج الأساسية الصحيحة التي توصّل إليها النحاة الأقدمون كانت من آثار الصدفة أكثر منها من آثار المنهجية، وبين عامي ٤٠٠ و١٠٠٠ كان هناك قدر قليل دال على وعي لغوي، كما أن هناك قليلًا من الشواهد في عصر ما قبل النهضة، تدل على الاهتداء إلى تصنيف اللغات، واكتشاف قرباتها، والعلائق بينها؛ فالصورة إذن من الجانب اللغوي التاريخي ليست مشجعة تمامًا.

ثانيًا: النهضة العلمية وأثر كتاب دانتي عليها:

كان وصف "دانتي" للغة الإيطالية المثالية في كتاب أصدره عام ١٣٠٥ ميلادية هو نقطة البدء في النهضة العلمية. وقد قرن بدراسة صائبة عن توالد اللغات، وعن أصل اللغات الإيطالية، والفرنسية، والبروفانسية، والعلاقة بينها، وبتصنيف دقيق في جملته للهجات الإيطالية.

هذه بداية النهضة العلمية، ثم أخذت النهضة تشق طريقها ببطء وبطريقة غائمة نحو الآراء اللغوية الحديثة، وكان الإسهام الأساسي الذي قدمته العصور الوسطى لعلم اللغة، هو محاولة تقديم نحوٍ عالمي صالح للتطبيق، مع إدخال تعديلات مناسبة على كل اللغات.

والفروق الأساسية بين النظرة الوسيطة، والنظرة الحديثة تكمن في العناية بالعناصر اللغوية المختلفة، والاهتمام بنوع معين من اللغات دون الأنواع الأخرى، التي لا تتصل بالمجموعة الهندية الأوربية.

فالنظرة الوسيطة تهتم بنوع معين من اللغات دون أنواع أخرى.

والنظرة الحديثة باتساع المجال الأوربي - تطل على لغات أخرى جديدة غربية شرقية قصرية، وأفريقية وهندية أمريكية.

أسباب اتساع المجال الأوربي:

أولًا: نتيجة الحروب الصليبية.

ثانيًا: الرحلات والاكتشافات والريادات الجغرافية.

المحاولات بعد اتساع المجال الأوربي : بدأت محاولات كثيرة لوضع نحو وصفي لبعض النواة الحديثة والقريبة ، وبدأت تظهر مناقشات ، وخلافات كان يشهوّها في الغالب جهل العلماء بالحقائق المتعلّقة بتصنيف اللغات ، وقرباتها اللغوية ، وبدأت كذلك مناقشات تتعلق بمستوى الصواب اللغوي ، وبمشكلة انقسام اللغة إلى لهجات ، وبمشكلة اللهجات الطبقية ، وأنه من الأهمية بمكان أن نقول : إن البحث والدرس ، وإن ظل يعانيان من اضطراب المنهج ، وخطأ المقدمات ؛ فقد حققا في هذه الفترة تقدمًا ملموسًا صار في عدة اتجاهات.

خصائص عصر النهضة : لقد كان عصر النهضة عقلًا فاحصًا ، لقد أراد أن يعيش التجربة ، ويقيم الدليل ، ويعرف كل شيء. ويبعد بقدر الإمكان عن عقلية العصر الوسيط ، وقد حمل هذا الاتجاه الذي امتد حتى نهاية القرن الثامن عشر ثمارًا كثيرة ، وإن لم تكن جميعها ذات قيمة كبيرة.

اكتمال عصر النهضة ، والأعمال التي تمت فيها :

١. بمجيء عام ١٨٠٠ ميلادية كانت كثير من الأسس اللغوية قد وضعت ، وإن ظلّ هناك عيب واضح في البحث ، وهو عدم التزامه منهجًا سليمًا مستقرًّا ، يعطي ضمانات علمية دقيقة.
٢. وقد تم وصف كل اللغات المعروفة تقريبًا بطريقة أو بأخرى ، وإن أُكره بعضها ؛ ليخضع للقالب الهندي الأوربي ، وتم تقدم هدير في موضوع تصنيف اللغات.
٣. وقد جمعت في تلك الفترة شواهد كتابية كثيرة يمكن أن تخدم الدراسة التاريخية الأوربية ، وتساعد في رصد أطوار اللغات وبعض النظريات الحديثة

مثل : الصواب والخطأ في اللغة ، ومثل الانقسامات اللهجية ، ومثل المستوى الأدبي للغة قد طرحت على بساط البحث والمناقشة.

٤. وفوق كل هذا فقد ارتفع الوعي اللغوي ، ووجدت اهتمامات لغوية كثيرة.

ثالثًا : اللغة في القرن التاسع عشر وتقدمها وتصنيفها ودراستها :

يمتاز هذا العصر **بالمنهج المقارن** في عالم الدراسات اللغوية قدّمه السير "ويليام جونز" عن العلاقة القوية بين السنسكريتية والفارسية القديمة ، وبين اللاتينية واليونانية والجرمانية والهندية ، فحدّد بذلك مرحلة هامّة تبرز تطوّر دراسات اللغوية في الغرب.

وقد تبع علماء كثيرون جونز مثل: شليجن، ورسك، وبوب، وجريم، وفونر.

وقد امتدّت آفاق علم اللغة المقارن فيما بعد ؛ لتشمل مجموعات من اللغات مثل الآكادية ، والعبرية ، والعربية ، والآرامية ، وغيرها من المجموعة الثانية.

أما الدراسة الوصفية في هذا العصر فلم تَنَلْ حظها من الاهتمام التي حظيت به الدراسة التاريخية.

والاعتقاد السائد أن اللغات التي تستحق الدراسة هي تلك اللغات العظمى التي حملت الحضارة الأوربية ، والتي صارت كذلك لغات استعمارية ، وقد استقر الرأي على وجود اطراد في التغير الصوتي ؛ شريطة ألا تتدخل عوامل أخرى مثل القياس ، والاطراد اللهجي ، أو الثقافي في طريق ما يسمى بالقوانين الصوتية.وقد كان النتاج ذا قيمة كبيرة بتركيزه الاهتمام على الصيغ اللهجية ، وعلى أنواع من الكلام لم يكن يُنظر إليها حتى تلك اللحظة ، إلا على أنها نواة تافهة لا تستحق الدراسة ، وقد أدّى ذلك إلى توجيه الاهتمام إلى اللغات الحيّة ، ولهجاتها

المتشعبة، ونتج عن هذا اهتمام بدراسة الجوانب المختلفة لهذه اللغات الحديثة عن طريق الملاحظة المباشرة؛ مما أدّى إلى وجود فرع هامّ من فروع علم اللغة، وهو علم اللغات الوصفي، الذي يعطي اهتمامًا للغات المتكلمة، ويقلل من الاهتمام بالشواهد المكتوبة.

رابعًا: علم اللغة في القرن العشرين وأثر كتاب دي سوسير عليه:

قد نشر كتاب دي سوسير بعنوان "محاضرات في علم اللغة العام" عام ١٩١٦م. وهذا قد أعطى علم اللغة حياة جديدة، وأثّر على علم اللغة في الجوانب التالية:

أولًا: حددت الأسس الدقيقة لعلم اللغة الوصفي باعتباره فرعًا مستقرًا من فروع علم اللغة.

ثانيًا: قد رسم بوضوح ودقة الحدود الفاصلة بين فرعي علم اللغة: الوصفي والتاريخي.

ثالثًا: حدد موضوع علم اللغة، وهو دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، وأن علم اللغة لا يدرس لغة معينة، وإنما يشمل كل ظواهر الكلام الإنساني؛ سواء كان ذلك في فترات قديمة، أم حديثة.

رابعًا: استطاع أن يوضح لأول مرة الأهمية الكبرى للبنية أو التركيب داخل اللغة.

خامسًا: استمر علم اللغة التاريخي كما كان في الماضي. ولكن تلاه في الوجود، وتبعه في كل خطوة يخطوها نظيره علم اللغة الوصفي، بل أخذ ميزان القوى

يختلّ متحولًا من البحث المقارن في تاريخ اللغات الهندية الأوربية، إلى وصف اللغات المستقلة، واللغات المجهولة، ودراسة لغات غير المكتوبة التي لا تعرف ظروفها التاريخية. وحصل ذلك على أيدي بوث، وسابير، وبلومفيلد.

بعد هؤلاء العلماء جاء تلاميذهم وأتباعهم فاستمر هذا الفرع الوصفي على هذا الحال. حتى جاء العالم الشهير: جسبرسون الذي حاول أن يضع الأسس التي تحكم تقدم اللغة، فأخذ علم اللغة شكلًا نظريًّا، وإلى حد فلسفيًّا.

هناك محاولات بعد جسبرسون: الأولى محاولات لربط المنهج التاريخي بالمنهج الوصفي، والأخرى لإعادة كتابة التاريخ اللغوي على أساس من الموازنة الإحصائية لأوجه الخلاف والشبه بين المفردات.

وهذه المحاولات تدل على أن الأبحاث التاريخية ما تزال هي السائدة في أوربا، والدراسة الوصفية هي السائدة في أمريكا.

أما علم اللغة الجغرافي فإنه ما يزال في دور التكوّن، أو التكوين، أو التبرعم مع أنه أكثر ميادين علم اللغة خصوبة، فلم يزل قليل الحظ من النماء، ضئيل النصيب من النضج.

علاقة علم اللغة بعلوم:

الاجتماع والنفس والجغرافيا والتاريخ

عناصر الدرس

علاقة علم اللغة بعلوم: الاجتماع، والنفس، والجغرافيا، والتاريخ

اللغة ظاهرة اجتماعية تنمو، وتتطوّر داخل المجتمع، وتؤثّر وتتأثر بغيرها من الظواهر الاجتماعية داخل المجتمع، ومن ثَمّ تتأثر اللغة بحضارة الأمّة بتاريخها، ونظمها، وتقاليدها، وعقائدها، واتجاهاتها، ودرجة ثقافتها، وطبيعة بيئتها الجغرافية، وشئونها الاجتماعية.

أولًا: نعرف كيف تتأثر اللغة بالبيئة الجغرافية:

مثاله: شبه الجزيرة العربية تنقسم إلى قسمين: الحضر وتمثلها قبيلة قريش والحجازيون، والبدو وتمثلها قبيلة تميم. وكانت حياة البدو حياة قاسية، وظروفهم شديدة، والمعيشة غير لينة، فهذه كلها أثرت على لغتهم. فمالوا في لغتهم إلى ظاهرة الإدغام، ليخففوا عن أنفسهم عبء الحياة العصيبة، وذهبوا إلى الإدغام ونطقوا بالحرفين حرفا واحدا مشددا؛ طلبا للخفة. وأما الحضر فكانوا لا يبالون الخفة والثقل؛ لأن حياتهم ما ألفت الثقل والقساوة، فنطقوا الكلام كما هو موجود، ولا ينظرون إلى الخفة ولا إلى الثقل. وهذا يدل على علاقة اللغة بالبيئة الجغرافية.

ثانيًا: علاقة اللغة بالمجتمع:

فالمجتمع أيضًا يترك أثرًا كبيرًا على اللغة؛ لأن اللغة عبارة عن ثمار العقول ونتاج القرائح. والناس يتكلمون بما يألفون به، وبما ينظرون في مجتمعهم، ولنضرب لكم مثالًا على هذا بما ننظر الفرق بين كلام المجتمع البدوي، والمجتمع الحضري.

فيقول البدوي ضيق الأفق مادحًا للأمير:

أنت كالكلب في حفاظك على ❖ وكالتيس في قراع الخطوب

هذا الذي يفهمه البدوي، لا يجد الألفاظ التي تساعده؛ لأنه ضيق الأفق.

ويقول الشاعر المتحضر يمدح المنذر بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط:

بالمنذر بن محمد ❖ شَرُفَتْ بلاد الأندلس

فالطير فيها ساكن ❖ والوحش فيها قد أنس

والفرق بينهما كبير، الفارق بين الشعرين جودة ورقة، وابتكارًا وإيقاعًا كالفرق بين الثّرى والثّريّا، وهذا مدح وذاك مدح، ولكن الشاعر الأول يقول: أنت كالكلب في حفاظك على العهد. هو يمدح ولكن ضيق الأفق؛ لأنه معايش للكلب، ومعايش للتيس فيأتي بألفاظ مناسبة لبيئته. أما شاعر الأندلس الذي يقول بالمنذر بن محمد شرفت بلاد الأندلس، وبلاد الأندلس كانت في حضارة، ونعيم، وظلال، وما إلى ذلك. فالطير فيها ساكن، والوحش فيها قد أنس. هذا مدح، وذاك مدح ولكن شَتّان بين الشعرين

فالباحث يستطيع أن يتعرف على خصائص، وسمات البيئة التي نشأت فيها اللغة، أي لغة من خلال المفردات، والأساليب، والخيال والتشبيه، وجمال التراكيب، وما تركت من طوابع، وما خلفت من آثار.

ثالثًا: علاقة اللغة بعلم النفس:

الباحث يرى ذلك من خلال دراسة الطرق في تعليم اللغات، وطريقة اكتساب اللغة الأمّ، وتعلم اللغة الأجنبية والعوامل النفسية المؤثرة في هذا التعلّم، كما يدرس عيوب النطق، والعلاقة بين النفس البشرية واللغة.

رابعًا: علاقة علم اللغة بالتاريخ:

إن علم اللغة يدرس اللغة وظواهرها عبر العصور المختلفة، وعبر تاريخها الطويل، ونتعرف على تطور اللغة عبر التاريخ. وهذا يدل على علاقة علم اللغة بعلم التاريخ.

مجالات البحث اللغوي

عناصر الدرس

دراســـة مجـــالات الأصـــوات

مجال الأصوات هو دراسة أصوات اللغة صوتيًّا -من حيث المخارج ومن حيث الصفات- وفونيميًّا، وإحصائيًّا، فعندما نتكلّم عن الأصوات من حيث المخارج نذكر مخرج هذا الصوت، هل هو من أقصى اللسان مع ما يقابله من الحنك الأعلى، أم هو من وسط اللسان مع ما يقابله من الحنك الأعلى، أم من طرف اللسان؟ إذن نحدّد مخرج الصوت بمعرفة مخرجه، أو نقطة التقاء عُضْوَيّ النطق، أو تقارب العضوين، فصوت القاف يخرج من أقصى اللسان مع ما يقابله من الحنك الأعلى، إذا كان الالتقاء محكمًا -يعني: التقاء عضوي النطق- فيكون هذا الصوت شديدًا كصوت القاف، فهو صوتٌ يخرج من أقصى اللسان مع ما يقابله من الحنك الأعلى، الحنك اللين، فكان الالتقاء محكمًا، نَصِفُ هذا الصوت بأنه صوتٌ شديدٌ.

وعندما ننطق الصوت ساكنًا، ثم نأتي بهمزة قبله -همزة مكسورة عند سيبويه، أو همزة مفتوحة عند الخليل- نقول -على رأي سيبويه-: "إبْ"، أو "إقْ" "إجْ" "إدْ".

إذن نعرف مخرج الصوت بالتقاء عضوي النطق: التقى عضوا النطق التقاءً محكمًا؛ يكون الصوت شديدًا. إذا التقى عضوا النطق التقاءً غير محكمٍ، يعني: سمح بتسرب بعض الهواء؛ نصف هذا الصوت بأنه صوت رخو، فمثلًا الزاي "إزْ"، السين "إسْ". نصف هذا الصوت بأنه صوت رخو. أما إذا كان الالتقاء محكمًا فيكون هذا الصوت شديدًا، مثل: "إبْ" "إقْ" "إدْ".

ونتعرف على مخرج الصوت من خلال الصوت ساكن، ثم همزة قبل هذا الصوت مكسورة، أو همزة مفتوحة على رأي الخليل، يعني نقول: "أبْ" الباء من الشفتين، نطقنا بصوت الباء ساكنًا ثم أتينا بهمزة إمّا مكسورة، أو مفتوحة إذا التقى عضوا النطق التقاء محكمًا هذا الصوت شديد سمّاه المحدثون صوتًا انفجاريًّا، القدماء قالوا: صوت شديد. يعني: إذا التقى العضوان التقاء محكمًا "أبْ"، القدماء نظروا إلى حبس الهواء حبسًا تامًّا، المحدثون نظروا إلى بُعْدِ العضوين عن بعض، فيبتعدان فجأة فيخرج صوت انفجاري "إبْ"، "إدْ" صوت انفجاري. القدماء نظروا إلى حبس الهواء حبسًا تامًّا، فيسمى هذا الصوت صوت شديد يعني: انفجاري عند المحدثين، المحدثون نظروا إلى الصوت بعد لحظة خروجه، فيحدث كما يشبه الانفجار، فَأسَمَوه الصوت الانفجاري، أما القدماء فنظروا إلى حبس الهواء حبسًا تامًّا فأسموه صوتًا شديدًا.

إذن دراسة الأصوات اللغة دراسة صوتية من حيث المخارج، ومن حيث الصفات يعني: هذا الصوت صوت شديد، صوت رخو، صوت مجهور يعني: يهزّ الأوتار الصوتية، أو صوت مهموس يعني: لا يهز الأوتار الصوتية. طبعًا هذا من دراسة الأصوات من ناحية النطق، والسمات.

وفونيميًّا يعنى: أن نتعرف على المتغيرات الصوتية لهذا الصوت.

عندنا مثلًا صوت الجيم، الجيم في العربية الفصحى "إجْ". في لهجة القاهرة يقولون: "إجْ" جيم، تشبه الكاف الفارسية، نجد في سوريا ينطقون الجيم: "جيم كثيرة التعطيش" إذًا صوت الجيم صوت أصيل نشأ منه صوتان، دون أن يكون للاختلاف أثر في المعنى، فعندما نقول: جيم، ونقول: جيم، ونقول: جيم على لهجة القاهرة، فهذه المتغيّرات الصوتية لا تؤثر في المعنى.

أيضًا دراسة أصوات اللغة من حيث إحصاء هذه الأصوات.

دراســـــة صـــــياغة الأبنيـــــة

دراسة الصرف هو فرع من علم القواعد ؛ لأن علم القواعد يشمل النحو والصرف ، والنحو دراسة التراكيب. الصرف : دراسة بنية الكلمة ، ولذلك نسميّها دراسة بنيّة ، يعني : الكلمة بحركاتها وسكناتها ، ما عدا الحرف الأخير ؛ وما يعرض لها مما ليس بإعراب ولا بناء ؛ لأن الإعراب والبناء يكونان في آخر حرف من الكلمة ، نقول : محمدٌ - محمدًا- محمدٍ - جاء محمدٌ الإعراب الحرف الأخير مرفوع وعلامة رفعة الضمة الظاهرة ، رأيت محمدًا ، أيضًا الحرف الأخير ، مررت بمحمدٍ الحرف الأخير هو الدال.

أما ما يعرض لهذه الأبنية من إبدال حرف بحرف من تطويل حركة قصيرة إلى حركة طويلة ، فمثلًا شرر : شرار ، أيضًا كما في لهجة بني سليم يقولون في نويت : ناويت ، إذًا تطويل الحركة. تقصير الحركة : قاسية قسيّة ، إذًا تطويل الحركة ، أو تقصيرها يدخل في الأبنية ، مثلًا صيغة فاعل ، صيغة فعل ، صيغة أفعل ، فعل تكون قصيرة عن أفعل ، صيغة أفعل فيها زيادة الهمزة.

إذا دراسة صياغة الأبنية ، وأحوال هذه الأبنية بحركاتها وسكناتها ، وما يعرض لها من إبدال أو إعلال ، أو ما إلى ذلك ، مما ليس بإعراب ولا بناء ؛ لأن الإعراب والبناء محلّ آخر حرف من الكلمة.

دراسة النظام الذي تتقيد به كلمات اللغة

دراسة النظام الذي تتقيّد به كلمات اللغة في تركيبها الداخلي، وفي ترتيبها ضمن الجملة، إذًا ترتيب الكلمات -عندنا- فعل وفاعل ومفعول، عندنا فيه روابط، فيه ألفاظ تؤثر في ألفاظ أخرى.

فلا بد من مراعاة كل ذلك في دراسة النحو، عندما نأتي بفعل وفاعل نكوّن جملة مكونة من فعل وفاعل، الفعل الأول، والفاعل بعد الفعل، إنما إذا أتى الفاعل الأول قدمنا الفتحة، يصبح الفاعل مبتدأ، ويصبح الفعل خبر المبتدأ، قام محمدٌ؛ فعل وفاعل، إنما عندما نقول: محمدٌ قام؛ مبتدأ وخبر.

إذن مجال دراسة النحو، هو دارسة النظام الذي تتقيّد به كلمات اللغة في تركيبها الداخلي، وفي ترتيبها ضمن الجملة، وأثر كل جزء منها في الآخر، ودراسة المكمّلات اللغوية من الألفاظ التي تُستعمل بجوار الألفاظ الأساسية في الجملة؛ لتدل على معانٍ تكميلية، مثل: الضمائر، والإشارة أحيانًا، وكذلك أدوات التنكير، أو لتكون بمثابة روابط بين أجزاء الجملة، كحروف العطف، والجر.

يعني: عندما نقول: قَدِمَ محمّد -قدم: فعل، ومحمدٌ فاعل- من المملكة إلى مصر -"من وإلى"- وركب يعني: وركب الطائرة، ثم الفاء، إلى، عن، على.. إلخ. كلها حروف روابط، إذا حروف الروابط مكملات؛ حضر محمدٌ فعلى، حضر محمدٌ وعلي حرف العطف، إلى القاهرة، في الطائرة، أو في سيارة، أو في كذا، كلها حروف روابط تربط بين أجزاء الجملة.

مثلًا: أعطيتك أعطيتكه، والإشارة أحيانًا، وكذلك أدوات التنكير، أو لتكون بمثابة روابط بين أجزاء الجملة، كحروف العطف، والجرّ.

دراســـة دلالــــة الألفـــــاظ

دراسة الدلالة: هي دراسة لغوية تتناول العلاقة بين الرمز اللغوي، ومعناه، وتطور معاني الكلمات تاريخيًّا، وتنوّع المعاني، والمجاز اللغوي، والعلاقات بين كلمات اللغة.

نأتي إلى هذه الجملة: دراسة لغوية تتناول العلاقة بين الرمز اللغوي ومعناه، أي: أن اللفظ رمز لمعناه، والجملة: رمز لمفهومها، أو لمضمونها.

أيضًا ندرس في مجال الدلالة تطور معاني الكلمات تاريخيًّا، يوجد كلمات تتطور عبر الزمن يكون لها معنى، ثم بعد ذلك تتغير، أيّ ثورة اقتصادية، أو أيّ ثورة اجتماعية، أو أيّ ثورة سياسية، أو ثورة دينية أيضًا عندما جاء الإسلام تغيّرت بعض الألفاظ، فماتت ألفاظ، وحَيَتْ أخرى، وتغيّرت بعض الألفاظ من معاني قديمة إلى معاني أخرى جديدة بوجود الإسلام.

فعندنا كلمات ماتت مثل: أنعم صباحًا، وأنعم مساءً، وقولهم للملوك: أبيت اللعن، وما إلى ذلك. وكلمات حَيَتْ بمجيء الإسلام، لم تكن موجودة، كلفظ "النفاق"، والمنافق لم تكن موجودة قبل الإسلام -يعني: في الجاهلة- ولكنها وجدت؛ لأن النفاق لم يوجد إلا في المدينة، فطبعًا عندما تحيا بعض الألفاظ، وتموت أخرى، وتتغيّر معاني بعض الألفاظ من معنًى قديم إلى معنى حديث.

هذا ندرسه في المجال الدلالي، تطور معنى أو معاني بعض الألفاظ عندنا مثلًا لفظ: التيمّم، أو لفظ الحجّ، ولفظ التوبة، ألفاظ تغيّر معناها من المعنى اللغوي إلى المعنى الشرعي.

الحج كان معناه: مطلق القصد، عندما جاء الإسلام فأصبح معنى الحج: هو قصد بيت الله الحرام في وقت معين، وبأفعال معينة؛ بحيث لو قصد بيت الله الحرام، ولكنه لم يقف بعرفة لا يُعَدّ حجًّا؛ لأن يقول الرسول ﷺ: ((الحج عرفة)) فإن فاته عرفة لم يكن حجًّا.

أيضًا التيمم: قصد الصعيد الطيب بأفعال معينة، إذًا تغيّر معناه من معنى لغوي كان قبل الإسلام، إلى الاصطلاح الإسلامي.

أيضًا ندرس في المجال الدلالي تنوّع المعاني، فعندنا مثلًا التضادّ، والتّرادف، والمشترك اللفظي.

ترادف: عندنا أكثر من كلمة بمعنى واحد، مثلًا: ذراع وساعد بمعنى واحد، أيضًا سكين ومدية الاثنان بمعنى واحد، مرحاض وكنيف الاثنان بمعنًى واحد، فإذًا لفظٌ له معنيان أو أكثر، يعني: لفظ متعدّد المعنى، ومعنى له أكثر من لفظ، مثلًا: حنطة، وبر، وقمح، الثلاثة بمعنى واحد؛ فالقمح عند الشام لهجة شامية، والحنطة عند الكوفيين نفس الحبة المعروفة، البرّ أيضًا عند الحجازيين، الثلاثة بمعنى واحد قمح، وبر، وحنطة، فهذا نسميه المعنى المتعدد اللفظ، أو نسميه الترادف. إذًا الترادف ندرسه في المجال الدلالي.

بالعكس لفظ يدل على أكثر من معنى، فلفظ العين تدل على العين الجارحة، وعلى أحد النقدين: الذهب أو الفضة، وتدل العين على النفيس من كلّ شيء، نقول: هذا الرجل من أعيان البلد، أو هذه القصيدة من عيون الشعر يعني: من أنفس الشعر، أو من أجود الشعر... وما إلى ذلك.

أيضًا لفظ الجلل يدل على العظيم، والحقير، أو الضدين. السدفة: تدل على الضوء والظلمة، الضوء عند قبيلة قيس، والظلمة عند قبيلة تميم، شاعر تميم يقول:

وأقطع الليل إذا ما أسدفا ❖ ....

إذن لفظ يدل على معنيَيْن متقابلين، نسميه التضاد، إذًا العلاقة بين كلمات اللغة، أو تنوّع المعاني يعني: لفظ له أكثر من معنى، أو معنى له أكثر من لفظ، أو لفظ يدل على معنيين متقابلين.

المجاز اللغوي أيضًا من تنوّع المعاني، وهو اللفظ الذي يستعمل في غير ما وضع له، يعني: لفظ له حقيقة، يستعمل في معنى آخر غيرها.

عندما نستعمل –مثلًا- الأسد في الرجل الشجاع ومعناه الحقيقي: الحيوان المفترس، عندما نطلقه على الرجل الشجاع يكون هذا مجازًا لغويًّا.

أيضًا العلاقات بين كلمات اللغة -كما قلت- تدخل ضمن هذا المجال، هو مجال الدلالة: التضاد، والترادف، المشترك في اللفظ... إلخ.

دراسة نشأة اللغة وحياتها

من مجالات البحث اللغوي: البحث أيضًا في نشأة اللغة، أصل اللغة الإنسانية الأولى هل هي نشأت عن طريق التوقيف، أم نشأت عن طريق الاصطلاح، أم نشأت طريق المحاكاة، أم نشأت عن طريق الغريزة الكلامية.

ومن مجالات البحث اللغوي البحث في أصل اللغة الإنسانية الأولى، وهذه نظريات تدرس في أصل اللغة، مثل النظرية التوقيفية، وقال بها أبو الحسين أحمد ابن فارس إمام أهل السنة لأدلة طبعًا توقيفية، أدلة نقلية، وأدلة عقلية؛ فمن الأدلّة النقليّة قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣٠].

وهناك من يقول: بأن اللغة نشأت عن طريق المحاكاة، أي محاكاة أصوات الطبيعة في الأصل، ثم بعد ذلك نشأت ألفاظ وأساليب عن غير طريق المحاكاة.

والنظرية الاصطلاحية تقول: بأن اللغة نشأت عن طريق المواضعة والاصطلاح، ويعارضون المذهب التوقيفي، النظرية الطبيعية تقول أيضًا: بأن اللغة نشأت عن طريق الأساس بين الكلمة وما تدل عليه؛ بحيث عندما تنطق بكلمة تدلّ بذاتها على المعنى، وبعض هذه الآراء آراء مردود عليها، وعندما نتكلّم عنها بالتفصيل سنوضح كل ذلك.

حياة اللغة:

ندرس في هذا المجال اللغة الحية، واللغة الميتة.

اللغة الحية: هي التي يتكلّم بها عدد كثير جدًّا من الناس، وتستعمل في الاستعمال اليومي، يعني نتعلّم بها، نتحدث بها، ونتبادل المعلومات بها، نتبادل التجارة بها، أي مستعملة في الحياة اليومية.

إذا نقول: بأن هذه اللغة لغة حية، لغة يستعملها عدد كبير جدًّا من الألفاظ، لغة تعليم، لغة ثقافة، لغة تبادل تجارة، تبادل منافع... إلخ. كاللغة العربية لغة حية، لغة المثقفين، ولغة الشارع، واللغة الرسمية، ولغة القرآن الكريم، ولغة الحديث النبوي الشريف، نصلي بها، نتعلم بها، نقرأ القرآن بها، نقرأ الحديث بها، نكتب الرسائل بها، تستعمل في الأمم المتحدة، وفي جميع المنظّمات العالمية تسمّى لغة حية.

أما اللغة الميتة فهي تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ماتت وانتهت حتى في الاستعمال اليومي، أو بقي منها قليل أو نادر في الاستعمال اليومي، فاللغة القبطية لا يستعملها عدد كبير من الأشخاص، لا تستعمل في التعليم، لا تستعمل في الثقافة، أو في المجلّات، أو في الجرائد، أو في الكتب، يعني: لا تستعمل لغة ثقافة، لا تستعمل لغة تعليم، لا تستعمل كلغة مراسلات.

عندما نأتي إلى اللغة الفينيقية، أو اللغة الآكدية لم يبق منها شيء، إذا لغة ميتة، فالآكدية التي كانت موجودة في العراق، اللغة الفينيقية كانت موجودة في ساحل البحر الأبيض المتوسط، عند الفينيقيين أيضًا لغة بابلية، والأشورية ماتت وانتهت، لم يَبْقَ منها شيء.

أيضًا عندنا اللغة النقية واللغة الهجين، اللغة النقية: هي التي لم يدخلها شيءٌ من ألفاظ اللغات أخرى، لغة هجين يعني: طُعِّمَت ببعض الألفاظ من اللغات الأخرى.

إذن ندرس في حياة اللغة: اللغة الحية، واللغة الميتة، واللغة النقية، واللغة الهجين، وأيضًا اللغة الأمّ.

اللغة الأم: هي التي يتعلمها الطفل من أبوية من المخالطين له، كالطفل المصري -مثلًا- ينشأ يتعلم اللغة العربية؛ لأن المخالطين له أباه وأمّه، طبعًا يعرفون اللغة العربية، ويتقنونها، تسمّى اللغة الأم، بعد ذلك يتعلم في المدرسة اللغة الإنجليزية، أو اللغة الفرنسية، أو اللغة الألمانية تسمي اللغة الثانية.

اللغة الموحدة أيضًا من ضمن مجالات البحث اللغوي، اللغة الموحدة غير اللغة المفرقة، يعني: عندما كانت هناك لهجات في شبه الجزيرة العربية؛ لهجة تميمية، ولهجة حجازية، ولهجة قيس، ولهجة أسد، ولهجة أزد شنوءة، ولجهة طيئ... إلخ، لهجات مختلفة، توحّدت هذه اللهجات في لهجة واحدة، وهي اللهجة القرشية، وأصبحت اللغة القومية للعرب جميعًا؛ نزل القرآن بهذه اللهجة القرشية التي ضمّت إلى كيانها كثيرًا من لهجات القبائل الأخرى ما رأته أيسر على ألسنتها وما يحتاجون إليه من الألفاظ والأساليب، فأصبحت لهجة موحدة بنزول القرآن الكريم بها.

اللغة المُزَاحة يعني: اللغة كانت موجودة، ولكنها حلت لغة أخرى مكانها فَأُزيحت هذه اللغة من بلدٍ من البلدان، فنسميها لغة مزاحة يعني: حلّت محلها لغة أخرى.

اللغة المنشودة: هي ما ينبغي أن تكون عليه اللغة.

يعني اللغة العربية الفصحى، تستعمل في الاستعمال اليومي، تستعمل في المجلات، في الجرائد ننشد اللغة الفصحى بقواعدها وبضوابطها، تُسَمّى هذه اللغة المنشودة، اللغة الراقية؛ لأن عندنا فصيح وأفصح يعني: عندنا في اللغة العربية لغة فصحى، وهي لغة القرآن الكريم، لغة فصيحة، ولكنها ليست بمستوى لغة القرآن الكريم، وهناك لغة بعيدة عن الفصحى نقول: لغة نادرة، أو قليلة، أو غريبة، أو كذا.

أيضًا لغة تقنية الكمبيوتر تسمى لغة تقنية، ولغة خاصة، ولغة ثانوية، تقول لغة خاصة بفئة معينة من الناس، مثلًا لغة القانونيين والمستشارين، وما إلى ذلك

نسميها لغة القانون، ولغة المحاكم، ونسميها لغة خاصة بفئة معينة، لغة ثانوية يعني: ليست لغة أساسية.

أيضًا ندرس في هذا المجال انقسام اللغة إلى لهجات؛ لأن عندنا في أي لغة عندما تتّسع رقعة وبيئة هذه اللغة، ويتعدّد الناطقون بها يستحيل على هذه اللغة أن تحتفظ بوحدتها؛ وبكيانها فلا بد أن تتفرّق، أو تتفرّع إلى لهجات، وذلك ما حدث للغة العربية، عندما تعدّد الناطقون بها تميم، وأسد، وقيس، وأزد شنوءة، وطيئ... إلخ، وفصلت بينهم الفواصل -فواصل الطبيعية- انقسمت هذه اللغة إلى لهجات.

تفرّع اللغة إلى لهجات، أسبابه:

كثرة الناطقين بهذه اللغة، أو اختلاف المتكلمين من حيث الطبقات، ومن حيث أيضًا الأماكن اتسعت رقعة هذه اللغة، وتعدد الناطقون بها، وفصلت بينهم الفواصل؛ سواء أكانت فواصل سياسية، أو فواصل جبال، أو محيطات، أو فواصل اجتماعية التي هي فواصل الطبقات، طبقة فقيرة، وطبقة غنية، طبقة التجار، وطبقة المثقفين، وطبقة أرستقراطية، إذا فصلت هذه الطبقات استحال على اللغة أن تحتفظ بوحدتها وكيانها، ولا بد أن تتفرّع إلى لهجات.

أيضًا الوقوف على مفهوم البحث في الاصطلاح العلمي الحديث، من دراسة مجالات البحث اللغوية أيضًا نتعرف على مفهوم البحث اللغوي البحث اللغوي، ما حقيقة البحث اللغوي؟ هو في الاصطلاح العلمي الحديث: بذل الجهد في دراسة موضوع ما دراسة متأنية، ودقيقة، وناقده للوصول إلى الحقيقة.

دراسة البحث العلمي: هو بذل الجهد في دراسة موضوع ما، أي: موضوع نشأة اللغة، موضوع علم الدلالة، موضوع انقسام اللغة إلى لهجات، ولا بد أن ندرس أي موضوع دراسة بعمق، ودقة لنصل إلى الحقيقة، وهذه الدراسة المتأنية والدقيقة لا بد أن تكون دراسة ناقدة، يعني: نتصفح الآراء، نتصفح المسائل؛ لندلي بدلونا في البحث؛ ليكون البحث مثمرًا.

أيضًا علماء اللغة المحدثون عندما يدرسون الأصوات دراسة تحليلية معيارية يعللون، ليس كالمنهج الوصفي. المنهج الوصفي يدرس دون نظر إلى البنية التحتية، إنما المنهج المعياري هو الذي يعلل ويفسر، فمثلًا عندنا صوت المرأة صوت حاد، وصوت الطفل أيضًا صوت حاد.

عندما نقول هذا وفقط إذن هذه دراسة صوتية، إنما عندما نعلل لماذا كان صوت الطفل والمرأة صوتًا حادًّا؟ فنقول: لقصر الوترين الصوتيين وكثرة الذبذبات الصوتية التي تنتج عن قصر الوترين الصوتيين، كثرة الذبذبات في الثانية هي التي تؤدي إلى أن يكون الصوت حادًّا، أيضًا صوت الطفل قصر الوترين الصوتيين وكثرة الذبذبات هي التي تجعل الصوت حادًّا.

أما صوت الرجل فصوت عميق، يعني قليل الذبذبات؛ لأن الوترين الصوتين مرتخيان؛ فعدد الذبذبات قليل، أقل من صوت المرأة ولذلك نسمي صوت الرجل عميق يعني قليل الذبذبات فهذا هو التعليل والتفسير، وهذه هي الدراسة المعيارية التي تفسر وتعلل. فمن شروط البحث اللغوي ربط الظواهر اللغوية بأسبابها والابتعاد ما أمكن عن القول بالصدفة في تفسير ظاهرة لغوية معينة.

الاتجاهات العلمية في البحث اللغوي

عناصر الدرس

البحث اللغوي وشروط الباحث

تعريف البحث اللغوي: هو بذل الجهد في دراسة موضوع ما دراسة متأنية، ودقيقة، وناقدة للوصول إلى الحقيقة.

فإذا من شروط البحث العلمي أن تكون الدراسة بعمق، ودقة لنصل إلى الحقيقة، وهذه الدراسة المتأنية والدقيقة لا بد أن تكون دراسة ناقدة، يعني: نتصفح الآراء، نتصفح المسائل؛ لندلي بدلونا في البحث؛ ليكون البحث مثمرًا.

سمات الباحث اللغوي:

هناك أمور يجب على الباحث أن يتحلى بها إذا أراد البحث في اللغة. هذه الأمور كالتالي:

أولًا: يجب أن يثق بالعلم والبحث العلمي: فالأمم مدينةٌ بمعرفتها وتقدمها وازدهارها الحضاري للبحوث. والباحثون هم عمالقة الفكر الإنساني، والعلم هو الطريق للوصول إلى الحقائق اللغوية، أيضًا يجب على الباحث والباحثين القراءة المتأنية الواعية المستمرة بمتابعة كلِّ جديد بدراسات لغوية، والوقوف على تطور المصطلحات اللغوية، وأن يضع الباحث نصب عينيه الوصول إلى الحقائق.

ثانيًا: الأمانة العلمية: والأمانة العلمية تكون في النقل، وفي عزو الأقوال لقائليها، وفي النقد.

أما الأمانة العلمية في النقل، وفي عزو الأقوال لقائليها، فعندما تنقل نصا من كتاب أو من مرجع تنقل النص كما هو، أيضًا تنسب هذا النص إلى قائله إلى

مصدره إلى مظانه، أما إذا افتقدت الأمانة هذا خطر على البحث العلمي، ثم بعد ذلك تدقق في النص، وتحقق في هذا النص وتتعرف على صحته من نصوص أخرى أو من قائلين غير هذا الرأي لا بد أن نتحقق من هذا القول، كما قلنا في التحقق بالنسبة والمادة، يعني التحقق في مادة النص وفي نسبة النص. من حيث النسبة يعني عزوه إلى قائله، ومن حيث المادة هل هذه المادة أو هذا القول أو هذا الرأي صحيح أم غير صحيح.

أما الأمانة العلمية في النقد فعندما ننقد ننقد نقدًا موضوعيًّا ملتزمًا بآداب البحث، وعدم تجريح العلماء والباحثين.

ثالثًا: العمق والدقة: وذلك عن طريق التأصيل والتحقيق، والجمع والاستيعاب، والرجوع إلى المصادر الأولى. يعني نص لغوي نرجع إلى المصادر الأولى إلى سيبويه إلى الخليل، فإذا كان النص اللغوي من النصوص الغريبة -مثلًا- نرجع إلى كتب الغريب، وإذا كان من النصوص في المذكر والمؤنث، نرجع إلى كتب المذكر والمؤنث، ونص من النصوص في القراءات القرآنية نرجع إلى كتب القراءات القرآنية إذا نرجع إلى أصل هذا النص.

رابعًا: الجمع بين القديم والحديث: يعني عندما نتكلم في اللغة نرجع إلى المصادر الأولى، إلى سيبويه، إلى الخليل، أيضًا نرجع إلى مصادر حديثة، نبدأ من حيث انتهى القدماء، ولا يقف العلم عند مرحلة من المراحل، بل لا بد أن تزاوج بين القديم والحديث، والجمع بين القديم والحديث يعني بين الأصالة والمعاصرة، ندرس القديم بمنهج حديث؛ لنتعرف أو لنصل إلى حقيقة القديم؛

لأن اللغة متصلة الأجزاء ليخرج الباحث موضوعة بثوبه الجديدة ؛ فيدون قطوف جهوده وثمرة أفكاره. ونتاج قرائحه.

خامسًا: أن تكون للباحث شخصية بارزة في بحثه ؛ فيضعف ويرجَّح ويقوي ، هذه من شروط البحث اللغوي يعني الباحث ليس جمّاعًا للآراء ، وإنما عليه أن يدلي بدلوه في مباحثه أو بحثه فيناقش ويعقب ويضعف ويرجح.

سادسًا: سلامة الأسلوب ووضوحه ، يعني عندما نبحث في موضوع من الموضوعات كالغريب ، لا نشرح الكلمة بكلمة غريبة مثلها ، ولكن لا بد أن نوضح الغريب إذًا توخي سلامة الأسلوب ووضوحه ؛ ليخرج الباحث بحثه ميسرًا ، سهل التناول لطلاب العلم والمعرفة ، أيضًا انتقاء الأساليب الرائعة ؛ ليعبر الباحث عن ألوان البيان المختلفة من القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وأقوال العرب الفصحاء من بدوٍ وحاضرةٍ من شعرائهم وخطبائهم.

سابعًا: عدم التكرار للشواهد ، وعدم التكرار للتفسيرات ، وعدم الاستطراد لأدنى ملابسة.

ثامنا: ربط الظواهر اللغوية بأسبابها ، والابتعاد ما أمكن عن القول بالصدفة في تفسير ظاهرة لغوية معينة ، وهذا ما سلكه قدماؤنا من علماء العربية ؛ فكانوا يعللون بالعلل الحقيقية. والتعليل موجود في الدراسة الحديثة أيضًا. علماء اللغة المحدثون عندما يدرسون الأصوات دراسة تحليلية معيارية يعللون. أما المنهج الوصفي فهو الذي يدرس اللغة دون تعليل وتوجيه، ودون النظر إلى البنية التحتية.

مثال الفرق بين المنهج المعياري، والمنهج الوصفي من حيث التعليل وعدمه:
عندنا صوت المرأة صوت حاد، وصوت الطفل أيضًا صوت حاد .عندما نقول هذا ونسكت إذًا هذا دراسة صوتية، إنما عندما نعلل لماذا كان صوت الطفل والمرأة صوتًا حادًّا نقول: لماذا؟ لقصر الوترين الصوتيين وكثرة الذبذبات الصوتية التي تنتج عن قصر الوترين الصوتيين، كثرة الذبذبات في الثانية هي التي تؤدي إلى أن يكون الصوت حادًّا. وصوت الطفل أيضًا قصر الوترين الصوتيين وكثرة الذبذبات هي التي تجعل الصوت حادًّا، أما صوت الرجل فصوت عميق، يعني قليل الذبذبات؛ لأن الوترين الصوتين مرتخيان؛ فعدد الذبذبات قليل، أقل من صوت المرأة، ولذلك نسمي صوت الرجل عميقًا، يعني: قليل الذبذبات، فهذا هو التعليل والتفسير، وهذه هي الدراسة المعيارية التي تفسر وتعلل.

مناهج البحث اللغوي

عناصر الدرس

المنهج الوصفي

وفيما يلي أبرز المناهج التي تستخدم في علم اللغة.

يعتمد هذا المنهج على وصف اللغة وفحص ظواهرها ومظاهرها كما هي مستعملة في مكان معين، وزمان محدد ؛ فيصف أصوات اللغة مثلًا أو تراكيبَها كما هي، لا كما يجب أن تكون ؛ ولذا ابتعد عن تفسير الظواهر اللغوية المختلفة ؛ لأن من شروط البحث العلمي تفسير الظواهر اللغوية وتعليلها.

وهذا المنهج فَقَدَ أهميتَه ؛ لأنه ابتعد عن تفسير الظواهر اللغوية وتعليلها، فمثلًا يصف لنا صوت الرجل بالخشونة والعمق، وصوت المرأة بالنعومة، ولا يقدم لنا تفسيرًا لذلك ولا تعليلًا من حيث العلاقة بين ذلك وبين عدد اهتزازات الوترين الصوتيين وغِلظهما.

ولا يقدم لنا تفسيرًا لماذا يكون مضارع "قال" : "يقول"، ومصدره "قَوْل"، في حين أن مضارع "باع" : "يبيع" ومصدره "بيع" ؛ مع أن "قال" و"باع" على وزنٍ واحدٍ، لا يقدم لنا تفسيرًا عن هذا ؛ لأنه لا ينظر إلى البنية التحتية ؛ "قال" أصله "قول"، و"باع" أصله "بيع"، إنما المنهج المعياري عندما ينظر إلى مثل هذه الأمثلة فيقول : "باع" أصله "بيع"، "فَعَل"، "بَيَعَ"، و"قال" : "قَوَلَ"، "فَعَلَ" ؛ فيقدم التفسير لماذا؟ لأنه وقف على البنية التحتية ويفسر لنا من خلال هذه البنية التحتية.

أيضًا في الفعل المضعف نحو : "مدَّ" و"شدَّ" و"ودَّ" و"حبَّ" لا يقدم لنا تفسيرًا ولا تعليلًا.

إنما المنهج المعياري نجد أنه يقول مثلًا في الفعل المضعف "مدَّ" : إن أصله : "مَدَدَ" "فَعَلَ"، و"شدَّ" : "شَدَدَ"، و"ودَّ" : "وَدِدَ" فَعِلَ، و"حبَّ" "حَبُبَ" ينظر إلى البنية التحتية.

أيضًا المنهج الوصفي لا يقدم لنا تفسيرًا في صيغة "افتعل" في مثل: "اصطبر" وأن أصلها "اصتبر"، يعني: أصل الطاء تاء فـ"اصطبر"، يعني "افتعل"؛ فطبعًا عندنا الصاد من أصوات التفخيم مثل الضاد والطاء والظاء، وأصوات الإطباق هي أعلى درجات التفخيم.

أما المنهج المعياري فيقول: أصل ميزان: مِوْزَان؛ الواو وقعت ساكنة بعد كسرة؛ فقلبت الواو ياءً، فلا يعترف المنهج الوصفي بالبنية التحتية، يعني لا يقول بأن "ميزان" أصلها "موزان"؛ لأن البنية التحتية أصلها من "وَزَنَ"؛ "مِفْعَال": "موزان".

المنهج الوصفي: لا يعترف بالبنية التحتية؛ لا يصدر أحكامًا على الظواهر اللغوية من حيث الصحة والخطأ. المنهج الوصفي يصف اللغة كما هي، يعني اللغة المُتَكَلَّمة كما هي، لا كما يجب أن تكون، بخلاف المنهج المعياري، يصف اللغة باعتبار ما يجب أن تكون عليه لا ما هي كائنة.

المنهج المقارن

يعتمد هذا المنهج على المقارنة والموازنة للظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، في طائفة من اللغات تنتمي إلى مجموعة لغويةٍ واحدةٍ، أو عائلةٍ لغويةٍ واحدة. عندما نقارن أو نوازن بين ظاهرة الإبدال في اللغة العبرية واللغة العربية، أو بين ظاهرة الإبدال أو بين ظاهرة القلب، أو بين ظاهرة الإمالة في اللغة العربية واللغة العبرية في مجموعة من اللغات من أصل واحد، مثلًا الفصيلة السامية منها اللغة العربية واللغة العبرية؛ فهذا المنهج هو منهج المقارنة والموازنة يوازن ويقارن

بين الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ؛ لأن مستويات اللغة أربعة مستويات : مستوى صوتي ، ومستوى صرفي ، ومستوى نحوي ، ومستوى دلالي. فعندما نقارن بين ظاهرة صرفية ، أو ظاهرة نحوية ، أو ظاهرة دلالية ؛ نستخلص القوانين التي تحكم هذه اللغة ، نقول مثلًا : فإنه في هذه المجموعة من لغات المجموعة السامية ، يحدث تبادل بين الأصوات ، مثلًا السين والشين ، السين في العربية تكون شينًا في العبرية مثل : "سلام" : "شلوم" ، "ثلاثة" : "شلوش" ، إذًا يوجد حروف أو أصوات تنقلب أو تبدل إلى حروف أخرى في نفس المجموعة ؛ نصل إلى قوانين هذه الظواهر اللغوية.

المنهج المقارن: نشأ مع بداية القرن التاسع عشر ، ولهذا المنهج أهمية بالنسبة لِعَالِمِ اللغة في كل الميادين اللغوية ، في الأصوات في الصرف في النحو في الدلالة ، منهج مقارنة وموازنة بين هذه الظواهر اللغوية ، إلا أننا نجد في هذا المنهج بعض العيوب : أنه يؤدي إلى نتائج غير سليمة في بعض الأحيان ؛ وسبب هذه النتائج - التي قد تكون غير سليمة - لا يرجع إلى المنهج ذاته ، وإنما يرجع ذلك إلى عدم الاستقراء الكامل ، والعَجَلة في الحكم على الظواهر اللغوية ؛ إذًا المنهج لا عيب فيه ، ولكنّ العيب في الباحث الذي لا يستخدم الاستقراء الكامل ويتعجلُ في الحكم على الظواهر اللغوية.

تابع مناهج البحث اللغوي

عناصر الدرس

المنهج المعياري

هو منهج للبحث يهتم بوصف اللغة كما يجب أن تكون، لا كما هي كائنة، فمثلًا عندما ننطق بصوت كصوت الثاء، نقول: إن صوت الثاء عند سكان القاهرة يُنطق كصوت السين، نقول للمعهد الثانوي: "المعهد السانوي"؛ نُطِقَ كصوت السين.

المنهج المعياري لا يقول: إن صوت الثاء صوت يخرج من طرف اللسان مع أطراف الثنايا، وأنه تحول إلى كذا في لهجة القاهرة.

إذًا المنهج المعياري يصف اللغة كما يجب أن تكون، فالثاء تنطق ثاء لا سينًا، الذال تنطق ذالًا لا زايًا.

فإذا كان المنهج الوصفي يصف اللغة كما هي في اللغة المتكلمة، فإن المنهج المعياري يصف اللغة المثلى، أو اللغة على ما يجب أن تكون عليه، أو على أنها مثالٌ يُحتذى، لا اللغة المتكلمة؛ فاللغة المتكلمة في اللهجات الدارجة لغة حوِّرت، ولغة انحرفت في بعض أصواتها؛ والمنهج الوصفي لا ينظر إلى هذا؛ فلا ينظر إلى أن هذا الصوت كان أصله كذا، أو أن هذا الصوت حُرِّفَ إلى كذا، أو حُوِّر إلى كذا، ولكن يصفه كما هو فيقول: اللهجة القاهرية كذا، واللهجة اللبنانية كذا، واللهجة الموريتانية كذا... إلخ.

المنهج المعياري -كما يبحث اللغة ويصف اللغة كما يجب أن تكون عليه، بقطع النظر عن الزمان والمكان- يعترف بالبنية التحتية، أي يقول: إن "قال" مثلًا أصلها "قَوَلَ".

وقد استنبط علماء العربية القدامى المعاييَر وضوابطَ اللغة من مصادرها: القرآن الكريم، القراءات القرآنية، الحديث النبوي الشريف، كلام العرب شعره ونثره حتى نهاية عصور الاحتجاج اللغوي.

إذن المنهج المعياري له أهمية بالنسبة لعالم اللغة في كل الجوانب اللغوية.

المنهج التاريخي

هو منهج للبحث، يقوم الباحث عن طريقه بدراسة تطور الجوانب: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والمفرداتية، للغة ما عبر العصور التاريخية المختلفة.

فعندما نبحث في تطور الأصوات -في الجوانب الصوتية- نجد صوت القاف كان قديمًا مجهورًا وأصبح الآن مهموسًا، وصوت الطاء كان قديمًا مجهورًا وأصبح الآن مهموسًا؛ إذًا المنهج التاريخي يدرس تطور الجانب الصوتي.

كذلك يدرس المنهج التاريخي التطورَ الذي حدث في الجانب الصرفيّ، فيذكر مثلًا أن جانب البنية فيه طول كذا، أو فيه قصر كذا، ...، فيدرس الجوانب الصرفية المتعلقة بالبنية. وقلنا مثلًا: "قاسية" و"قسيَّة": "فَعَلَ" و"أَفْعَلَ" يدرس الجوانب المتصلة بالبنية، والمتصلة بالنحو، والمتصلة بالدلالة والمفردات، عبر العصور التاريخية المختلفة.

المنهج التاريخي له أهمية قصوى بالنسبة للمفردات؛ لتطور دلالة المفردات، ولذلك عندنا مثلًا المعجم التاريخي له أهمية قصوى؛ لأننا لا نصل إلى دلالة المفردات عبر التاريخ إلا عن طريق المنهج التاريخي.

فلفظ "كعبة" كان في الأصل يطلق عامًّا على كل بيت مربّع ، أما الآن فقد خُصِّصَ معناه –أي : تطورت دلالته- فأصبح لا يطلق إلا على البيت الحرام.

ولفظ "بلغة" كان لفظًا راقيًا ثم انحطت دلالته ؛ حيث كان يطلق على ما يكفي لسد الحاجة ، أما الآن صار يطلق على الأحذية.

فإذًا قد يكون هناك لفظ عام يطلق على معنى عامّ، وبعد ذلك تخصّص دلالته ، وقد يكون هناك لفظ خاصّ ثم يعمم ، وقد يكون هناك لفظ يطلق على معنى راق ثم بعد ذلك تنحط دلالته... إلى آخره.

أهمية المنهج التاريخي، ووضع المعاجم التاريخية

إن لهذا المنهج أهمية بالنسبة لعلم اللغة ، وبخاصة في الجوانب الدلالية ؛ فعن طريقه توضع المعاجم التاريخية التي تسرد تاريخ المفردات ، وتوضح ميلاد المفردات الجديدة ، أو ميلادَ معانٍ جديدة لمفردات قديمة ، كمعجم أكسفورد للغة الإنجليزية ، ومعجم اللغة الفرنسية التاريخي.

وإذا كان علم اللغة الوصفيّ يمكن أن يوصف بأنه علم ساكن ؛ لأن اللغة فيه توصف بوجه عام بالصورة التي توجد عليها في نقطة زمنية معينة ، فإن الأمر يختلف بالنسبة إلى علم اللغة التاريخي ؛ إذ يتميز بفاعلية مستمرة ؛ فهو يدرس اللغة من خلال تغيراتها المختلفة ، وتغيرُ اللغة عبر الزمان والمكان خاصةٌ فطريةٌ في داخل اللغة وفي كل اللغات ، كما أن التغير يحدث في كل الاتجاهات -مستويات صوتية ، ومستويات صرفية ، ومستويات نحوية ، ومستويات مفرداتية- ولكن ليس على مستوًى ، ولا طبقًا لنظام معين ثابت.

هذه التغيرات اللغوية تعتمد على مجموعة من العوامل التاريخية، وبينما يمكن دراسة هذه التغيرات دراسة وصفية هي محض تعريف بأشكال التغيرات الحادثة؛ فإنه لا يمكن عزلها عن الأحداث التاريخية التي تصاحب وجودها، إذًا هذه التغيرات الحادثة في الأصوات والمفرداتوالصرف والنحو والتراكيب، لا يمكن عزلها عن الأحداث التاريخية التي تصاحب وجودها.

ولَمَّا كانت الوظيفة الأولى لعلم اللغة الوصفية هي: أن يصف، ولعلم اللغة التاريخي هي: أن يعرض التغيرات اللغوية، كان من الصعب الفصل بين النوعين في مجال التطبيق العملي؛ وذلك لأن كل المصطلحات التي استعملت تحت العنوان الوصفي قابلة كذلك -من الناحية العملية- للاستعمال مع الفرع التاريخي.

فالدراسة الوصفية تعني: دراسة اللغة أو إحدى ظواهرها في حيز زمني محدد، بصرف النظر عن حالة اللغة قبل وصولها إلى تلك الحال المدروسة، وبصرف النظر أيضًا عن حالتها بعدها، كأن ينظر الباحث مثلًا في مدى تخصيص اللغة العربية للعاقل وغير العاقل باسمين موصولين متميزين: "مَنْ" و"مَا"؛ انطلاقًا من النص القرآني الآتي قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، [النور: ٤٥] وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ [النساء: ٢٢] عندنا في المثال الأول قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾، فالثعبان هو الذي يمشي على بطنه، وهو غير عاقل، و"مَن" خصصت عندنا في فترة زمنية بعدها للعاقل، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾، الذي يمشي على رجلين هو -مثلًا- الدجاجة، وهي غير عاقلة، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾، والذي يمشي على أربع هو البهيمة، وهي غير عاقلة ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴾ ، فـ"مَنْ" كانت في الأصل تطلق على العاقل وغير العاقل ، فلم تخصص "من" للعاقل ، و"ما" لغير العاقل ؛ ولكن كان "من" اسم الموصول بمعنى "الذي ، و"ما" كانت تطلق على العاقل وغير العاقل.

وقال علماء اللغة : إن هذا من باب التغليب ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم ﴾ [النساء : من الآية : ٢٢] عندنا "ما" هنا لغير العاقل لم يقل "ولا تنكحوا من نكح" إنما هنا ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ﴾ "ما" بعد ذلك خصصت لغير العاقل إنما كان عند ورود النص القرآني للعاقل ولغير العاقل.

ومن أمثلة التفريق بين العاقل وغير العاقل في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾ [يونس : ٤٠] "من" هنا للعاقل ، وقوله تعالى : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل : ٩٦] "ما" هنا لغير العاقل ، وهو كثير ؛ لِيُنتهى بعد هذا التفريق إلى أن العربية في ذلك الحيزّ الآنيّ من تاريخها -يعني حيز الوقت الذي نزل فيه القرآن الكريم- كانت لا تفرّق ألبتة بين العاقل فتخصه بـ"من" ، وبين غير العاقل فتخصه بـ"ما" ، أو أنها كانت تميز بنسبةٍ ما ؛ فَيُبْحَثُ عندئذٍ عن تواتر حالات التمييز وعدم التمييز من خلال المصدر الأول من مصادر الاحتجاج اللغوي وهو القرآن الكريم.

متى مُيز بين العاقل وبين غير العاقل ؛ فخص العاقل بـ"من" وغير العاقل بـ"ما"؟

نستطيع أن نتعرف على ذلك من خلال دراستنا للقرآن الكريم ، فنقف على الفترة الزمنية التي خصّصت فيها "من" بالعاقل ، و"ما" بغير العاقل.

كذلك قد تتناول الدراسة التاريخية ظاهرةً لغوية ما ، عبر تطورها التاريخي ؛ بأن يعمد الباحث اللغوي إلى استقراء ظاهرة تميز العاقل وغير العاقل في العربية منذ كانت لنا وثائق لغوية ونصوص مؤرخة.

وقد كان منهج التاريخي منتشرًا طيلة القرن التاسع عشر، وكان طاغيًا على المناهج الأخرى، حتى جاء "فرديناند دي سوسير" فأبرز أهمية الدراسة الوصفية للظاهرة اللغوية.

والمنهجان معًا: الوصفي والتاريخي، يرسمان بيانًا بمحورين متقاطعين: أحدهما أفقي، وهذا يمثل الصيرورة الزمنية؛ حيث يكون مجموعة من النقط المتعاقبة، مثلما أن التاريخ مجموعة أزمنة متلاحقة. والآخر عمودي، ويشير إلى الوقوف في محور الزمن على نقطة معينة أو حيز محدد.

اعتماد الدراسة التاريخية على المادة المكتوبة، وعلاقة المنهج التاريخي بالمقارن

من حيث طبيعة البحث: لا بد أن تعتمد الدراسة التاريخية على المادة المكتوبة بقدر ما تعتمد الدراسة الوصفية على المادة الكلامية للمتكلمين أحيانًا، كما أن الدراسة التاريخية تكشف أيضًا عن طبيعة التطور الذي حدث للغة وتفصح عن أبعاده وتمدنا بأسراره لنقف على القوانين اللغوية التي تخضع لها اللغة، فالدراسة التاريخية تجمع بين اللغة المتكلمة واللغة المسجلة المكتوبة، والمادة المكتوبة هي ما يجب أن تكون عليه اللغة، يعني: اللغة كانت هكذا ثم تطورت في اللغة المتكلمة أو اللغة المنطوقة. عندنا لغة منطوقة ولغة مكتوبة والكلام يعبر عن اللغة، أما الكتابة فهي تعبير ثانوي عن اللغة.

إذن تعتمد الدراسة التاريخية على اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة؛ لنتعرف من خلال النصين -النص المكتوب، والكلام المنطوق- على ما حدث للغة من تطور عبر التاريخ من خلال الزمن.

وليس المنهج المقارن إلا امتدادًا للمنهج التاريخي في أعماق الماضي السحيق، فإذا أردنا أن نقارن بين النصوص القديمة والحديثة فلا بد أن نعتمد على المنهج التاريخي؛ ولذلك نقول: إن المنهج التاريخي له أهميته بالنسبة لعالم اللغة، ... إلى آخره.

بينما تجمع الدراسة الوصفية المادة دون اختيار أو تفضيل تعبير على آخر، وذلك عكس الدراسة المعيارية التي تقوم بانتقاء المادة محل الدراسة، وانتخابها لتحظى بالقبول، وتحوز الرضا عند الطبقة المثقفة.

المنهج الوصفي عبارة عن "أ، ب..." الدراسات اللغوية؛ ولذلك عندما يصعب علينا التعليل نقول: خذ هذا على علاته، أو كما قال القدماء: أيا كذا خلقت.

فالمنهج الوصفي لا يعلل ولا يفسر، ولا يعترف بالبنية التحتية، ولا ينتقي نصًّا من النصوص. كما أن الدراسة الوصفية لا تفضل تعبيرًا على آخر؛ فالأساس في الدراسة الوصفية هو استعمال أسلوب بلهجة معينة، بلهجة القاهرة، بلهجة دمشق، بلهجة الحجاز، بلهجة موريتانيا، بلهجة الجزائر، بلهجة سوريا.

والمنهج المعياري ينتقي النصوص من عصور الاحتجاج؛ من القرآن الكريم، من الشعر العربي الفصيح في عصور الاستشهاد - شعراء جاهليين، شعراء مخضرمين، شعراء صدر الإسلام؛ الذين اعترف بهم البعض- فالدراسة المعيارية تقوم بانتقاء المادة -محل الدراسة- وانتخابها، كما يميز الباحث في هذه الدراسة بين مستوى الصواب ومستوى الخطأ.

نماذج تطبيقية لتوضيح كل منهج

نماذج تطبيقية للمنهج الوصفي:

سأل الكسائي في حلقة يونس فقال: أيٌّ كذا خلقت. يعني: يخفى التعليل. نقول: أيٌّ كذا خلقت. هل تقدم العامل؟ هل تأخر؟... إلى آخره؛ نقول: أيٌّ كذا خلقت؟

فالمنهج الوصفي لا يعلل، وهذا كان موجودًا أيضًا عند العرب في بعض الأمثلة عندما يقول: أيٌّ كذا خلقت؟ خذ هذا على علته... يعني عندما تسأل في مسألة من المسائل ولا تدري ما العلة، تقول: خذه على علته. أو هكذا وجد، ويعد هذا منهجًا وصفيًّا -كما هو مستعمل.

مثال آخر للمنهج الوصفي: يقول ابن جني: في (سر صناعة الإعراب): اعلم أن للحروف في اختلاف أجناسها انقسامات، نحن نذكرها، فمن ذلك انقسامها في الجهر والهمس، وهي على ضربين: مجهور ومهموس؛ فالمهموسة عشرة أحرف، ويعدِّدُ الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والصاد والتاء والسين والفاء والثاء. هي مجموعة "سكت فحثه شخص" لا تهز الأوتار الصوتية.

لم يقل ابن جني: مهموسة؛ لأنها لا تهز الأوتار الصوتية. ولم يقل: هذه مجهورة؛ لأنها تهز الأوتار الصوتية.

يقول عصام الدين إبراهيم بن عرب شاه الإسفراييني في باب البديع: هو علم يعرف به وجوه التحسين بعد المطابقة ووضوح الدلالة، وهي معنويةٌ ولفظيةٌ، فالمحسنات المعنوية هي:

المطابقة: وهي جمع المتنافيات -يعني المتقابلات- نحو ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] "يحيي" عكس "يميت"، و"يميت" عكس "يحيي"، ونحو: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] "كسبت" و"اكتسبت"، "كسب" في الخير في البر، و"اكتسب" في الشر. لم يقل لنا: لماذا كان كذا، ولا يفسر ولا يعلل، يعد هذا منهج منهجًا وصفيًّا.

أيضًا المقابلة: وهي جمع أمور مع مقابلتها مثل قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾ [التوبة: ٨٢] "فليضحكوا" تقابل "يبكوا"، و"قليلًا" تقابل "كثيرًا".

والمشاكلة: وهي ذكر الشيء بلفظ غيره للصحبة ولو تقديرًا، نحو قول الشاعر:

قالوا اقترح شيئًا نُجِدْ لكَ طَبْخَهُ ❖ قُلْتُ هم: اطبخوا جُبَّةً وقَمِيصًا

الجبة والقميص لا يطبخان؛ ولكن لأنه قرن بالطبخ، هنا مشاكلة، ونحو قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٣٨] أي: تطهيرًا لله في مقابلة غمس النصارى لصبيانهم في ماء أصفر للتطهير.

ومراعاة النظير: وهي جمع المتناسبات في نحو قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ❖ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [الرحمن: ٥، ٦] الشمس تناسب القمر، والنجم يناسب الشجر، والشمس والقمر علويان، والنجم والشجر سفليان - النجم هنا المقصود به النبات الذي لا ساق له. الشمس والقمر بحسبان يعني: يجريان بحساب دقيق طاعة لله ﷻ مسخران من الله ﷻ وأيضًا النجم والشجر يسجدان هنا مراعاة نظير، ولكنه لم يذكر تفسيرًا ولا تعليلًا؛ فهنا أيضًا نقول بأنه منهج وصفي.

والمزاوجة: وهي ترتيب معنى واحد على معنيين في الشرط والجزاء، نحو قول البحتري:

إذا ما نهَى النَّاهي فلجَّ بيَ الهوَى ❖ أصاخَتْ إلى الواشي فلجَّ بها الهجرُ

لم يعلل ولم يفسر.

أيضًا من نفس النص العكس جعل الجزء المقدم من الكلام مؤخرًا، والمؤخر مقدمًا، نحو قوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ [الروم: ١٩].

واللف والنشر أيضًا: جمع متعدد ونشر ما يتعلق بكلٍّ ترتيبه نحو: ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [القصص: ٧٣] فهذا النص أيضًا لم يعلل عصام الدين إبراهيم بن عرب شاه الإسفراييني لماذا كان هذا؟ ولماذا كان ذاك؟ ولكنه منهج وصفي.

وذكر أيضًا جمع إدخال متعدد في حكم نحو: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٦].

نماذج تطبيقية للمنهج المقارن:

الذين يقولون بأن المنهج المقارن حديث ولم يكن قديمًا مخطئون؛ ولنضرب مثالًا من المنهج المقارن لعلماء اللغة القدامى:

يقول ابن فارس: للعرب كلام بألفاظ به معانٍ لا يجوز نقلها إلى غيرها؛ يكون في الخير والشر، وفي الحسن والقبيح، وفي الليل والنهار.

فابن فارس يقول للعرب كلام مختصين به هذا الكلام به معانٍ لا يجوز نقلها إلى غيرها من اللغات. إذن ابن فارس عندما يقول ذلك يقارن ويوازن بين اللغة العربية واللغات الأخرى، فهذا منهج مقارن.

يقول ابن فارس: من ذلك قولهم: مكانك، قال أهل العلم: هي كلمة وضعت على الوعيد قال الله -جل ثناؤه-: ﴿مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ [يونس: ٢٨] كأنه قيل لهم: انتظروا مكانكم؛ حتى يفصل الله بينكم.

ومن ذلك قول النبي ﷺ: ((ما يحملكم على أن تتايعوا في الكذب، كما يتتايع الفراش في النار)) قال أبو عبيد: هو التهافت ولم نسمعه إلا في الشر.

يقول ابن فارس: سمعت أبا القاسم علي بن أبي خالد يقول: سمعت ثعلبًا يقول: "أولى له" أي داناه الهلاك، وأصحابنا يقولون: "أولى" تهديد ووعيد وهو قريب من ذلك. ومن ذلك: "ظل فلان يفعل كذا" إذا فعله نهارًا هذا خاص باللغة العربية، و"بات يفعل كذا" إذا فعله ليلًا، وفي باب نظم للعرب لا يقوله غيرهم يضيف ابن فارس قوله: ويقولون: "عَادَ فلان شيخا"، وهو لم يكن شيخًا قط، و"عاد الماء آجنًا" وهو لم يكن آجنًا فيعود.

ومن ذلك في كتاب الله -جل ثناؤه: ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] والكفار لم يكونوا في نور قط، ومثله ﴿يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [النحل: ٧٠] وهو لم يكن في ذلك قط، وقال الله -جل ثناؤه: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩] فقال: "عاد" ولم يكن عرجونًا قبل.

ويذكر ابن فارس في باب إخراجهم الشيء المحمود بلفظ يوهم غير ذلك فيقول: يقولون: "فلان كريم غير أنه شريف" و"كريم غير أن له حسبًا" وهو شيء تنفرد به العرب، فهذا أيضًا من المنهج المقارن.

يقول الشاعر: -

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم ❖ بهن فلولٌ من قراع الكتائب

"ولا عيبَ فيهم": هذا مدح.

فعندما نكمل البيت، نجد أنه لم يستثنِ عيبًا، ولكنه استثنى مدحًا لهؤلاء القوم. إذن هذا الأسلوب انفردت به العرب، ويسمى "تأكيد المدح بما يشبه الذم" فهنا أكد مدحه بما يشبه الذم؛ لأنه أتى بـ"غير" فأوهمنا أن هناك عيبًا، هذا العيب وجدناه مدحًا؛ لأننا عندما نقول: "ولا عيب فيهم" مدحنا هؤلاء القوم، وعندما نقول: "غير" إذن نريد أن نستثني عيبًا من هذه العيوب، فوجدناه استثنَى مدحًا أيضًا.

وقال الآخر:

فتى كملت أخلاقُه غير أنه ❖ جواد فما يبقي من المال باقيا

قال "فتى كملت أخلاقه": مدح. "غير أنه": هذا الاستثناء يُوهم أن هناك عيبًا من العيوب سيستثنى من كمال الأخلاق، فوجدناه ليس عيبًا، ولكنه مدح بما يشبه الذم، فهذا يسمى في علم البديع: تأكيد المدح بما يشبه الذم.

ويقول ابن فارس أيضًا في باب الإتباع للعرب: الإتباع وهو أن تَتْبَعَ الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رويها إشباعًا وتأكيدًا، وروي أن بعض العرب سئل عن ذلك فقال: هو شيء نتدبه كلامنا، يعني نؤكد به كلامنا، ومن ذلك قولهم: "ساغب لاغب" و"خراب يباب" نأتي بالكلمة على وزنها أو رويها إشباعًا وتأكيدًا؛ فنؤكد كلام السابق وهو "خَبٌّ ضب" و"خراب يباب" ثم يقول ابن فارس: وقد شاركت العجم العرب في هذه الباب.

إذن هذا منهج مقارن، يقارن بين اللغة العربية واللغات الأخرى، وهذا شيء انفردت به العرب، أو شيء قالته العرب، وقاله غير العرب؛ إذًا منهج الموازنة أو المقارنة كان موجودًا عند العرب قديمًا.

وكثيرًا ما تكون الكلمة الثانية لا معنى لها، وغير ذلك كثير مما اختصت به العربية دون غيرها من اللغات، وتكلم عنه علماء العربية، أو لم تنفرد به العربية، ووازنوا بينه في العربية وغيرها، أو لم يوجد له نظير في العربية، وحاولوا تعريبه، أو وُجِدَ له نظيرٌ إلا أنه أثقل نطقًا من نظيره الأعجمي...

يقارن أو يوازن بين العربية وبين غيرها من اللغات عن طريق أنه يأتي بما اختصت به العربية، ويقول هذا اختصت به العرب، هذا وُجِدَ عند العرب وعند غيرهم. يقارن ويوازن بين اللغة العربية وبين غيرها من اللغات.

ونختم منهج المقارنة والموازنة بين اللغة العربية وغيرها، بما قاله ابن جني عن اجتماع السواكن والتقاء الساكنين في لغة العجم. فيقول:

ومن طريف اجتماع السواكن شيء وإن كان في لغة العجم، فإن طريق الحس موضع تتلاقَى عليه طِباع البشر، ويتحاكم إليه الأسود والأحمر، وذلك قولهم: "آرْدْ" الراء ساكنة، والدال ساكنة، ومعنى أرد: الدقيق. و"ماسْتْ" للبن، فيجمعون بين ثلاثة سواكن، عندنا هنا: "أرد" الألف والراء والدال، وهنا أيضًا "ماست" الألف ساكنة، والسين ساكنة، والتاء ساكنة، فاجتمع هنا ثلاثة سواكن. عندنا في اللغة العربية لا يجتمع ساكنان إلا في آخر الكلمة -إنما في وسط الكلمة لا يجتمع ساكنان- وفي حالة الوقف عندما نقول -مثلًا-: ﴿مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] الياء ساكنة والنون ساكنة،

﴿ مُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠] الواو ساكنة والنون ساكنة أيضًا، ونسميه هنا في علم التجويد "المد العارض للسكون".

يقول ابن فارس: بأنه لا يرى اجتماع السواكن إلا إذا كان الأول من السواكن ألفًا؛ وذلك لأن الألف لَمَّا قاربت بضعفها وخفائها الحركة، صارت "ماسْتْ" الألف ساكنة والسين ساكنة والتاء ساكنة، اجتمع هنا ثلاثة سواكن، قصرنا الحركة الطويلة -الألف- إلى حركة قصيرة -الفتحة- فصارت "ماسْتْ" "مَسْتْ" لأننا إذا نظرنا إلى حروف اللين، نجد أن حروف اللين: هي الفتحة والضمة والكسرة، عندما تكون قصيرة، والألف والواو والياء عندما تكون طويلة، فالفتحة حركة قصيرة، والألف حركة طويلة، والكسرة حركة قصيرة، والياء حركة طويلة، والضمة حركة قصيرة، والواو حركة طويلة.

لا فرقَ بين الحركة القصيرة والحركة الطويلة، إلا فيما يستغرقه الصوت من الزمن، إذا نطقنا بالحركة القصيرة كالفتحة -مثلًا- فننطق بها مقدار قبض الإصبع أو بسطه، فإذا مددنا هذه الحركة وأطلناها بمقدار حركتين، تصبح هذه الحركة القصيرة حركة طويلة؛ لأنها تسمى عندنا في علم التجويد "المد الطبيعي". المد الطبيعي: الألف.

إذن، في اللغة الفارسية أو في اللغة الأعجمية عمومًا، عندما يجتمع ساكنان كالكلمة الموجودة عندنا "ماست" هنا اجتمع الساكنان مع الألف، والألف ساكنة أيضًا، قالوا: لأن هذا يوجد في ما كان الساكن الأول ألفًا.

ويضيف ابن جني قوله:

ورأيت أبا علي -أي: أبا علي الفارسي -رحمه الله- غير المستوحش من الابتداء بالساكن في كلام العجم، ولعمري إنه لم يصرح بإجازته -يعني: أنه لم يجز

ذلك- لكنه لم يتشدد فيه تشدده -يعني: أنه لم يتشدد في الابتداء بالساكن كما تشدد في اللغة العربية؛ لأن اللغة العربية لا يبتدأ فيها بساكن- في إفساد إجازة ابتداء العرب بالساكن.

ثم يضيف قوله: وإنما خفي حال هذا في اللغة العجمية -أي: في اللغة غير العربية كالفارسية وغيرها- لِمَا فيها من الزمزمة، يريد أنها لما كثر ذلك فيها، ضعفت حركاتها وخفيت.

يقول ابن جني في موضع آخر من (الخصائص):

وقد تجد في بعض الكلام التقاء الساكنين الصحيحين في الوقف وقبل الأول منهما حرف مد، وذلك في لغة العجم، نحو قولهم: "آرد وماست". وذلك أنه في لغتهم مشبه بِدَابّة وشابّة في لغتنا. فعندنا "ماست" في اللغة الفارسية أو تُشبه بـ"دابة" ألف ساكنة، والباء مشددة، وعندنا الحرف المشدد بحرفين؛ الأول منهما: ساكن، والثاني: متحرك. و"شابة" أيضًا، الألف ساكنة، والباء الأولى من الحرف المشدد ساكنة أيضًا، التقى هنا ساكنان في اللغة العربية.

نماذج للمنهج المعياري:

وأسوق إليك أيضًا توضيحًا للمنهج المعياري عند العرب.

يقول ابن جني في كتابه (المقتضب من كلام العرب):

"متى أُشكلت عليك لفظة، فلم تدر مقصورةً أم ممدودةً، فَاقْصرها، فإن قصر الممدود جائز، ومد المقصور خطأ".

نحن قلنا: إن المنهج المعياري يعلِّل ويرجح ويقوي ويفسر، يعترف بالبنية التحتية. كل هذا طبعًا من خلال الأمثلة التي سنتعرض لها الآن.

مثال ابن جني في "المقتضب": عندنا الكلمة الممدودة صحراء -مثلًا-: عندما نقصرها نقول: صحرا بدل صحراء.

يقول ابن جني: ومتى أشكلت عليك لفظة ثلاثية، فلم تدر من الياء هي أم من الواو؟ فاكتبها بالألف، فإن كَتْبَ ذوات الياء بالألف جائز حسن، وكتب ذوات الواو بالياء خطأ.

هنا يعلل، اكتبها بكذا بسبب كذا، والتعليل هو من مكونات المنهج المعياري، بخلاف المنهج الوصفي لا يعلل ولا يفسر.

يقول ابن جني: متى أشكلت عليك لفظة مذكرة هي أم مؤنثة، فذكرها، فإن تذكير المؤنث أسهل من تأنيث المذكر، لماذا؟ وذلك لأن التذكير هو الأصل، والتأنيث هو الفرع، المذكر أصل للمؤنث، يعني: عندنا في اللغة العربية الفتح أصل والإمالة فرع، الإظهار أصل والإدغام فرع؛ لأن الفرع لا يكون إلا بسبب، أما الأصل فيكون دون سبب. كما أن القصر هو الأصل، والمد هو الفرع، نقول: زكريا وزكرياء، زكريا: مقصور، زكرياء: ممدود، الأصل زكريا. يجوز لنا أن نقول: زكرياء، إنما الأصل القصر، وكما أن كتْبَ الألف في اللفظ ألفًا هو الأصل، وكتْبَهَا ياء هو الفرع، فاعرف ذلك وقِس، تُصبْ -إن شاء الله تعالى.

ويقول أيضًا ابن جني في كتابه (الخصائص):

فأما قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٧]. فلا يكون فيه "أو" على مذهب الفراء بمعنى "بل": يعني: أرسلناه إلى مائة ألف بل

يزيدون، ولا على مذهب قطرب في أنها بمعنى الواو، لكنها عندنا -يعني: عند ابن جني- على بابها في كونها شكًّا، وذلك أن هذا الكلام خرج حكايةً من الله ﷻ لقول المخلوقين، وتأويله عند أهل النظر: وأرسلناه إلى جَمْعٍ لو رأيتموه، لقلتم أنتم فيهم: هؤلاء مائة ألف أو يزيدون.

ويذكر ابن جني: ومثله مما مخرجه منه تعالى على الحكاية، قوله تعالى: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩] وإنما هو في الحقيقة الذليل المُهان، لكن معناه: ذق إنك أنت الذي كان يُقال له: العزيز الكريم.

ومثله: قوله ﷻ: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٩]. أي: يا أيها الساحر عندهم لا عندنا، وكيف يكون ساحرًا عندهم وهُم به مهتدون! وكذلك قوله: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ﴾ [النحل: ٢٧] أي: شركائي عندكم.

نماذج المنهج التاريخي:

وُجِدَ المنهج التاريخي عند العرب أيضًا. كيف ذلك؟

يقول ابن جني في (الخصائص):

وذهب بعضهم: إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات، كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصَهيل الفرس، ونذيب الظبي، ونحو ذلك. ثم ولدت اللغات عن ذلك.

من أمثلة المنهج التاريخي أيضًا ما ذكره ابن جني في موضع آخر، فقال:

وقد يُمكن أن تكون أسباب التسمية تخفَى علينا -أي: ولماذا سمي هذا بهذا الاسم؟ ولماذا سمي ذلك بهذا الاسم؟- لبعدها في الزمان عنَّا، ألا ترى إلى قول

سيبويه: أو لعل الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر، أي: أن الأول الحاضر شاهد الحال، فعرف السبب الذي له ومن أجله وقعت عليه التسمية، أي: الذين وُجِدوا أولًا عَرَفوا علةَ التسمية، وشاهدوا ما كانت عليه الأشياء، هذه العلل وهذه الأسباب ربما لم تصل إلينا.

يقول سيبويه: أما الآخر -الذين أتوا بعد ذلك- لبعده عن الحال، فلم يعرف السبب للتسمية، ألا ترى إلى قولهم للإنسان إذا رفَعَ صوته: قد رفع عقيرتَه، فلو ذهبتَ تشتقّ "رفع عقيرته" معناه في اللغة العربية: صوَّت. من أين أتى هذا المعنى؟ أتى هذا المعنى في أصل التسمية: أن رجلًا عُقرت رجلُه، فوضع رجله على الأخرى، وصاح بأعلى صوته، فقالوا: رفع عقيرته، فسُمي كل مَن يصوِّت: رفع عقيرته.

ثم يُضيف ابن جني قولَه: فإن هذا الكتاب -كتاب (الخصائص)- ليس مبنيًّا على حديث وجوه الإعراب، وإنما هو مقام القول على أوائل أصول الكلام.

وفي موضع آخر يقول ابن جني: الأصل في "قام": قَوَمَ، الأصل وفي "باع": بَيَعَ، وفي "طال": طَوَلَ. إلى آخره. عندما نأتي إلى "شد" أصله: شدد، و"دَّ": ودِدَ، "حبَّ": حبُبَ.

إذن ابن جني بهذا يمثل لنا بالمنهج التاريخي أصل هذا المثال كذا ثم بعد ذلك طُوِّرَ إلى كذا. "استقام" يقول: أصله: اسْتَقْوَمَ، وهذه أمثلة للمنهج التاريخي. فأما أن يكون استُعمل وقتًا من الزمان كذلك، انصرف عنه فيما بعدُ إلى هذا اللفظ، يعني: أن هذه الألفاظ أو هذه الأمثلة، كان أصله كذا، أي: أنه لو جاءَ مجيءَ الصحيح، لَكَان هكذا.

تطور الدلالة بمجيء الإسلام، وأمثلة للمنهج التاريخي

ثم يُضيف ابن فارس:

ومن الأسماء التي كانت تدل على معانٍ، فماتت هذه الألفاظ بمجيء الإسلام، هذه الألفاظ هي قولهم: المِرباع كان رئيس القبيلة يأخذ ربع الغنيمة، وأيضًا: النشيطة، الفرس النشيطة كان يأخذها رئيس القبيلة، والفضول ما يَفضُل بعد قسمة الغنائم، كان أيضًا يأخذها رئيس القبيلة.

أيضًا: الإتاوة والمكس: دراهم كانت تفرض على بائعي السلع في الأسواق، والإتاوة هذه الألفاظ حرمها الإسلام، فماتت هذه المعاني، وبالتالي ماتت الألفاظ التي كانت تدل على هذه المعاني.

ومن الألفاظ التي ماتت بمجيء الإسلام، قولهم: أبيت اللعن، يعني: أبيت أن تأتي بفعل تلعن عليه. وقولهم -قول المملوك لمالكه-: ربي، عند ما جاء الإسلام مات هذا المعنى؛ لأن الرب هو الله، في القرآن الكريم: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ﴾ [يوسف: ٥٠] وقد كانوا يخاطبون ملوكهم بالأرباب.

وأيضًا من الألفاظ التي ماتت بمجيء الإسلام، قولهم لِمَن لم يحج: صرورة، عندما جاء الإسلام مات هذا اللفظ لِمَوْت معناه الذي كان في الجاهلية؛ لقوله ﷺ: "لا صرورةَ في الإسلام". وهو الذي يدع النكاحَ تَبَتُّلًا.

ومن أمثلة المنهج التاريخي ما ذكره أحمد بن فارس في مقدمة معجمه (الجاسوس على القاموس). قال: إن أصل الكَتْب في اللغة: للسقاء. يقال: كَتَبَ السِّقاء، أي: خرزه بسَيْرَيْن، وهو من معنى الضم والجمع، أي: تضم وتجمع أجزاءَ

السقاء. ومنه: الكتيبة. الكتيبة للجيش؛ لأن الكتيبة عبارة عن مجموعة من العساكر مضموم بعضها إلى بعض، ثم نُقل هذا المعنى إلى كَتْبِ الكتاب، حقيقة معناه ضم حرف إلى آخر وإنما قلت: إن أصل الكتْبِ للسقاء، لماذا؟ لأن العرب عرفت السقاء، واحتاجت إلى الشرب منه وإلى إصلاحه قبل أن تعرف الكتابة.

لأن العرب كانوا لا يعرفون الكتابة، لماذا؟ لأن أدوات الكتابة لم تكن موجودة عندهم؛ لأن الكتابة فن من الفنون الحضارية، وكانت توجد عندما توجد الأنهار. ولذلك رأينا أن في مصر كانت الكتابة بالخط الهيروغليفي لوجود نهر النيل، وكان في العراق دجلة والفرات، فإذن الكتابة كانت توجد حيث توجد الأنهار.

فالعرب كانوا لا يعرفون الكتابة؛ لأن شبه الجزيرة العربية صحراء، لا زرعَ فيها ولا ماء، حتى عندما جاء الإسلام، كان الذين يعرفون الكتابة كانوا يُعدون على الأصابع، فما بالك في الجاهلية، فكانت العرب لا تعرف الكتابة.

وكذلك: قرأ. أصل معناها الجمع والضم، وهو في المعتل أيضًا. يقال: قرى الشيء، ومنه: أقراء الشعر، أي: أنواعه وأنحاؤه، وقرى الماء في الحوض: إذا جمعه. ومنه: القرية؛ لأن القرية عبارة عن مجموعة من البيوت والمنازل مضمومة أو مجموعة بعضها إلى بعض، فالقرية أيضًا مأخوذة من هذا المعنى.

درس الكتاب، أصل درس: من درس الحِنطة؛ لأن العرب عرفت دَرْس الحنطة قبل دَرْس الكتاب قال تعالى: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: ١٠٥] وليقولوا قرأتَ؛ لأن معنى درس: قرأ والدراسة: القراءة. الحنطة عندما تأتي تسمَّى القمح، وتسمى البُر، عندما تأتي في المكان المخصص لِدَرْسها، تفرك، كذلك

دَرْس الكتاب، يعني: قراءة الكتاب، أنت تقرأ الكتاب مرة واثنين وثلاثة، عند ما تستطيع أن تفهم معنى ما في الكتاب.

ونسخ الكتاب، أصله: نسخت الشمس الظل. أيضًا لفظ: عَبَرَ. عبر أصل وضعه للنهر يقال: عَبَرَ النهرَ عَبْرًا وعبورًا: إذا قطعه إلى الجانب الآخر، ثم شُبه به عبرَ الرؤية، تعبير الرؤية، أي: تفسيرها؛ لأنك عبرت من مجهول إلى معلوم، عندما تعبِّر الرؤية تنقل هذه الرؤية من مجهولة إلى معلومة.

ويضيف قوله في أصل الهجاء:

كانت تعرف العرب الهجاء بمعنى الذم، بعد ذلك بمجيء الإسلام عرفت العرب الهجاء، يعني: هِجاء الحروف، تهجى الحروف: وضح لي الحروف، أو اذكر الحروف -حروف الكلمة- كَتَبَ؟: هي كاف، وتاء، وباء.

يقول السيوطي نقلًا عن الخليل والكسائي: إن "لن" مركبة من "لا" و"أن" فأصلها: لا أن، حذفت الهمزة؛ لكسرة الاستعمال، كما حذفت في قولهم: "ويلمه" والأصل: ويل أمه، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين. عندنا الألف ساكنة، والنون ساكنة، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين؛ لأن حذف حرف العلة هو الأولى بالحذف -الألف- فصارت "لن".

أنواع علم اللغة

عناصر الدرس

علـــم اللغـــة الوصـــفي

علم اللغة الوصفي علم يصف اللغة المعينة، أو ظاهرة من ظواهرها في مكان محدد، أو بيئة لغوية محددة، وفي فترة زمنية محددة، وفي مستوى لغوي محدد.

ويتضح لنا من هذا التعريف أن أساس البحث في هذا العلم يعتمد على المبادئ التالية:

أولًا: تحديد مكان الدراسة: فيجب على الباحث اللغوي أن يقتصر على الاستعمالات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة لغوية معينة، أو مكان جغرافي معين، بشرط ألا يتسع هذا المكان اتساعًا كبيرًا يؤدِّي إلى وجود أمثلة متنافرة للظاهرة اللغوية.

ثانيًا: تحديد زمان الدراسة: فيقتصر الباحث على دراسة الظاهرة اللغوية في فترة زمنية محددة، وألا يمتد هذا الزمن امتدادا يؤدي إلى وجود مثالين متنافرين للظاهرة اللغوية.

ثالثًا: تحديد المستوى اللغوي المدروس: فيتجه الباحث إلى دراسة الظاهرة المعينة في لغة الشعر، أو لغة النثر، أو يفرق بين المستوى الفصيح، ومستوى اللهجات.

ويجب على الباحث أن يصف اللغة كما هي موجودة بالفعل.

وهذا العلم حديث نسبيا؛ إذ كانت الدراسات السابقة حتى أواخر القرن التاسع عشر تتسم بسمة تاريخية، أو معيارية، أو كانت الدراسات التاريخية مختلطة بالنظر الوصفي، والنظر المعياري، ولما جاء اللغوي السويسري دي سوسير في أوائل هذا القرن فرق تفريقا حاسما بين الدراسات الوصفية، والدراسات التاريخية.

عيوب هذا العلم: يعترض بعض الدارسين على هذا العلم، ويصفونه بالقصور من جهات عدة، منها:

1. أن هذا العلم لا يجيب على السؤال (لماذا؟)، أي أنه لا يستطيع تحديد الصحيح، وغير الصحيح من الاستخدام اللغوي.
2. هذا العلم ينقصه الشمول؛ إذ إنه لا يستطيع حصر كل ظواهر اللغة.
3. تطبيقه على اللغة المعينة في فترة معينة تؤدي إلى عدم الوحدة في القواعد اللغوية من جهتين:

أ- الجهة الأولى: أن نتيجة الأخذ به تقود إلى قواعد معينة للغة في فترة معينة، وإلى قواعد أخرى لذات اللغة في فترة أخرى.

ب- الجهة الثانية: اقتصاره على اللغة المعينة يؤدي إلى حرماننا من الوقوف على القواعد اللغوية للغة الطبيعية الإنسانية في عمومها.

علم اللغة المقارن

علم اللغة المقارن يقصد به دراسة اللغة أو ظاهرة منها، في فترة زمنية معينة، أو فترات متعددة في ضوء لغة أخرى، أو ظاهرة منها، بشرط أن تكون اللغتان المدروستان من فصيلة لغوية، أو أسرة لغوية واحدة.

إذن علم اللغة المقارن مجاله ذات الأصل الواحد كالعربية والعبرية، أو الفرنسية والأسبانية، أو الإنجليزية والألمانية، وليس من شأنه أن يقارن بين اللغات التي ترجع إلى أصول مختلفة. كالمقارنة بين العربية والإنجليزية مثلا. وقد يتوسع فيه

بعضهم فيطبقه على المقارنة بين اللغات ذات الأصول المختلفة، لكن هذا الرأي غير مقبول ؛ لأنه قد ظهر منهج آخر يبحث هذا الأمر وهو المنهج التقابلي.

وقد صنف علماء اللغة لغات العالم وفقا لما بينهما من علاقات، وحددوا هذه العلاقات فيما يأتي:

علاقات قرابة، وعلاقات ثقافية، وعلاقات بنيوية أو شكلية.

وقد تطورت البحوث المقارنة تطورًا كبيرًا بعد أن اكتشف (وليم جونز) اللغة السنسكرتية، لقد وجد (جونز) بين هذه اللغة واللغات الأوربية وجوه شبه قوية جعلته يدعي أن السنسكرتية هي الأم التي تفرعت عنها هذه اللغات.

وقد تطورت أيضا البحوث المقارنة التي درست اللغات العربية والعبرية والفينيقية والأكادية والحبشية، ووجد العلماء بين هذه اللغات وجوه شبه قوية جعلتهم يدعون أنها تنتمي جميعا إلى لغة مشتركة هي اللغة السامية الأولى.

علاقة علم اللغة المقارن بعلم اللغة الوصفي والتاريخي:

علم اللغة المقارن يعتمد على المنهج الوصفي، لأنه يتطلب القيام بدراسة وصفية مستقلة لكل لغة يتم مقارنتها بلغة أو لغات أخرى، والدراسة المقارنة هي شكل من أشكال الدراسة التاريخية؛ لأن تشعب اللغة الأم أو الأصل إلى لغات إنما هو تطور تاريخي.

تابع أنواع علم اللغة

عناصر الدرس

علـــم اللغـــة المعيـــاري

علم اللغة المعياري: هو الذي يتجه إلى بيان الاستعمالات الصحيحة من اللغة فيلزم باتباعها، ويرصد الاستعمالات الخاطئة التي تخالف القواعد المستقرة فيطلب من المتكلمين تجنبها.

خصائص هذا العلم:

- هو يهتم بقضية الصواب والخطأ، ويؤسس التفريق بين الاستعمالات الصحيحة، والاستعمالات الخاطئة على قاعدة أو مقياس.
- هو العلم التقليدي المتبع في تعليم القواعد في المدارس، والمعاهد، والجامعات العربية، وغير العربية.
- هو في الحق منهج تعليمي صرف، وموقعه تعليم اللغات القومية، ومن المفيد أن نعلم أن هذا العلم هو الذي اتبع في وضع القواعد التقليدية للغات ذات الأصول التاريخية العريقة كالعربية، واللاتينية، وغيرهما.
- وهذا العلم من أقدم العلوم التي عرفها الدرس اللغوي منذ القدم، واستمر مسيطرًا حتى القرن الثامن عشر، ولا يزال موجودًا ومعمولًا به حتى الآن على الرغم من ظهور مناهج أخرى.

قد ساد علم اللغة المعياري في الفكر اللغوي العربي منذ نشأته حتى الآن، وقد أدت ظروف النشأة إلى أن يكون معظم الفكر اللغوي معياريا؛ وذلك للمحافظة على لغة القرآن الكريم، ولتعليم اللغة العربية الفصحى لمن دخل في الإسلام من غير العرب.

علم اللغة التاريخي

علم اللغة التاريخي: هو دراسة اللغة، أو قطاع منها، أو ظاهرة من ظواهرها في فترتين مختلفتين، وفي مكان واحد، وفي مستوى لغوي واحد.

ويسمى الدياكروني – وهي تسمية دي سوسير – أو الديناميكي أو التطوري، وأساس العمل به: تتبع الظاهرة اللغوية على فترات متعددة من الزمن بقصد التعرف على ما أصاب اللغة من تغير وتطور.

وقد نشأ هذا العلم في نهاية القرن الثامن عشر، وتطور في القرن التاسع عشر، وازدهر في نهاية هذا القرن على يد مدرسة النحاة الشبان أو الجدد في ألمانيا، واكتسب عندهم الدقة، والمنهجية، والذيوع والانتشار.

وعلم اللغة التاريخي يؤسس على المبادئ الآتية:

أ. الاعتماد على وصف الظاهرة اللغوية في فترتين مختلفتين فأكثر بشرط حدوث تطور لغوي معين.

ب. وصف هذه الظاهرة في مكان محدد؛ حتى لا تضطرب النتائج المرتقبة.

ج. تحديد المستوى اللغوي المدروس في الفترتين المختلفتين، كأن ندرس الشعر الجاهلي، والشعر العباسي، والشعر الحديث في منطقة الحجاز مثلا.

وليس من الجائز في نظر دي سوسير خلط الدراسة الوصفية بالدراسة التاريخية بحال من الأحوال، والوصفي بالذات لا يصح اعتماده على التاريخي. وإن كان الأخير يعتمد في بعض وجوهه إلى الوصفي؛ لأن الدراسة التاريخية بمعناها العام تعنى سبقها بدراسات وصفية لكل فترة.

علم اللغة التطبيقي وأوجه الإفادة منه في تعليم العربية

من فروع علم اللغة علم اللغة التطبيقي، وله فروع، منها: تعليم اللغات، وصناعة المعجم، تعليم اللغات يتكلم عن طريقة اكتساب اللغة سواء كان لغة الأم، أو اللغة الثانوية.

من فروع علم اللغة التطبيقي علم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، فعلم اللغة النفسي يبحث في العوامل النفسية والعقلية المصاحبة للمهارات اللغوية، وعلم اللغة الاجتماعي يبحث عن تأثير العوامل الاجتماعية على الظواهر اللغوية، وعن مشكلات اللهجات الجغرافية.
من فروع علم اللغة التطبيقي: علم اللغة الآلي، وهو يعنى بدراسة البيانات اللغوية الحقيقية عن طريق الإلكترونيات.

أوجه الإفادة من علم اللغة التطبيقي في تعليم العربية:

إن علم اللغة التطبيقي له أهمية كبرى في تعليم العربية

فصناعة المعجم يبن طريقة إعداد المعجم، والبحث عن الكلمات في المعاجم.

وعلم اللغة النفسي يساعد في السلوك اللغوي عند الفرد، ويتعرف بذلك على طريقة اكتساب الطفل للغته.

وعلم اللغة الاجتماعي أصبح جزءا لا يتجزأ من الدراسات اللغوية بمعناها العام. فدراسة اللغة دون الإشارة إلى المجتمع نظرة غير دقيقة، شأنها في ذلك شأن من يدرس سلوك الصداقة دون أن يربط سلوك أحد الصديقين بسلوك الآخر.

أما علم اللغة الآلي فأصبح أساسا في تعليم اللغات لتطوير المهارات التي تحددها الأهداف، وقد تطورت هذه الوسائل الآن تطورا هائلا من استعمال المذياع، والتلفاز، والمعامل اللغوية، والحاسب الآلي، الذي قدم إضافة مهمة في تعليم اللغة في توفير جهد كبير كان يبذل في قاعة الدرس للتدريبات اللغوية على وجه الخصوص، واستثمار هذه الجهود في تنمية القدرة الإنتاجية للمتعلم.

التحليل اللغوي

عناصر الدرس

التحليـــــــــل اللغـــــــوي

التحليل اللغوي: هو دراسة اللغة لمعرفة أنواع الأصوات، ومواقعها، وسماتها، ووحـــداتها الـــصوتية، ومتغيراتهـــا، والوقـــوف علـــى الـــسوابق واللواحـــق، والدواخل، والجذور للكلمة، وكشفِ العَلاقات بين مكونات الجملة الواحدة، وبيان المناسبات بين معاني الكلمات المختلفة؛ للوصول إلى فَهم المعاني المقصودة.

وتوضيح ذلك:

التحليل اللغوي هو دراسة اللغة، واللغة تشتمل على مستوياتٍ؛ أول مستوى: المستوى الصوتي. المستوى الثاني: المستوى الصرفي. المستوى الثالث: المستوى النحوي. المستوى الرابع: المستوى الدلالي. كل مستوى من هذه المستويات، يدخل ضمنَ التحليل اللغوي.

دراسة اللغة لمعرفة أنواع الأصوات، هذا هو التحليل الصوتي، معرفة أنواع الأصوات مثل: الصوت المجهور، والمهموس، فالدال مثلا: صوت مجهور؛ لأنه صوت يهز الأوتارَ الصوتية. وصوت التاء صوت مهموس؛ لأنه لا يهز الأوتار الصوتية. وصوت الثاء صوت رخو؛ لأنه صوت ممتد، يسمح بمرور هواء الصوت ولا ينحبس حبسًا تامًّا. أما صوت الدال صوت شديد؛ لأن الصوت ينحبس حبسًا تامًّا، ثم ينطلق فجأةَ، فيسمى صوت شديد عند القدماء؛ لأنه بنطق هذا الحرف يلتقي عضوا النطق التقاءً محكمًا، ثم ينفرج العضوان فجأةً، فينطلق الصوت فجأةً، فيحدث ما يُشبه الانفجارَ، ولذلك يسمى عند المحدثين

بالصوت الانفجاري، أما عند القدماء فيسمى بالصوت الشديد؛ نظرًا لحبس الهواء حبسًا تامًّا.

فنتعرف من خلاله على أنواع الأصوات، ومواقعها، وسماتها، ومتغيراتها الصوتية.

سمات الأصوات: عرفنا الوحدات الصوتية، فالصوت وحدة صوتية، الفونيم أو المورفيم وحدة صوتية، إذن نتعرف على الوحدات الصوتية، وأيضًا المتغيرات الصوتية؛ لأن عندنا الفونيم -مثلًا- الوحدة النطقية: الأم، عبارة عن صوت أصيل، نشأ منه صوتان أو أكثر دون أن يكون للاختلاف أثرٌ في المعنى، مثلًا: صوت الجيم في العربية الفصحى خرج منه الجيم القاهرية، وخرج منه الجيم الشامية، فهذه تسمى متغيرات صوتية.

والسوابق تدخل ضمن التحليل الصرفي لبنية الكلمة، فيها سوابق، ودواخل، ولواحق، وفيها جذر للكلمة –أي: أصل الكلمة- مثلًا: ضَرَبَ: الضاد والراء والباء، هذا أصل الكلمة، عندما نقول -مثلًا- ضارب، الألف داخلة بتغير المعنى، فالكلمة إذا أدخلنا عليها حرفًا في بدايتها، نسميه "سابقة" يعني: تسبق الكلمة. مثلًا: قرأ، أدخل عليها همزةً: أقرأ. ذهب: أذهب. كتب: أكتب، أدخل عليها لاحقة: كاتبون "بون" أصبحت جمع مذكر سالم، اللاحقة الواو والنون.

مثلًا: كاتبات مسلمات، الأصل: سلم، الحرف داخل على الميم ميم زائدة، تسمى "سابقة": مسلم مسلمة.

نقول -مثلًا-: فَعَلَ. الأصل: الفاء والعين واللام، خرج أدخل داخلة: خارج. ندخل سابقة: أخرج. أيضًا اللاحقة: خارجون.

وكذلك: كشف العلاقات بين مكونات الجملة الواحدة، هذه العلاقات -مثلًا- : الضمائر، حروف الجر، مثل: أعطيتكه، ذهب محمد إلى القاهرة مثلًا، أو إلى السعودية بالطائرة، وذهب في يوم كذا في يوم الجمعة، ذهب من القاهرة إلى السعودية مستقلًا الطائرة. ثم، والباء، وإلى، وعن، وعلى... إلى آخره. كما قلنا: الضمائر، أسماء الإشارة، وحروف الجر، حروف العطف، كلها روابط تربط بين أجزاء الجملة.

أيضًا: بيان المناسبات بين معاني الكلمات المختلفة، فعندما نذكر مثلًا: ذراع وساعد، العلاقة بين اللفظين علاقة ترادف، يعني: فالذراع هو الساعد. سكين هي مُدية، أيضًا بُر وحنطة وقمح، العلاقة بين هذه الألفاظ علاقة ترادف؛ لأن البُر هو الحنطة هو القمح، ثلاثة ألفاظ بمعنى واحد. مثلًا: كنيف ومِرحاض، المعنى واحد، كنيف هو المرحاض، ولكن عند اليمن يسمى: مرحاض، وعند الكوفة يسمى: كنيف. هذه الألفاظ العلاقة بينها ترادف.

عكس المعنى المتعدد للفظ مثلًا: لفظ العين، يدل على معانٍ كثيرة: العين الجارحة، عين الإنسان، أو عين الحيوان، ... أو ما إلى ذلك. والعين: هي البئر، والعين أحد النقدين. والعين: سنام الجمل، وعين الشيء: أي: نفسه، والعين: النفيس من كل شيء. نقول: هذه القصيدة من عيون الشعر، يعني: من أنفس الشعر. وهذا الرجل من أعيان البلد، يعني: من المشهورين في البلد من الأغنياء، الأثرياء... إلى آخره.

مثلًا: لفظ كتاب، له أكثر من معنى، قد يطلق ويراد منه كتاب الأوراق، يعني: كتاب مجموعة من الأوراق. رسالة: عندما يُرسل مسئول من الكلية أو من معهد أو من جامعة رسالةً إلى كلية أخرى، أو إلى جامعة أخرى، أو إلى مؤسسة

أخرى، يقول مثلًا المرسل إليه: وردنا كتابكم، يعني: رسالتكم، فالكتاب يطلق على الرسالة، أو مثلًا: فهمنا ما جاء من كتابكم ما يأتي، يعني: من رسالتكم، كذلك يطلق الكتاب على القرآن، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ ، [الأنعام: ٩٢] والكتاب يطلق أيضًا على التوراة، وكذلك يطلق على كتاب سيبويه، عندما نكون في جلسة عِلمية، نقول: ارجع إلى هذه المسألة في (الكتاب) يعني: كتاب سيبويه. ويطلق ويُقصد منه كتابة عقْد القران، ونقول مثلًا: أين كُتِبَ الكتاب، الكتاب يعني: عقد القَران.

وتسمى هذه "دلالة سياق الحال" يعني سياق الحال: هو الذي يوقفنا على أن المراد من لفظ الكتاب في هذه الحالة.

مثلًا لفظ السدفة، والسدفة تطلق عند قبيلة تميم على الظُّلمة، وتطلق عند قبيلة قيس على الضوء، إذن لفظ له معنيان متقابلان: ظلمة وضوء. كيف نتعرف على المعنى؟ نعرف -أولًا- من القائل؟ هل القائل من قبيلة قيس أم من قبيلة تميم؟ إذا كان الناطق للفظ سدفة هذا من قبيلة تميم، إذن المقصود من السدفة: الظلمة، وإذا كان القائل من قبيلة قيس، إذن المقصود من هذا اللفظ الضوء.

شاعر تميم يقول:

وأقطع الليل إذا ما أسدفا ❖ ....

يعني: إذا ما أظلم. إنما عند قبيلة قيس السدفة معناها الضوء.

إذن التحليل اللغوي يعني: تحليل صوتي، وتحليل صرفي، وتحليل نَحْوي، وتحليل دلالي.

التحليل الصوتي

عناصر الدرس

دراسة الأصوات لمعرفة أنواعها وسماتها ووحداتها ومتغيراتها

التحليل الصوتي: هو دراسة الأصوات لمعرفة أنواعها وسماتها ووحداتها ومتغيراتها.

الأصوات البسيطة المكونة للكلام البشري تنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: الصوائت:

وهي الحركات، سواء كانت حركات قصيرة؛ الفتحة - والضمة - والكسرة، أو الطويلة: الألف - والواو - والياء، الألف حركة طويلة؛ لأنها دائمًا ساكنة، الواو والياء عندما تكون الواو ساكنة وقبلها حركة مجانسة، والياء الساكنة وقبلها حركة مجانسة -الحركة المجانسة للواو هي الضمة، والحركة المجانسة للياء هي الكسرة- فالواو عندما تكون ساكنة وقبلها ضم؛ والياء عندما تكون ساكنة وقبلها كسر تكون صوت لين طويل عندما نقول: قال، الألف صوت لين دائمًا؛ لأن الألف لا تكون ألفًا إلا وقبلها حركة مجانسة فتحة.

"قال" في المد الطبيعي نأتي بالواو "يقول" الواو ساكنة وقبلها حركة مجانسة -الضم- "يقيل" الياء ساكنة وقبلها حركة مجانسة -الكسر- إذن الواو والياء هنا صوتان من أصوات اللين الطويلة.

عندنا صائت وصامت، الصوت الصائت: يخرج الصوت حرًّا طليقًا لا يقابله عائق أما الصوت الصامت فيقابله عائق، إما عائق كلي أو عائق جزئي:

- عائق كلي الصوت الشديد أو الصوت الانفجاري مثلًا: "إد - إت - إج - إق - إك" صوت شديد يقابله عائق كلي.

- أما العائق الجزئي: "إز - إش - إز - إص - إس" لأن هنا عائق، ولكن ليس عائقًا كليًّا يحبس الصوت حبسًا تامًّا، ولكنه سمح بتسرب هواء الصوت؛ فهذا نسميه صوتًا امتداديًّا؛ لأنه صوت رخو.

سمات الأصوات من جهر أو همس، وشدة أو إطباق، أو انفتاح أو استعلاء

الصوت الصائت هو: صوت لغوي لا يصحبه في صدوره صفير أو حفيف وليس في مجراه حوائل، كما يصحب صوت السين أو الصاد أصوات الصفير أصوات صامتة.

مثال: عندما نقول: "قال" الألف، لا يصحب الصوت صفير ولا حفيف وليس في مجراه حوائل، بخلاف الصوت الصامت. الصوت الصامت: إما أن يصحبه عائق "إد - إب" عائق في الشفتين. "إت" عائق في طرف اللسان وأصول الثنايا العليا. "إج" عائق في وسط اللسان مع ما يقابله من الحنك الأعلى. "إج - إق" عائق في أقصى اللسان مع ما يقابله من الحنك الأعلى.

ينقسم صوت اللين من حيث الكم -يعني من حيث الكمية- إلى ما يأتي:

أولًا: صوت لين مختلس، وهي الحركة المختلسة تسمى في القراءات بالرَّوْم، والروم أن ننطق الحركة بكمية أقل، تقطع منها جزء من زمانها، فمثلًا في قوله: "يأمرُكم" ننطقها "يأمرْكُم" باختلاس الحركة، نسميه صوت لين مختلس، يظن السامع أنك تسكن "يأمركم".

ثانيًا: صوت لين قصير: الفتحة - والضمة - والكسرة، صوت لين طويل: أصوات المد الطبيعي في التجويد، "قال" الألف تمد بمقدار حركتين، ومد الحركة بمقدار قبض الأصبع أو بسطه، صوت لين طويل هو المد الطبيعي في القراءات، صوت لين مديد وهو صوت المد حين تكون بعد همز أو ساكن في القراءات، عندما نقول مثلًا: ﴿ يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ١٢٩] ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الأنعام: ٧٧] صوت لين مديد.

عندما نحلل صوتيًّا نقول صوت اللين ينقسم إلى أربعة أقسام:

- صوت لين مختلس، "يأمركم".

- صوت لين قصير: الفتحة - والضمة - والكسرة.

- صوت لين طويل: يمد بمقدار حركتين هو الألف - والواو - والياء، الألف تمدّ بمقدار حركتين دائمًا في المد الطبيعي، الواو عندما تكون ساكنة وقبلها ضم "يقول"، الياء عندما تكون ساكنة وقبلها الكسر "يقيل".

- صوت لين مديد: صوت لين هو الألف وبعد الألف إما همزة أو ساكن ﴿ يَشَآءُ ﴾ ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ساكن؛ لأن الحرف المشدد بحرفين: الأول ساكن، والثاني متحرك، إذًا ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ اللام هنا الحرف الأول -من الحرف المشدد- ساكن، أتى بعد الألف فهنا يمد الألف صوت لين مديد، يعني مد أكثر من صوت لين عادي هو المد الطبيعي.

يتنوع صوت اللين أيضًا من حيث الكيف إلى:

- صوت لين أمامي.

- وصوت لين خلفي.

- وصوت لين متسع.

- وصوت لين ضيق.

صوت لين أمامي: وهو صوت يشترك في صدوره طرف اللسان. ومثاله: الكسرة والفتحة الممالة نحو الكسرة. يعني عندما نقول: "إي - إي" يرتفع طرف اللسان إلى أقصى درجة ممكنة دون أن يحدث حفيفًا، ولذلك نسميه صوت لين أمامي. أيضًا الفتحة الممالة نحو الكسرة مثلًا في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] في قراءة حمزة والكسائي: "فبما رحْمِة" قراءة تمثل صوت الفتحة الممالة.

صوت لين خلفي: يشترك في صدوره أقصى اللسان، مثاله: الضمة والفتحة الممالة نحو الضمة يمثلها في اللغة العربية الضمة، ويمثلها في النطق الدارج كلمة "يوم" فتح الممالة إلى الضمة، أصلها "يَوْم"، الياء هنا مفتوحة الفتحة أميلت نحو الضم. في نطق بعض القبائل "الصلاة" إمالة الواو نحو الضم "الصلاة" تسمى ألف التفخيم في اللغة الحجازية ولذلك كتبت في المصحف بالواو "الصلوة".

صوت لين متسع: وهو صوت يتسع معه مجرى الهواء أكثر من اتساعه مع أصوات اللين الأخرى مثل الفتحة المفخمة في: "صَبَرَ" و"طَمَعَ"؛ لأن عندنا أصوات التفخيم هي أصوات الإطباق الصاد الضاد الطاء الظاء، فعندما يأتي بعد أيِّ صوت من أصوات التفخيم -الصاد، الضاد، والطاء، والظاء- تأتي حركة تكون هذه الحركة أيضًا مفخمة.

صوت لين ضيق: وهو صوت لين يكون معه مجرى الهواء أضيق ما يمكن أن يصل إليه مع أصوات اللين الأخرى؛ بحيث لا يدخل في نطاق الأصوات الساكنة، يمثل هذا الصوت الضمة والكسرة في اللغة العربية الفصحى هنا يكون مجرى الهواء أضيق ما يمكن أن يصل إليه كسرة "إي" "إي" الضمة "أو" "أو" ضمة "أت" أو يكون مجرى الهواء أضيق ما يمكن أن يصل إليه مع اللغة العربية.

النوع الثاني: الصوت الصامت:

صوت صامت أو صوت ساكن، عندما نقول: صامت، يكون أفضل من الساكن؛ لأنا لو قلنا: ساكن ربما يذهب الذهن إلى ساكن، يعني مشكل بالسكون، الصوت الصامت صوت يضيق عند صدوره مجرى الهواء؛ فيسمع له صفير أو حفيف، أو ينحبس لحظة؛ فيسمع له انفجار مثل الصاد الفاء الباء والكاف. مثل "إص" أو حفيف "إف" ومثل الباء والكاف؛ فعندنا "إب" "إج" ينحبس الهواء لحظة؛ فيسمع له انفجار؛ عند المحدثين يسمى صوتًا انفجاريًّا، وعند القدماء يسمى صوتًا شديدًا.

الصوت الصامت ينقسم إلى: مجهور أو مهموس:

صوت مجهور: وهو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان. الوتران الصوتيان في الحنجرة يمتدان أفقيًّا، هما رباطان مرنان يمتدان أفقيًّا من الخلف إلى الأمام يلتقيان عند البروز الحنجري -المسمّى بتفاحة آدم- الوتران الصوتيان عندما يكون الصوت مجهورًا يقترب الوتران بعضهما من بعض فيحدث الاهتزاز، هذا الاهتزاز المنتظم نسميه صوتًا مجهورًا، ننطق مثلًا الدال "إد" "إز" "إذ" الصوت المجهور يهز

الأوتار الصوتية عندما ننطق الصوت المجهور نضع يدنا على البروز الحنجري ؛ فنحس باهتزازات.

الصوت المهموس: هو صوت لا يهتز معه الوتران الصوتيان، مثاله التاء - والثاء - والحاء - والخاء - والسين - والشين - والصاد - والفاء - والكاف - والهاء - مجموعة في "سكت فحثه شخص". الكاف - التاء - الفاء - الحاء - الثاء - الهاء - الشين - الخاء - الصاد - والطاء - والقاف - عند المحدثين.

أما عند القدماء كالخليل وسيبويه فـ"الطاء" و"القاف" من الأصوات المجهورة موجودة طبعًا في كتب العلماء، إنما بحسب التجارب الحديثة والمعامل الصوتية فوجد صوت الطاء صوت مهموس يعني لا يهز الأوتار الصوتية، ووجد أن صوت القاف صوت مهموس.

الأصوات الشديدة: هي الهمزة - والباء - والتاء - والدال - والطاء - والقاف - والكاف - والجيم غير المعطشة، هذه الأصوات الشديدة جمعت في "أجدت طبقك".

الصوت الرّخو أو الاحتكاكيّ: وهو الصوت المتنادي الذي يتسرب معه الهواء خلال مجرى ضيقٍ عند مخرجه، وتسمع حركة الهواء عند صدوره، مثاله: الهاء - والحاء - والعين - والخاء - والغين - والشين - والجيم المعطشة: والسين والصاد والزاي والظاء والذال والثاء والفاء، هذه الأصوات تسمى أصوات رخوة، وتسمى عند المحدثين صوت احتكاكي هو مجرد مصطلح.

الصوت المستعلي: وهو صوت يرتفع معه مؤخر اللسان نحو الحنك الأعلى.

أصوات الاستعلاء: هي: الصاد - الضاد - الطاء - الظاء - القاف - الخاء -

والغين - والراء واللام المفخمتان هي مجموعة في "خص ضغط قظ" عندنا اللام والراء واللام المفخمتان، مثلًا اللام عندما تأتي في لفظ الجلالة، مثلًا "رسول الله" اللام مفخمة تفخيم جزئي يعني في أماكن معينة. حروف التفخيم الكامل: الصاد - والضاد والطاء — والظاء، والتفخيم الجزئي وأصواته هي الخاء والقاف والغين، والتفخيم المتغير هو أن يكون الصوت مفخمًا في مواضع معينة صوتاه هما اللام والراء يعني قد يكون مفخمًا وقد يكون مرققًا.

متى تكون اللام مفخمة؟ في لفظ الجلالة إذا كانت بعد فتح نحو قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ١٨] الدال مفتوحة يعني لا نقول: "شهد الله" اللام هنا مفخمة. "قال الله" اللام هنا بعد فتحة لفظ الجلالة، أو وقعت بعد ضم نحو "رسول الله" اللام تفخم في لفظ الجلالة كما تفخم -في غير لفظ الجلالة- إذا وقعت بعد أحد حروف الإطباق؛ لأن حروف الإطباق مفخمة. مثلًا "صلاة" الصاد هنا قبل اللام، وقعت اللام بعد الصاد. الراء تفخم إن فتحت ولم تسبق بكسر، وإن سكنت الراء وسبقت بفتح: ﴿ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ﴾ [النور: ٣٨] "يرْزق" إن سكنت الراء وسبقت بكسر ووليها صوت من أصوات الاستعلاء: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾ [التوبة: ١٢٢] ولا بد من تفخيم الراء إذا كان بعدها ألف.

أعلى أصوات الإطباق هي الطاء، عندما ندرس الأصوات لا ندرس هذه الأصوات منعزلة عن السياق فبعض الأصوات المهموسة قد يصيبها الجهر عندما تكون بجوار الأصوات المجهورة، عندما قلنا في مثال قبل ذلك في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾ [القصص: ٢٣] ﴿ حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾ هنا صوت الصاد صوت مهموس الصاد.

القاعدة الصوتية: أنه إذا تجاور صوتان: مجهور ومهموس؛ فالذي يؤثر في الآخر هو الصوت المجهور والذي يذوب في الآخر هو الصوت المهموس. فصوت الصاد صوت مهموس تأثر هنا بالصوت الدال نطقت الصاد زايًا.

السياق الصوتي وتأثيره المتبادل مع الحرف، والتمثيل لذلك بحرف النون

السياقات تنقسم إلى: سياق صوتي، وسياق لغوي، وسياق حال.

السياق الصوتي، أي: الهيئة الصوتية الذي يقع فيها الصوت، فعندنا صوت الصاد والشين يلحقهما الجهر إذا تلتهما الدال: صوت الصاد صوت مهموس، وأيضًا صوت الشين صوت مهموس؛ فإذا وقع صوت الصاد أو الشين في موقع أو في بيئة صوتية؛ تلتهما الدال، وذلك نحو: مصدر والتصدير، فينطقان هكذا "مزدر" و"التزدير" بزاي مفخمة، ونحو: "أشدق"، الشين صوت مهموس، ولكن وقعت بعد الشين الدال -يعني: جاورت الدال الشين- فتنطق هكذا: "أچدق"، بصوت مجهور، رغم أن الشين في الأصل صوت مهموس؛ إنما عندما تأتي الشين بجوار الدال، فيلحق الشين الجهر من الدال؛ لأن الدال صوت مجهور والشين صوت مهموس؛ فإذا جاورت الشين الدال؛ نطقت الشين بصوت مجهور تنطق جيمًا: "أچدق".

ونجد مثلًا صوتًا كصوت النون في اللغة العربية قد تنطق على عدة صور؛ وذلك بحسب الصوت التالي له، فصورة النون في: ﴿أَنْعَمْتَ﴾ [الفاتحة: ٧] غير صورتها في: ﴿إِن نَّحْنُ﴾ [إبراهيم: ١١]، وغير صورتها في: ﴿مِّن رَّبِّهِم﴾ [الأنبياء: ٢]، وغير صورتها في: ﴿أَنۢبِئْهُم﴾ [البقرة: ٣٣]، وغير صورتها في: ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ [المائدة: ٢].

إذن صوت النون تغير على حسب السياق، النون مثلًا في ﴿أَنْعَمْتَ﴾ مظهرة؛ لأن النون وقعت بعدها العين، وتسمى في علم التجويد بالإظهار الحلقي؛ أما في ﴿إِن نَّحْنُ﴾ فالنون جاورت نونًا، فهنا فيه إدغام، وأيضًا عندما تقع النون قبل الراء ﴿مِّن رَّبِّهِم﴾ عندنا هنا إدغام مع اختلاف الغنة، وأيضًا ﴿أَنْبِئْهُم﴾ النون هنا ساكنة والباء تلت هذه النون؛ فتكون النون في موقع الإقلاب، فهنا ننطق النون بصورة الميم ﴿أَنْبِئْهُم﴾، يسمى في علم التجويد الإقلاب. وأيضًا النون صورتها في ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ [المائدة: ٢] هنا مخفاة.

فالنون صوت واحد إذا نظرت إليها من الناحية الوظيفية، أي: أنها ليست تاءً أو باءً أو ثاءً أو جيمًا؛ فوجودها في كلمة مكان حرف آخر يغير معنى الكلمة.

الفونيم والتفريق بين المعاني

تعريف الفونيم: هو أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني.

عندما نقول مثلًا: "باد"، وعندما نقول: "ساد"."باد": الباء غير السين، وعندما نقول مثلًا: "نام"؛ فالنون غير الباء يعني: "باد"، "نام"، و"ساد"؛ الحروف اختلفت ولذلك اختلف المعنى.

فمعنى "ناس" غير معنى "داس" غير معنى "ساس"، ومعنى "نار" غير معنى "بار" وغير معنى "دار"؛ تغيرت النون إلى باء ثم إلى دال؛ فهذا يغير المعنى؛ لأن معنى "بار" غير معنى "نار" غير معنى "دار".

تعريف دانيال جونز للفونيم:

هو عائلة من الأصوات المترابطة فيما بينها من الصفات في لغة معينة، والتي تستعمل بطريقة تمنع وقوع أحد الأعضاء في كلمة من الكلمات في نفس السياق الذي يقع فيه أي عضو آخر من العائلة نفسها.

وهذا التعريف لا بأس به؛ فعندنا مثلًا الفتحات في العربية أعضاء لفونيم واحد، هو: فونيم الفتحة؛ ولكن أية فتحة منها لا تقع في موقع الأخرى.

فونيم الفتحة:

فونيم الفتحة ينقسم إلى ثلاثة أقسام: فتحة مرققة، فتحة مفخمة، فتحة بين بين، وأصوات التفخيم هي: الصاد والضاد، والطاء، والظاء، هذه الأصوات المفخمة؛ إذا صاحبت هذه الأصوات حركة من الحركات الثلاثة: كالفتحة، أو الضمة، أو الكسرة، تكون هذه الحركات مفخمة؛ لأن الصاد والضاد والطاء أصوات إطباق، يعني: أصوات مفخمة تفخيمًا كليًّا، فإذا صاحبت الحركة أو الضمة أو الفتحة أو الكسرة؛ تكون هذه الحركة مفخمة.

فالفتحة المفخمة في نحو: "صبر": صاد باء راء، "صبر": الصاد محركة بالفتح، فالفتحة هنا أتت بعد الصاد، صوت الفتحة هنا مفخم؛ لأنه جاور الصاد: أتى بعد الصاد.

وأيضًا "طبع" أتت بعد الطاء الفتحة، والفتحة حركة، والحركة إذا جاورت الصوت المفخم أو صوت الإطباق تصبح الحركة أيضًا مفخمة؛ عندما نقول: "طبع" الفتحة مفخمة، عندما نقول مثلًا: "بات" أو "ساس" فتحة مرققة، عندما

نقول: "قال" أو عندما نقول: "خرج" بعد الخاء فتحة بين بين -بين التفخيم وبين الترقيق.

أيضًا الصوت الممال: "رحمة" الفتحة هنا بين الفتح وبين الإمالة، عندنا أصوات الاستعلاء مجموعة في: "خص ضغط قظ" -فهذه تسمى أصوات الاستعلاء- وهي: الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، والقاف، والغين، والخاء، وهذه الأصوات تنقسم إلى قسمين: أصوات في أعلى درجات الاستعلاء، هي أصوات الإطباق، هي: الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، هذه الأربعة أصوات مطبقة، الأصوات التالية للأصوات المطبقة هي ثلاثة أصوات: القاف، والغين، والخاء، هذه الثلاثة أصوات بين التفخيم وبين الترقيق؛ إذن أصوات الإطباق في أعلى درجات التفخيم يلي أصوات الإطباق الثلاثة التي هي: القاف، الغين، الخاء، بعد هذا تأتي بأصوات الترقيق -الأصوات المرققة- عندنا: فتحة مفخمة، فتحة مرققة، فتحة بين بين، أو فتحة ممالة أي: بين الفتح وبين الكسر.

فونيم الكسرة:

الكسرة في العربية فونيم أعضاؤها:

١. الكسرة المفخمة في نحو: صيام، بصير، طباع، ضباع. وهذه الأصوات عندما تأتي بعدها الكسرة؛ تأتي كسرة مفخمة؛ الصاد والضاد والطاء والظاء أيضًا، عندما تأتي الكسرة بعد هذه الأصوات؛ تُعد كسرة مفخمة.

٢. الكسرة المرققة مثلًا في: سهام، بعد السين. مثلًا عبير، بعد الباء. بعد الراء: رِهام أو رِهان كسرة مرققة.

٣. هو كسرة بين بين، عندما نقول: خيام، غلاظ، قباب، الكسرة بعد الخاء، والكسرة بعد الغين، والكسرة بعد القاف، تعد كسرة بين بين.

التوضيح:

إن الكسرة بعد الصاد في "صيام"، وبعد الصاد في بصير، وبعد الطاء في "طباع"، وبعد الضاد في "ضباع"، كسرة مفخمة؛ لأنها اكتسبت التفخيم من الصوت السابق لها صوت الصاد والضاد والطاء والظاء.

الكسرة المرققة في نحو: "سهام"، كسرة هنا بعد السين، وأيضًا الكسرة في "عبير" بعد الباء، والكسرة في "رهام" بعد الراء، والكسرة بعد الراء في "رِهان" كسرات مرققة.

كسرة بين بين: أي بين التفخيم وبين الترقيق، إذا أتت بعد الأحرف الثلاثة التي هي القاف والغين والخاء؛ فعندنا مثلًا في "خيام" الكسرة أتت بعد الخاء، والكسرة في "غلاظ"، الكسرة أتت بعد الغين، أيضًا الكسرة في "قباب" أتت بعد القاف، كما قلت بأن الحركة تأتي بعد الحرف، ليست معه ولا قبله، هذه الكسرات المفخمة أو المرققة أو التي بين بين لا تقع واحدة منها موقع الأخرى؛ هذه كسرة مفخمة وتلك كسرة بين بين وأخرى كسرة مرققة.

يرى دانيال جونز: أن أحد هذه الأعضاء عضو رئيس والأعضاء الأخرى أعضاء إضافية أو ثانوية.

كيف نتعرف على العضو الرئيس؟

قال دانيال جونز: العضو الرئيس يُعرف بكثرة وروده في الاستعمال اللغوي عن بقية الأعضاء، يعني هو أكثر الأعضاء ورودًا، أو لأنه العضو الذي يستعمل وحده منعزلًا عن السياق الفعلي، أو لأنه الموقع الوسط بين بقية الأعضاء.

ومما هو جدير بالذكر: أن هذه الأعضاء لا تتبادل المواقع الصوتية فيما بينها؛ فكل عضو خاص ببيئة معينة: القبائل البدوية تفخم، القبائل الحضرية ترقق.

أما الفونيم -هو الصوت- فيتبادل المواقع مع الفونيمات الأخرى، قد نقلب الفتحة كسرة، قد نقلب الكسرة ضمة، الضمة فونيم، والكسرة فونيم، والفتحة فونيم، مثلًا تكتب لهجة بهراء يقولون: تِكْتِبْ، تِضرَب، تِلعَب، يكسرون حروف المضارعة؛ فعندما تكسر حروف المضارعة هنا الكسرة تبادلت الموقع؛ فتحة تغيرت إلى كسرة.

إذن الفونيم يتبادل المواقع؛ أما الأعضاء فلا تتبادل المواقع، الفتحة المفخمة لا تقع موقع الفتحة المرققة أو الفتحة التي بين بين؛ إنما الفتحة قد تحل محل الكسرة، وأيضًا الكسرة قد تحل محل الضمة؛ فنقول: أُسوة إِسوة، قُدوة وقِدوة، وتَعلم وتِعلم.

إذن وظيفة الفونيم -وفق هذا الرأي-: هي التمييز بين الكلمات وإعطاؤها قيمًا لغوية مختلفة صرفية أو نحوية أو دلالية؛ لأن المعنى يتغير فمعنى "بات" غير معنى "نام"، أو معنى "دام" غير معنى "بات".

مثلًا نحو: "لكَ" بفتح الكاف، فونيم الفتحة - "لكِ" بكسر الكاف، "لكَ" لمذكر؛ أما عندما نقول: "لكِ" بكسر الكاف للمؤنث؛ إذن المعنى تغير من مذكر إلى مؤنث.

مثلًا عندنا: "باد" و"قاد" و"كاد"، تغيير الفونيم غير المعنى، تغيير الصوت -الحرف- غير المعنى: باد غير معنى قاد، غير معنى كاد.

عرف بعضهم الفونيم بأنه: صوت أصيل أو صوت نموذجي يحاول المتكلم تقليده. كصوت: الجيم؛ يحاول كل إنسان منّا أن يقلد الجيم الفصحى، يحاول

بقدر الإمكان؛ لأن السوريين ينطقونها جيمًا كثيرة التعطيش، وبعض البلاد تنطقها جيمًا.

الجيم الفصيحة نشأ منها الجيم الشامية "جيم"، والجيم المصرية في اللهجة المصرية "جيم"، "جاء": هي معناها "جاء" هي معناها "چاء".

تعريف مجمع اللغة العربية بالقاهرة للفونيم:

وهو التعريف الذي نرتضيه: وهو صوت أصيل نشأ منه صوتان أو أكثر دون أن يكون للاختلاف أثر في المعنى. يشمل الصوامت والصوائت، الحروف الصامتة أي: الساكنة، والحروف الصوائت: هي الحركات، مثاله في العربية: الجيم الفصيحة ونطقها في اللهجات العربية الحديثة: چيم كثيرة التعطيش في نطق السوريين، جيم قاهرية كالكاف الفارسية.

مثاله أيضًا: صوت الثاء: الثاء فونيم تنطق في اللغة النموذجية -اللغة العربية الفصحى- ثاءً؛ أما في القاهرة تنطق ثاءً أو سينًا أو تاءً، ثابت العامة يقولون: "سابت" بالسين، أيضًا ثعبان عندما ينطقها العامة يقولون: "تِعبان"، أيضًا هذه الأصوات الثلاث: الثاء، والسين، والتاء، هذه عائلة من الأصوات تسمى عائلة الفونيم.

"جاء" أو "چاء" على اللهجة السورية، أو "جاء" على اللهجة القاهرية؛ لا يكون هناك فرق في المعنى، المعنى واحد.

هناك فونيم آخر يسمى "الفونيم الثانوي"، الفونيم الثانوي هو فونيم عدي لفظه قليلًا ليعطي ظلالًا مختلفة من المعنى يشمل هذا الفونيم الثانوي النبرات والأنغام والفواصل.

تعريف المقطع الصوتي وتقسيمه باعتبار آخره إلى مفتوح ومقفول

فالمقطع الصوتي: هو الدفعة الهوائية التي تضم وحدة صوتية بسيطة لا يمكن تجزئتها إلى أقل منها لبساطتها.

عندما نقول مثلًا: "كَتَبَ": "كتب" مكونة من ثلاثة مقاطع: "كَ" مقطع، "تَ" مقطع ثانٍ، "بَ" مقطع ثالث.

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾ [القيامة: ١٢] "مستقر": "مُسْ" مقطع، "تَ" التاء مقطع، "قر" مقطع ثالث.

تقسيم المقطع باعتبار آخره: يمكن أن نقسمه إلى قسمين، هما:

المقطع المفتوح: ويسمى المقطع الحر؛ وذلك إذا انتهى هذا المقطع بصائت؛ سواء كان هذا الصائت قصيرًا أم طويلًا؛ الصائت القصير -كما قلت-: مقاطع "كتب": "كَ" مقطع مفتوح، "تَ" مقطع مفتوح "بَ" مقطع مفتوح، الثلاثة المقاطع كلها مقاطع مفتوحة.

المقطع المغلق: الذي ينتهي بحركة أو صوت لين، سواء كان هذا صوت اللين قصر أو طويل.

مثلًا الواو الساكنة المسبوقة بضم يعني بحركة مجانسة نسميها صوت لين طويل، الكسرة نسميها صوت لين قصير، الياء الساكنة المسبوقة بضم نسميها صوت لين طويل.

المقطع المفتوح يسمى المقطع الحر؛ لأنه ليس مقيدًا، إذا انتهى بصائت مثل: "بَ" "بِ" "كُ"، هنا "بَ" الألف صائت "بِ" الياء صائت عندما تكون ساكنة وقبلها حركة مجانسة، أي: أن تكون الياء ساكنة وقبلها كسرة، أيضًا "كُ" الواو ساكنة وقبلها حركة مجانسة الضمة؛ لأن الضمة تجانس الواو، والكسرة تجانس الياء، والفتحة تجانس الألف، وكما قال القدماء الحركة بعض الحرف؛ فعندنا الفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، الياء تكون صوت لين عندما تكون ساكنة وقبلها كسر، الواو تكون صوت لين عندما تكون ساكنة وقبلها ضم.

إذن الألف صوت لين دائمًا لماذا؟ لأن الألف لا بد أن تكون ساكنة ولا بد أن تكون قبلها فتحة، أما الياء والواو فتارة تكونان صوت لين طويل، وتارة صوتين شبيهين بأصوات اللين الطويلة؛ إذن "بَ" "بِ" "كُ" هذه الأصوات لين طويلة، وتسمى المقاطع التي تكون بها مقاطع مفتوحة، مقاطع مثلًا "كتب": "كَ" "تَ" "بَ" ثلاثة مقاطع هنا "كَ" مقطع قصير مكون من صوت صامت هو: "الكاف، الفتحة" تسمى: "ع – ع": يعني علة قصيرة- مقاطع "كتب" مكون من "ص ع"، "ص ع"، "ص ع"، يعني المقطع الأول: "ص ع"، المقطع الثاني: "ص ع"، المقطع الثالث: "ص ع"، ثلاثة مقاطع متساوية "كَ"مقطع قصير مكون من صوت صامت هي: "الكاف، علة قصيرة"، نرمز للعلة القصيرة بـ"ع"، ونرمز للصامت بـ"ص": "ص" صوت صامت، و"ع": يعني علة قصيرة؛ إما إذا كانت علة طويلة -أي: يعني ألف أو واو أو ياء- نرمز لها بـ"ع ع".

تقسيم المقاطع الصوتية باعتبار الكم إلى: مقاطع قصيرة، ومتوسطة، وطويلة

نصنف المقطع باعتبار الكمية - كمية المقطع - إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: مقطع قصير.

الصنف الثاني: مقطع متوسط.

الصنف الثالث: مقطع طويل.

المقطع القصير: هو الذي يتكون من صوتيين: "صامت، علة قصيرة". كما قلت: مقاطع "كتب": "كَ" "مقطع صامت، ع"، العلة القصيرة: الفتحة؛ لأن الحركة بعد الصوت، "كَ" "صوت صامت، علة قصيرة"، نرمز له بـ"ص ع"، "كتب": "تَ" "ص ع"، "بَ" "ص ع"، يعني: "ص، ع"، المقطع القصير الذي يتكون من صوتين: "صامت، علة قصيرة".

المقطع المتوسط: ويتكون من ثلاثة أصوات: "صوت صامت، علة قصيرة، صامت" أو "صوت صامت، علة طويلة"؛ لأن العلة الطويلة "ع ع" تعد صوتين؛ لذلك تمد بمقدار حركتين.

العلة الطويلة: الألف مثلًا، أو الواو الساكنة المسبوقة بضم، أو الياء المسبوقة بكسر: علة طويلة. تمد مد طبيعي بمقدار حركتين نقول عنها بأنها صوتين؛ ولذلك نرمز لها بـ"ع ع".

المقطع الطويل: يتكون أكثر من ثلاثة أصوات: "صوت صامت، علة طويلة، صامت؛ إذن المقطع الطويل يتكون من أكثر ثلاثة أصوات، إما أنه مكون أربعة أو مكون من خمسة أو ستة... إلى آخره.

إذن المقطع الطويل هو الذي يتكون من أكثر من ثلاثة أصوات: "صوت صامت، علة طويلة، صامت". أو "صوت صامت، علة قصيرة، صامت وصامت أيضًا". أو "صوت صامت، علة طويلة، صامت، صامت".

نمثل لهذا النوع: عندنا: "ص، ع ع، ص" أربعة أصوات: مثل المقطع الأخير من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] نقطع ﴿نَسْتَعِينُ﴾ "نسْ" مقطع متوسط، و"تَ" مقطع قصير و"عِين" المقطع الطويل،

مقطع "عِين" طويل مكون من: "ص، ع ع، ص ص" ص ص هو العين، و ع ع هو العلة الطويلة، وهي الكسرة التي تولد عنها ياء التي أشبعت وأصبحت ياء، و ص هو النون الساكنة.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: ١٢] نقطع المقطع "قرّ": مكون من القاف المفتوحة، والراء المشددة الساكنة، "قر" تقطيعك هكذا: "ص، ع، ص ص".

مقطع آخر طويل أيضًا: نقول مثلًا "جاد" مكون من ص هي الجيم، والفتحة مع الألف: ع ع؛ لأن الحرف المشددة بحرفين: الدال المشددة الساكنة: ص ص. إنما عندما نقول "جادَّ" يختلف الوضع؛ لأن الحرف المشددة بحرفين: الأول ساكن، والثاني متحرك؛ إنما عندما نسكن الحرف المشددة؛ يصبح ص ص؛ إذن جاد مكون من: "ص، ع ع، ص ص" خمسة أصوات؛ إذن المقطع الطويل يمكن أن يكون مكونًا من خمسة أصوات.

المقطع "حاب" مقطع مكون من "ص" هي الحاء، "ع ع" هي الفتحة مع الألف، "ص ص" هي الباء المشددة الساكنة؛ الحرف المشدد بحرفين.

أما عندما نقول: "تحابَّ" إذن مكون من ثلاثة مقاطع: المقاطع الأول: "تَ"، المقطع الثاني: "حابْ" نأخذ حرف ساكن من الحرف المشدد، والحرف الآخر "بَ": "تَ" "صوت صامت، علة قصيرة". "حابْ" "صوت صامت، ع ع، ص". "بَ" "صوت صامت، ص".

ومما هو جدير بالذكر: أن لغات وسط أفريقية تؤثر المقاطع المفتوحة؛ أما اللغة العربية؛ فتميل إلى المقاطع المقفولة؛ حيث أوجب العلماء تسكين آخر الفعل عند اتصاله بالضمير المتحرك نحو: كتبتُ؛ وذلك لاستحالة اجتماع أربعة متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة؛ لأن الفعل والفاعل كالكلمة الواحدة؛ فأوجبوا تسكين آخر الفعل.

تعريف النبر وقواعده

النبرُ: وهو عبارة عن إبراز أحد مقاطع الكلمة، وهو (فونيم) ثانوي، يلقي ظلالًا مختلفة من المعنى، قلنا: بأن المقطع هو الدفعة الهوائية التي تضم وحدة صوتيةً، لا يمكن تجزئتها إلى أقل منها، إنما أحد هذه المقاطع يكون منبورًا، يعني: إبراز أحد المقاطع بزيادة وضوحه، يكون هذا المقطع منبورًا، والنبر فونيم ثانوي؛ لأنه يؤثر في المعنى.

قواعد النبر في العربية الفصحى:

كيف نعرف المقطع المنبور؟ أو كيف ننبر المقطع، نوضح المقطع الذي يجب إبرازه من الكلمة؟ فالنبر في العربية الفصحى له قواعد، أما في اللهجات الدارجة فليس له قاعدة. أنت تقول مثلًا: "مزرعة". الوجه القبلي أو الصعيدي يقول: "مازرعة".

يعني: يضغط على مقطع آخر غير الذي نضغط عليه. نقول: "مدرسة"، يقول الآخر: "مادرسة". إذن النبر في اللهجات الدارجة ليس له نظام، وليس له قاعدة، أما في العربية الفصحى، فله قواعد وله ضوابط.

النبر يقع على المقطع الأخير من الكلمة إذا كان طويلًا، إذن النبر على هذا المقطع، أو ما قبل الأخير، أو المقطع الأول، أو الثالث، أو الرابع إذن ننظر إلى الكلمة من الآخر في النبر. مثل قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فالنبر على: "عين" "نستعين" "نس/ ت/ عين". ونحن قلنا: بأن هنا مد عارض للسكون. "نس" مقطع متوسط: "ص ع ص". "تَ" مقطع قصير: "ص ع"، التاء مشكلة بالفتح، "عين" مقطع طويل مكون من: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلا أن عندنا "عين" العين ومشكّلة بالكسرة مع الياء: "ع ع"، والنون الساكنة صوت صامت.

إذن المقطع: "عين" صامت، ع ع الكسرة مع الياء، النون.

إذا لم يكن المقطع الأخير طويلًا، فننظر للمقطع الذي قبل الأخير، إذا كان طويلًا يكون النبر عليه، أو إذا كان متوسطًا، أيضًا يكون النبر عليه، إذا لم يكن المقطع الأخير من الكلمة طويلًا، فإن النبر يقع على ما قبل المقطع الأخير. إذا كان طويلًا مثل: تحابَّت، ننظر المقطع الذي قبل الأخير تاء مقطع قصير، تاء تحاب الحاء مع الحاء، الحاء ساكنة، صوت صامت، فتحة الحاء مع الألف ع ع، المقطع قبل الأخير مكون من: "ص، ع ع، ص"، مقطع طويل؛ لأن المقطع الطويل مكون من أكثر من ثلاثة أصوات.

إذن المقطع "حاب" مكون من : "حا"، الحاء : صوت صامت، الفتحة مع الألف : ع ع، ثلاثة أصوات، الباء الساكنة من الحرف المشدد : الباء الأولى الساكنة من الحرف المشدد : "حابّ" أربعة أصوات، مقطع طويل، إذن النبر هنا على "حاب" "حاب".

مثل : أبوك، فهنا "أ" مقطع. "بو" مقطع ثاني. "ك" مقطع ثالث، "أبوك" مكونة من ثلاثة مقاطع ؛ "أ" الهمزة المفتوحة، المقطع الأول. "بو" مقطع ثاني، مكون من الباء "صوت صامت، ع ع" ؛ لأن الضمة مع الواو "ع ع"، المقطع المتوسط "كَ" مقطع قصير، مكون من : "ص، ع".

ومثل : كتبتم علمتم، "ك" مقطع مكون من : "صوت صامت، ع"، لام قصيرة. "تب" مقطع متوسط، "تب" صوت ساكن -التاء- والحركة علة قصيرة، والباء صوت صامت : "ك/ ص/ ع". مقطع الثاني قبل الأخير: "تب" صوت صامت : ص ع ص. مقطع متوسط. النبر هنا على "تب" المقطع عليه النبر هو قبل الأخير.

النبر: إذا لم يكن المقطع الأخير طويلًا، ننظر في المقطع الذي قبل الأخير، إذا كان المقطع الذي قبل الأخير مقطعًا طويلًا، يكون النبر عليه، أو يكون المقطع متوسطًا أيضًا يكون النبر عليه. وإلا فإن النبر يقع على المقطع الثالث من آخر الكلمة، ما لم يكن الثالث مقطعًا قصيرًا مسبوقًا بقصير المثل، إذا لم يكن آخر الكلمة مقطعًا طويلًا، يكون النبر على المقطع الذي قبل الأخير إذا كان قبل الأخير متوسطًا أو طويلًا، إذا لم يكن المقطع الذي قبل الأخير متوسطًا أو طويلًا، يكون النبر على المقطع الثالث من آخر الكلمة، مثلًا عندنا "كتب" : النبر على المقطع الأول "ك" مقطع، "تبَ" ثلاث مقاطع.

ويقع النبر على المقطع الرابع من آخر الكلمة، إذا لم يكن آخر الكلمة مقطعًا طويلًا، وكانت المقاطع الثلاثة التي تسبق القصير، نحو: قصبة، عربة، عجلة، شجرة... إلى آخره.

النبر هنا يقع على المقطع الرابع من آخر الكلمة، يعني: أول الكلمة، "قَصَبَةٌ": قَصَ -اثنين- بَةٌ، كم مقطع؟ أربعة، "ق" مقطع قصير، مكون من: "ص، ع". "ب" مقطع قصير أيضًا، "ص، ع". "ت" مقطع متوسط، مكون من: "ص، ع، ص"؛ لأن التنوين نون ساكنة.

إذن "ق" مقطع، "ص" مقطع ثانٍ، "ب" ثالث، "ت" مقطع رابع. آخر الكلمة ليس مقطعًا طويلًا، هنا آخر الكلمة مقطعًا متوسطًا، إذن لا يكون النبر عليه، النبر على آخر الكلمة إذا كان مقطعًا طويلًا.

التنغيم، وأثره في المعنى

التنغيم فونيم ثانوي، يعني: يؤثر في المعنى. هو ارتفاع الصوت وانخفاضه وفقَ الحال المؤدَّى فيه، أو هو إعطاء القول الأنغام المناسبة، والفاصل أو الفواصل المناسبة.

تتنوع النغمات لأربعة أنواع:

النغمة المنخفضة: ورمزها واحد يعني: أول نغمة، أو أخفض نغمة، يعني: وهي أخفض درجات النغم، وتنتهي بها الجملة الإخبارية. الجملة الإخبارية تنتهي بنغمة منخفضة.

النغمة المتوسطة أو العادية: رمزها اثنان، وهي النغمة التي نبدأ بها الكلام عادةً، يعني: نبدأ الكلام بنغمة متوسطة. أما عندما ينتهي بالجملة ننتهي بنغمة هادئة، وبنغمة منخفضة.

النغمة العالية: ورمزها ثلاثة، وهي تصاحب عادةً النبرة الرئيسة في الجملة. نحن قلنا: بأن نبر الكلمة هو الضغط على أحد مقاطع الكلمة، نبر الجملة الضغط على كلمة من الجملة، وهذا يؤثر في المعنى، فعندما نقول مثلًا: حضر محمد، عندما أشك في حضور الشخص محمد مثلًا، أقول: محمد أضغط على الشخص الذي أشك في حضوره. عندما أشك في الزمن في اليوم مثلًا، اليوم، إذن أضغط على حضر محمد اليوم؟! فيتغير المعنى.

إذن عندما أقول مثلًا: حضر محمد ثم علي، ضغطت على أحد الاسمين، إذن أنا أشك في حضور هذا الشخص.

إذن النغمة العالية، وهي التي تصاحب عادة النبرة الرئيسة في الجملة، أو الانفعال، أو في بعض حالات التوكيد، عندما أؤكد، أو أتعجب.

النغمة فوق العالية: ورمزها أربعة، وهي النغمة التي تأتي في التعجب، أو الأمر، أو الانفعال، أو في بعض حالات التوكيد.

وللتنغيم أثر فعال في اللغات التي لا تعتمد على ضوابط، وذلك كاللغات الدارجة التي تعتمد على فَهم المراد من الجملة عن طريق الأنغام المناسبة. فعلى سبيل المثال: قولنا: محمد حضر، في اللهجة الدارجة تحتمل الآتي: الإخبار بحضور محمد، وتحتمل أيضًا الاستفهام عن حضوره، ونغم الأداء هو الذي يسعف السامعَ بفَهم المراد. عندما نقول: محمد حضر، جملة إخبارية، أما عندما

نقول: محمد حضر، ونضغط على "حضر" أو نضغط على "محمد" إذن نغم الأداء هو الذي يحدد المراد من الكلام.

الفاصلة، وأثرها في المعنى

الفاصلة من الفونيم الثانوي أيضًا الذي يكون له تأثير في المعنى.

الفاصلة عرفها الروماني: بأنها حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسنَ إفهام المعاني، وهي فونيم ثانوي يأتي بين كلمة وأخرى، أو بين قول وسكون، ويعبر عنه بالوقوف. وقال عنها ابن منظور في (لسان العرب): إنها أواخر الآيات في كتاب الله تعالى.

ومن الفواصل ما هو آية. مثل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الرحمن: ١]. و﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١] ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ فاصلة. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ١-٥].

ومنها: ما هو بعضُ آيةٍ، وهو الغالب. الفواصل نوعان: فواصل متماثلة، وفواصل متقاربة. الفواصل أو الفاصلة المتماثلة: وهي على النحو الآتي: في الحرف الأخير في قوله تعالى: ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ٢]. ﴿يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٣]. ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١]. في قوله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١، ٢]. الفاصلة هنا في الحرف الأخير وهو ألف: الفاصلة في الألف. في الحرفين في نحو: ﴿صَدْرَكَ﴾ ﴿وِزْرَكَ﴾ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]. الفاصلة هنا في الحرفين الأخيرين: الراء والكاف. وبعدين: ﴿وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ٢] الراء والكاف،

الفاصلة في الأحرف الثلاثة الأخيرة، نحو: ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢] نون ثم واو، ثم نون. ﴿مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٣] أيضًا الفاصلة بين: ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ و﴿مَمْنُونٍ﴾ في ثلاثة أحرف أخيرة. أو في الأربعة أحرف الأخيرة، نحو: ﴿مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] ﴿يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢].

هذه الفواصل المتماثلة: إما في حرف، في الحرف الأخير، أو في الحرفين الأخيرين، أو في أربعة أحرف الأخيرة.

وهناك نوع آخر من الفواصل هو الفاصلة المتقاربة:

كالميم مع النون، يكون الحرفان مثلين، الميم ليست مثل النون، ولكنها مقاربة للنون، الميم من الشفتين، أما النون من طرف اللسان مع ما يقابله من النون مما فُوَيق أصول الثنايا العليا.

إذن الميم مع النون فاصلة متقاربة، والميم صوت من أصوات الرنين، والنون أيضًا من أصوات الرنين، فيها غنة، صوت أغن أيضًا، الدال مع الباء، نحو: المجيد، عجيب، الدال فاصلة متقاربة، الدال مع الباء، الدال: مجيد عجيب، الدال من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، الباء من الشفتين، تتقارب في المخرج.

التقارب في الحروف يكون بين حرفين تقاربًا مخرجًا وصفةً كالذال والسين، الذال والسين تقارَبَا مخرجًا؛ الذال من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، والسين من طرف اللسان، فيه تقارب في المخرج.

تطويل الصوت أو تقصيره

الصوت فيه سياقات، عندما نقول: سياق، ننظر في السياقات، السياق سياق صوتي - البيئة الصوتية - يعني: الصوت داخل بيئته الصوتية، الصوت قبله والذي بعده، أيضًا يوجد سياق حالي، هو حال المتكلم - حال السامع - الظروف والملابسات المحيطة بالكلام.

السياق اللغوي: أن يفسر الكلمة باعتبار ما قبلها وما بعدها، كلفظ "جلل" قد يكون معنى لفظ "جلل": العظيم، وقد يكون معناه: الحقير أو اليسير.

الشاعر عندما يتحدث عن مقتل أخيه، فيقول:

فلأن عفوتُ لأعفون جللًا ❖ ....

الإنسان لا يفتخر إلا بالعفو عن شيء عظيم.

يعني: عفوًا عظيمًا.

.... ❖ ولئن سطوتُ لأوهنن عظمي

يعني: الذي قتل أخاه، كان من نفس القبيلة. فيقول الشاعر:

فلأن عفوت لأعفون جلل ❖ ولئن سطوت لأوهنن عظمي

لأن القبيلة هو منها وهي منه.

هذا هو السياق اللغوي، سياق اللغة يسمى "السياق الصريح" سياق حال يسمى السياق "غير الصريح، أو سياق خارجي" يعني: ليس من داخل الكلام.

ظاهرة الفونيم التي سبق الحديث عنها: هي الوحدة النطقية نابعة من دراسة البيئة الصوتية، تنبه إليه ابن جني قديمًا، فقال: وذلك أن الحرف الساكن ليست حاله إذا أدرجته إلى ما بعده، فحاله لو وقفتَ عليه. ابن جني هو الذي أشار إلى ذلك وهو ما سمي فيما بعد بـ"نظرية الفونيم".

يقول ابن جني: وذلك لأن من الحروف حروفًا إذا وقفتَ عليها لحقها صويت ما من بعدها، فإذا أدرجتها إلى ما بعدها، ضعف ذلك الصويت وتضائل للحس، نحو قولك: إح، إص، إث، إف، إخ، إك. وقفت على هذه الأصوات، فإذا قلت: يحرت، ووصلت الصوت -يعني: صوت الحاء- بالأصوات ما قبله وما بعده، قلتَ: يحرت، وإذا وصلت الصادَ بما قبلها وما بعدها، قلتَ: يصبر، وإذا وصلت السين بما قبلها وما بعدها، قلتَ: يثلم، وإذا وصلت الثاء بما قبلها وما بعدها، قلتَ: يُثرِّد أو يَثرد، وإذا وصلت الفاء بما بعدها، قلتَ: يفتح، وإذا وصلت الخاء بما بعدها وما قبلها، قلتَ: يخرج، وفي هذه الحال خفي ذلك الصُويت وقَلَّ. إذا وقفت على الحرف منفردًا، كان له صويت، إذا أدرجته إلى ما بعده، ضعُف ذلك الصويت وتضائل.

فعندما ننطق بصوت مهموس كالصاد، ونأتي بعدها بصوت مجهور، يعني: الصوت المهموس -الصاد، الأصوات المهموسة: مجموعة في "سكت فحسه شخص"، الطاء والقاف عند المحدثين- ثم أتينا بعده بصوت مجهور، فسنجد صوتًا مهموسًا يتأثر بالصوت المجهور، مثلًا في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾ [القصص: ٢٣]. ننطق الصاد بالإشمام كما قرأها حمزة والكسائي: "حتى يصدر الرعاء" "حتى يصدر الرعاء" ننطق الصاد بزاي مفخمة، تأثرت الصاد؛

لأن الصاد صوت مهموس، تأثرت بالدال، والدال التي أتت بعد الصاد صوت مجهور، يعني: يهز الأوتار الصوتية، عندما نطقنا بالصاد مخالطة لصوت الدال، أو متصلة بصوت الدال، نطقنا الصاد بزاي المفخمة؛ لأن الزاي المفخمة تجمع بين الدال؛ لأن الزاي مجهورة، والدال مجهورة.

لأن أصوات الإطباق في أعلى درجات التفخيم -أصوات الإطباق: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء- لأن هذه الأصوات مفخمة تفخيمًا كليًّا. صوت الصاد صوت مفخم وصوت مهموس، فعندما نأتي بالزاي المفخمة. إذن تجمع الزاي المفخمة بين الدال وتجمع بين الصاد؛ لأن الزاي مجهورة والدال مجهورة، وتجمع أيضًا الزاي بين الصاد وبين الزاي؛ لأن الزاي أصبحت مفخمة، إذن يكون لها صلة بالصاد؛ لأن الصاد مفخمة أيضًا، إذن هذا من تأثر الأصوات بعضها ببعض.

مظاهر التأثر بالسياق الصوتي:

أولًا: تطويل الصوت

كصوت المد حين يكون بعده همزة أو ساكن، في القراءات: مثل: ﴿يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٩٠]. ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] هنا تأثر صوت المد بالهمزة أو بالساكن بعده، في القراءات: ﴿يَشَآءُ﴾ نسميه صوتًا مديدًا. الصوت: إما صوت مد، مد طبيعي أو صوت مديد، فصوت مديد عندما يأتي بعد الألف همزة، أو يأتي بعد الألف صوت ساكن: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الصوت المشدد بصوتين: الأول ساكن، والثاني متحرك.

أيضًا من مظاهر التأثر بالسياق الصوتي: تقصير الصوت وهو سرعة النطق بالحركة التي في آخر الكلمة الموقوف عليها، وهو ما يُعرف عند القراء بـ"الروم" مثل: يأمركم الراء مشكلة بالضمة، يأمركم حركة قصيرة، إنما عندما نقول: "يأمركم" ونختلس الحركة، فتكون الحركة مختلسة، يعني: اقتطعنا بعضها، نطقناها بسرعة، اقتطع منها شيء، أو اقتطع منها بعض الصوت. إذن نسميها حركة مختلسة". حركة قصيرة: الفتحة، والضمة، والكسرة. عندما نقول مثلًا في: يأمركم "يأمرْكم" تنطقها بين السكون وبين الحركة، تقتطع جزءًا من الحركة، فنسميها "حركة الروم" أو نسميها "حركة مختلسة".

التجهير والتهميس والإطباق والمزج

من التأثر بالسياق الصوتي تجهير الصوت، أي: أن الصوت المهموس إذا جاور صوتًا مجهورًا نطقنا به مجهورًا، تجهير الصوت، وهو النطق بالصوت المهموس مجهورًا كنطق التاء دالًا في "ازدان" بدلًا من "ازتان" وأصل هذا الفعل "ازتان" افتعل، "ازتان" النطق بالتاء، التاء مهموسة، ولكنها جاورت الزاي المجهورة فتأثرًا بالزاي المجهورة قلبت التاء دالًا فقلنا فيها: "ازدان"، وهذا يسمى تجهير الصوت يعني النطق بالصوت المهموس مجهورًا تأثرًا بالصوت المجهور وتأثرًا بالبيئة الصوتية أو بالسياق الصوتي.

التهميس وهو عكس التجهير، التهميس وهو النطق بالصوت المجهور مهموسًا كنطق الدال تاء في اللهجة المصرية مثل: "البوتقة" بدلًا من: "البودقة"، والبودقة:

وعاء لصهر المعادن، عندما يجتمع صوتان مجهور ومهموس فالغالب أن يؤثر المجهور في المهموس أما أن يؤثر المهموس في المجهور فقليل ونادر.

نأتي إلى مصطلح آخر وهو الإطباق كنطق "اصتبر"، التاء ليست مطبقة مستفلة، تأثرت بالصاد فتحولت التاء إلى طاء، قلبت التاء طاء تأثرًا بالصوت المطبق الصاد؛ لأن عندنا أصوات الإطباق -كما قلت-: الصاد والضاد والطاء والظاء، فالتاء جاورت الصاد، الصاد مطبقة والتاء ليست مطبقة، فقلبت التاء طاء تأثرًا بصوت الصاد، فقلبت التاء طاء لتكون مطبقة كالصاد، تأثر الصوت غير المطبق بالصوت المطبق فقلب الصوت غير المطبق صوتًا مطبقًا.

المزج من مظاهر التأثر بالسياق أيضًا: وهو صوت يتكون من امتزاج صوت شديد بصوت رخو مثل: "تش تش تش" "وتج تج": وهذا نلحظه في اللهجات الأجنبية.

التماثل أو التغاير

من مظاهر التأثر بالسياق أيضًا التماثل، التماثل مثلًا في قراءة ابن عامر: "أيهُ الثقلان" الضمة المفروض: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ [الزخرف: ٤٩]، ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] فقراءة ابن عامر: "أيهُ الثقلان" ضم الهاء تأثرًا بضمة الياء.

أيضًا "أيهُ الساحر" حذف الألف وضم الهاء، وهذه لهجة بني أسد. إذن التماثل كقراءة ابن عامر تماثل في الحركات أصلها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾.

أيضًا من التأثر بالسياق الصوتي: التغاير، ونسمي هذا التغاير المخالفة الصوتية أو التغاير، وهو حدوث اختلاف بين الصوتين المتماثلين في الكلمة الواحدة نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ١٠]، ﴿ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ معناه دسسها، ومثله قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾ [القيامة: ٣٣] أي: يتمطط، فهي هنا بطاءين، قلبنا الطاء الثانية ألفًا ﴿ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾ هي صحيح مرسومة بالياء ولكنها ألف إذن، ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾ قلبنا الطاء ألفًا، وأصلها: ﴿ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾، وأيضًا دسسها ثلاثة سينات، دسسها: السين الأولى مشددة بسينين فقلبت إحدى السينات ألفًا مخالفًا بذلك بين الحروف المتماثلة.

أيضًا يقول العجاج على هذا:

إذا الكرامُ ابتدروا الباع بدر ❖ تقضي البازيّ إذا البازيُّ كسر

أراد تقضضا. "إذا الكرام ابتدروا" يعني: تسابقوا إلى فعل الخيرات.

"إذا ابتدروا الباع بدر" تقضي البازي أصلها تقضض بدل تقضي، تقضض البازي إذا البازي كسر.

فهنا أراد تقضض فحول الضاد ياء، بدل تقضض، حوّل حرفًا من الحرفين المتماثلين إلى ياء هذه تسمى مخالفة صوتية أو تغاير صوتي، هذه لهجة موجودة في القبائل البدوية يقولون في "أمَّا": أيما، بدلًا من الحرفين المتماثلين يقلبون أحد المتماثلين حرفًا مخالفًا مغايرًا، ومثلها قوله تعالى: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ ﴾ [التوبة: ١٠] أو في بعض القراءات: "لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًا وَلا ذِمَّةً" بدل "إلًّا" بلامين يقولون: "إلًا ولا ذمة"، هذه تسمى مخالفة صوتية أو تغاير صوتي، وهذا تأثرًا بالسياق الصوتي، القبائل البدوية تقلب هذه الحروف المتماثلة أو تقلب الحرف

من الحروف المتماثلة إلى حرف آخر قصدًا للتخفيف، يعني رغبة في تخفيف الكلام.

يقول الخليل بن أحمد: وكذلك تفعل العرب إذا اجتمع حرفان من جنس واحد، جعلوا مكانه حرفًا من غير ذلك الجنس. وقال الأزهري نقلًا عن الفراء: إنّ ﴿دَسَّىٰهَا﴾ من دسست بدلت بعض سيناتها ياء -أي: ألفًا- كما قالوا: "تظنيت" من الظن وأصلها: تظننت؛ فقال فيها: تظنيت. هنا أيضًا مغايرة صوتية أو مخالفة صوتية عندما نقول مثلًا: فلان يعزي فلانًا أصلها: يعزز، يعني: يذهب ليقويه فأصبحت يعزي بدل يعزز، يعزي: بدل الحرفين المثلين قلب أحد المثلين إلى حرف مغاير ليخفف الكلام.

بقية مستويات التحليل اللغوي

عناصر الدرس

التحليل الصرفي

التحليل الصرفي هو: تحليل الكلمات للكشف عن الوحدات الصرفية وبيان صيغ الأبنية وأحوالها، وإبراز السوابق واللواحق والدواخل والجذور؛ لمعرفة وظيفة الكلمة في الجملة وعلاقتها بسواها من الكلمات ومن الحروف.

نقول مثلًا على سبيل المثال: كتْب مصدر مثل ضرْب يدل على الحدث، إذن الكتْب مصدر للدلالة على المصدر الحدث كتْب كتَب يكتُب كتْبًا، وكتب: للدلالة على الفعل يعني على حدوث الفعل في الزمن الماضي، واكتب: للدلالة على أن الفعل سيحدث في الزمن المستقبل، وكاتب: للدلالة على فاعل الكتابة يعني مَن كتب، ومكتوب للدلالة على ما وقعت عليه الكتابة، والمكتب: للدلالة على موضع الكتابة، وتكتَّبوا أي: تجمعوا وأكتبه يعني علمه الكتابة، وتكاتبا أي: تفاعلا أي: تراسلا، وهكذا. الوحدات الصرفية نكشف عن أعطيتك نقول: أعطيتك على الضمير أعطيتك إياه كل هذه وحدات صرفية.

بيان صيغ الأبنية:

عندنا مثلًا مكتوب وأكتب أفعل فاعل تفعل... إلى آخره، كل هذه صيغ الأبنية كاتب مكتوب مكتب اكتب مثلًا تكاتب أكتبه.

أحوال هذه الأبنية:

يعني عندنا ما يعرض لهذه الأبنية من السوابق والدواخل والجذور، يعني الجذر -جذر الكلمة- هو أصل الكلمة مثل: الكتْب أو الضرب أو كذا، جذر الكلمة

يدل على الحدث، عندما نأتي بزمن مع الحدث مثلًا زمن ماضي أو في المستقبل أو كذا.

السابقة مثلًا أحوال الأبنية وما يعرض لها مما ليس بإعراب ولا بناء، يعرض للأبنية مثلًا من إبدال من إعلال إبراز السوابق واللواحق والدواخل، السوابق يعني الكلمة مثلًا ذهب فعل، أذهب ذهب الهمزة هنا تسمى سابقة، دخل أدخله، مثلًا ذهب أذهبه الهمزة هنا سابقة -يعني سبقت الفعل- وتغير المعنى، عندما نحلل تحليلًا صرفيًّا نتعرف على الوحدات الصرفية وعلى صيغ الأبنية وأحوال الأبنية من إبدال من إعلال... إلى آخره.

إبراز السوابق التي تسبق الفعل أو الجذر عندنا جذر الكلمة مثلًا ذهب جذر الكلمة أدخلنا عليه سابقة مثلًا: "أذهب" أدخلنا عليه الداخلة في وسط الكلمة، فعندما نقول مثلًا: ذاهب، أو مثلًا: ضارب، الألف داخلة عندما نقول مثلًا: مسلمون، إذن الداخلة إما تكون مثلًا سوابق تكون في أول الكلمة أو لواحق في أواخر الكلمة أو دواخل في وسط الكلمة، مثلًا نقول في ذهب عندما نأتي بسابقة نقول: أذهب، عندما نأتي بداخلة نقول: ذاهب، عندما نأتي بلاحقة نقول: ذاهبون، نجمعه جمع مذكر سالم ذاهبون، مسلم الجذر: سلم، لو دخلنا عليه سابقة نقول: أسلم، لو داخلة نقول: سالم، لو لاحقة نقول: سالمون، إذن سوابق والدواخل واللواحق والجذور لا بد أن نتعرف على كل هذه الأشياء. لماذا نتعرف عليها؟ لمعرفة وظيفة الكلمة في الجملة وعلاقتها بسواها بغيرها من الكلمات الأخرى؛ فنقول على سبيل المثال: "كتْب" للدلالة على المصدر مثل ما نقول: ضرب، للدلالة على المصدر وضارب ومضروب وكذا، أو كاتب و مكتوب ومكتب... إلى آخره، فهذه كلها تدخل ضمن التحليل الصرفي.

التحليـــــــــل النحـــــــوي

نأتي بعد ذلك إلى التحليل النحْوي هو تحليل التراكيب محل الدرس، حسب القواعد النحوية؛ لكشف العلاقات النحوية بين كلمات الجملة والتي تظهرها الحركات الإعرابية والأدوات النحوية المستقلة. تحليل التراكيب التي هي محل الدرس تحليلها على حسب القواعد النحوية هذا فاعل: اسم يسبقه فعل: حضر محمدٌ، أما عندما نقدم الفاعل على الاسم: محمدٌ حضر، مبتدأ وخبر، محمدٌ مبتدأ وحضر فعل وفاعل، حضر فعل ماض والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على محمد، والجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر المبتدأ، عندما نحلل الجملة نعرف هذا موقعه كذا، هذه مثلًا وظيفتها فاعل هذا فعل هذا حدث... إلى آخره. لمعرفة وظيفة الكلمة في الجملة لكشف العلاقات النحوية بين كلمات الجملة هذه الكلمة فاعل، هذه الكلمة مفعول، هذه الكلمة فعل، هذه الكلمة اسم وهكذا، والتي تظهرها الحركات الإعرابية، بالحركات الإعرابية نستطيع أن نتعرف على وظيفة الكلمة في الجملة.

أيضًا بالأدوات النحوية المستقلة مثال ذلك: ذاكرت دروسك فأنت جدير بالنجاح، عرفنا ذاكرت، وعرفنا فعل، والدروس هي المفعول فأنت وأتينا بالفاء لنربط بين هذه الجملة وتلك، وأن هذه الجملة الثانية نتيجة للجملة الأولى وأيضًا عندما نقول: أفهمتك، وأفهمتكه، أفهمت، أفهمت فعل وفاعل، أفهمتك فعل وفاعل ومفعول، وأفهمتك، أفهمتكه، أفهمتك الدرس مثلًا، وأفهمتك إياه، وحضر محمد وأحمد، وحضر محمد فأحمد، هذه الفاء بينت أن أحمد حضر بعد محمد الفاء للترتيب، حضر محمد، ثم أحمد، ثم هنا أفادت الترتيب والتراخي،

ثم أحمد وسافر محمد يوم الجمعة من إذن من هنا بينت ابتداء السفر من بلدته إلى الانتهاء مع أسرته أيضًا بينت ظرف متمنيًّا كذا... إلى آخره، يوم الجمعة بينت أن السفر حدث في يوم الجمعة أو متمنيًّا قضاء يوم مشرق بهيج إذن التحليل النحوي نحلل التراكيب محل الدرس على حسب القواعد النحوية لكشف العلاقات النحوية بين كلمات الجملة لنتعرف على الفاعل على المفعول، على الظرف، على الأدوات، أدوات العطف، أدوات حروف العطف حروف الجر... إلى آخره.

التحليـــــــل الــــــــدلالي

وهو دراسة العلاقات بين معاني الكلمات المختلفة، الكلمات الموجودة في اللغة لها معانٍ، هذه المعاني تتصل بعض المعاني بعضها ببعض، من خلال الوقوف على جذر الكلمة وبنائها الصرفي، وسياقها الذي تقع فيه سواء كان سياق لغوي، السياق الصريح، أو سياق خارجي سياق الحال، من خلال بناء الكلمة الصرفي نتعرف على المعنى؛ إذن دلالة الكلمة فيه عناصر أساسية.

إذا وقفنا على هذه العناصر الأساسية تَعرفنا على معنى الكلمة، وعلى دلالة الكلمة تعرفناها من خلال الوقوف على جذر الكلمة، وعلى بناء الكلمة الصرفي: جذر الكلمة، حروف الكلمة، أصول الكلمة، ضَرَبَ: الضرب تدل الكلمة على الحدث الضرب، ضاد والراء والباء، جذر الكلمة هي أصول الكلمة، نجرد الكلمة من الزوائد ونتعرف على أصل الكلمة، وأيضًا بناء الكلمة الصرفي، مثلًا: ضرب حدوث الضرب في الزمن الماضي، مثلًا: كتب، حدوث الكتابة في الزمن الماضي، مثلًا "يكتب" في الزمن الحاضر والمستقبل، مثلًا: "كاتب" على من يكتب، فاعل الكتابة على المكتب مكان الكتابة، أيضًا نتعرف على

سياق الكلمة التي تقع فيه، سواء كان سياق الذي نسميه سياق صريح سياق لغوي ننظر للكلمة التي قبلها، وننظر للكلمة التي بعدها نفسر الكلمة من خلال هذا السياق مع بنائها الصرفي.

إذن نتعرف على بناء الكلمة الصرفي فعل فاعل مفعول... إلى آخره، يعني على صيغة الكلمة، صيغة الكلمة بتدل على حدث بعدما نتعرف على جذر الكلمة وعلى صيغة الكلمة، نتعرف على سياق الكلمة، وجود الكلمة في البيئة اللغوية المحيطة بها، والكلمة التي قبلها وهذا يسمى السياق الصريح، وأيضًا نتعرف على الكلمة مَن الذي قال الكلمة؟ مَن المستمع لهذه الكلمة؟ ما الظروف والملابسات المحيطة بالكلام؟ وهذا السياق الذي نسميه سياق الحال، عندنا لنتعرف على دلالة الكلمة نتعرف على هذه الأشياء على ماذا؟ نتعرف على جذر الكلمة -جذر الكلمة: أصول الكلمة- وعلى صيغة الكلمة فعل فاعل مفعول... إلى آخره، ونتعرف على ما قبل الكلمة، وما بعدها السياق الصريح قبل الكلمة وبعد الكلمة، كما قلت لفظ "جلل": العظيم والحقير أو اليسير:

كل شيء ما خلا الله جلل ❖ والفتى يسعى ويلهيه الأمل

"كل شيء ما خلا الله جلل" معناه: يسير أو حقير، إنما جلل في بيت الشعر الآخر باعتبار وجودها في ظروف معينة. الشاعر عندما يقول:

فلئن عفوت لأعفون جللًا ❖ ولئن سطوت لأوهنن عظمي

فمعنى جلل هنا: عظيم، وأيضًا معناها حقير أو يسير فإذا وقعت باعتبار ما قبلها وما بعدها والظروف والملابسات المحيطة بالكلام يأتي معناها، وأيضًا في سياق آخر تأتي بمعنى آخر، معنى جلل معناه عظيم، ومعنى جلل أيضًا حقير أو يسير، فعندما نقول:

فلئن عفوت لأعفون جللًا ❖ ....

معناه عظيم ؛ لأن الإنسان لا يفتخر إلا بالصفح عن شيء حقير.

أيضًا في بيت الشعر أو روي بروايات أخرى :

كل شيء ما خلا الموت جلل ❖ والفتى يسعى ويلهيه الأمل

التحليل الدلالي نتعرف على جذر الكلمة ، ونتعرف على صيغة الكلمة ، ونتعرف على السياق الذي تقع فيه الكلمة ، فمثلًا أبرق في قولنا : أبرقت السماء ، أبرق هنا أتت قبل السماء يعني أضاءت ولمعت وتوهجت على إثر انفجار كهربائي ، والانفجار الكهربائي هذا في السحاب ، إنما عندما نقول : أبرق فلان إلى فلان المعنى يتغير ؛ لأن أبرقت السماء غير أبرق فلان إنما أبرق فلان يعني أرسل برقية السياق هو الذي حدد المعنى ، عندما نقول أبرقت السماء أي : أضاءت ولمعت وتوهجت على إثر انفجار كهربائي في السحاب هذا الذي فهمناه من الجملة ، أما عندما نقول أبرق فلان إلى فلان سنفهم معنى آخر أي : أرسل برقية إلى فلان.

ومثلًا قضى في قولنا : قضى فلان الصلاة معناها أداها أدى الصلاة عندما نقول قضى نحبه أي : مات ، فقضى هنا تغير معناها بمراعاة السياق ، وقضى الحاكم بين الخصمين ، معنى قضى أي : حكم هنا ، فالفعل واحد ولكن السياق اختلف فاختلف المعنى ، إذن السياق يتحدد حسب المعنى ، وحسب جذر الكلمة ، السياق الذي تقع فيه صيغة الكلمة.

لسياق الحال ركائز أساسية هي حال المتكلم ، حال السامع ، الظروف والملابسات المحيطة بالكلام ، يقول ابن جني موضحًا سياق الحال : وبعد فالحمالون والحماميون والساسة والوقادون يستوضحون من مشاهدة الأحوال ما

لا يُحصّله أبو عمرو من شعر الفرزدق إذا أُخبر به عنه، ولم يحضره يَنشده. أنت عندما تأتي لبعض الحمالين وتقول له: عندي كرتونة أريد أن أذهب بها إلى مكان كذا، لا تستطيع أن تتفق معه على ثمن النقل، أو ثمن نقل هذه الكرتونة، أو هذا الحِمل، أو ما إلى ذلك إلا إذا عرفه الشخص الحمال؛ لأنك عندما تقول: كرتونة يجوز أن تكون هذه الكرتونة مليئة بالحديد فتكون حملًا ثقيلًا، إنما عندما يأتي الحمال يرفع الكرتونة عن الأرض يشاهد حال الكرتونة أو يشاهد حال الحمل هل يستطيع أن يحمله أو لا؟ إذن المشاهدة أهم شيء في هذا المعنى لا بد من مشاهدة الأحوال.

ولذلك يقول ابن جني موضحًا سياق الحال: وبعد فالحمال الذي تأتي به يحمل شيئًا من الأشياء، يحمل كرتونة يحمل قفصًا، يحمل حقيبة لا بد أن يشاهد الحمالُ الحقيبة التي يحملها؛ لأن المشاهدة هي أهم شيء في هذا الحال، فالحاملون والحماميون والساسة يعني الذين ينظفون الخيل، والذين يخدمون في هذه الأماكن يستوضحون من مشاهدة الأحوال لا بد أن يشاهد ما سيفعله. يقول ابن جني: أو لا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب به صاحبه، وينعم تصويره له في نفسه استعطفه ليُقبل عليه فيقول: يا فلان أين أنت؟ أرني وجهك أقبل عليّ أحدثك، فإذا أقبل عليه وأصغى إليه اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه أو نحو ذلك.

فلو كان استماع الأذن مغنيًا عن مقابلة العين مجزئًا عنه لما تكلف القائل، ولا كلف صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه وعلى ذلك يقول الشاعر:

والعين تنطق والأفواه صامتة ❖ حتى ترى من ضمير القلب تبيانًا

العين تبدي للذي في نفس صاحبها ❖ من العداوة أو ودٍّ إذا كانا

وقال الهذلي:

رفوني وقالوا يا خويلد لا تُرع ❖ فقلت وأنكرت الوجوه همُ همُ

أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجوه، وجعلها دليلًا على ما في النفوس، وعلى ذلك قالوا: رب إشارة أبلغ من عبارة، وحكاية الكتاب من هذا الحديث، وهي قوله: ألا تا، وبلى فا، وقولهم: رفع عقيرته، أي: رفع رجله المقطوعة المعقورة، إذا رفع صوته، فلو ذهبنا نشتق لقولهم عقر من معنى الصوت لبعد الأمر جدًّا وإنما هو أن رجلًا قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم نادى وصرخ بأعلى صوته؛ فقال الناس رفع عقيرته، أي: رجله المعقورة في الأصل.

إنما لو قلنا: رفع عقيرته معناها رفع صوته، إنما المشاهد الذي شاهد الحادثة أول الأمر هو الذي عرف الحال الذي قيلت فيه هذه الجملة، وهذا ما يسمى بسياق الحال، ولذلك قال سيبويه في نحو من هذا: أو لأن الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر. يعني ما نحن عليه من مشاهدة الأحوال والأوائل إذا فسرنا شيئًا أو استوضحنا شيئًا نستوضحه من الذي شاهد هذه الحال. إذن المطلوب في التفسير أو في استجلاء الأمر لا بد أن نتعرف على حال الحال التي قيلت فيه هذه الكلمة، أو هذه الجملة، أو هذه العبارة نستوضح من الحال التي قيلت فيه هذه الجملة. رفع عقيرته معناها الآن صوت، إنما أصلها أن رجلًا قطعت إحدى رجليه فوضعها على الأخرى، وصاح بأعلى صوته، فقال الناس رفع عقيرته. إذن لو ذهبنا نشتق من مادة عقر نشتقها من معنى الصوت لبعد الأمر جدًّا إذن الظروف والملابسات هي التي توضح الدلالة أو توضح المعنى المراد.

وروى النحويون:

بالخير خيرات وإن شرًّا فا ❖ ولا أريد الشر إلا أن تا

يفسرونه فيقولون: إنما أراد وإن شرًّا فشر فحذف الشر لعلم السامع وأثبت الفاء وأتبعها الألف للقافية إذ كانت مفتوحة. وقوله: "إلا أن تا" يريد إلا أن تريد وهذا الحذف كالإماء والإشارة يقع من بعض العرب لفهم بعض الكلام عن بعض.

روي عن الأصمعي قوله: كان أخوان من العرب مجتمعان في موضع واحد، لا يكلم أحدهما الآخر إلا وقت النُّجعة يعني وقت طلب الكلأ ومساقط الغيث فإنه يقول لأخيه: ألا تا. فيقول الآخر: بلى يريد ألا ترحل أو ألَا تنتجع، فيقول الآخر بلى فافعل. بلى فانتجع. فهنا من سياق الحال يَفهم أحدُهما كلام الآخر من خلال سياق الحال المؤدى فيه الكلام، إذن سياق الحال يُبنى على ركائز ثلاثة: الركيزة الأولى: حال المتكلم. الركيزة الثانية: حال السامع. الركيزة الثالثة: الظروف والملابسات المحيطة بالكلام.

تنوع دلالة اللفظ تبعًا لسبب نزول الآية:

من ذلك: أن ترى رجلًا قد سدد سهمًا نحو الغرض، ثم أرسله، فتسمع صوتًا، فتقول: القرطاس والله، أي: أصاب القرطاس، فأصاب الآن في حكم الملفوظ، به البتة، وإن لم يوجد في اللفظ، غير أن دلالة سياق الحال عليه، أو دلالة الحال عليه، نابت مناب اللفظ به.

وكذلك قولهم لرجل مهوي بسيف، وكان السيف في يده: زيدًا، أي: اضرب زيدًا. زيدًا نصبت هنا لأنها مفعولٌ لـ"اضرب" أي: اضرب زيدًا، فصارت شهادةُ الحال بالفعل بدلًا من اللفظ به. وكذلك قولك للقادم من السفر: خير مقدم،

أي: قدمت خير مقدم. وقولك وقد مررت برجل: إنْ زيدًا وإن عمرًا، أي: إن كان زيدًا، وإن كان عمرًا. وقولك للقادم من حجه: مبرور مأجور، أي: أنت مبرور مأجور. ومبرورًا مأجورًا، أي: قدِمتَ مبرورًا مأجورًا.

وكذلك قول الشاعر:

رَسمِ دارٍ وَقَفتُ في طَلَلِه ❖ كُدتُ أقضي الغَداةَ مِن جَلَلِه

أي: رب رسم دار. وكان رؤبةُ إذا قيل له: كيف أصبحتَ؟ يقول: خيرٍ عافاك الله، أي: بخير، بحذف الباء؛ لدلالة الحال عليها، بجري العادة والعرف بها.

وعلى نحو من هذا تنوع دَلالة اللفظ تبعًا لسبب نزول الآية. فالقنوت في قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] معناه: السكوت، قال زيد بن أرقم: "كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾، فأمرنا بالسكوت ونُهينا عن الكلام". وفي قوله تعالى: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ﴾ [الروم: ٢٦] معناه: مُقِرُّون له بالعبودية. وفي قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الزمر: ٩] أي: قائمًا على ذكر الله. عن جابر: ((أن النبي ﷺ سُئِلَ: أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت)). يريد: طول القيام.

ولفظ: الكتاب يُطلق ويراد منه الصحيفة. قال تعالى: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. [النمل: ٢٨-٣٠] وبمعنى الصحف المجموعة. قال تعالى: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣]. قال مجاهد: مكتوب فيه إلى كل واحد صحيفة.

والقرآن: قال تعالى: ﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]. والتوراة: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا

﴿هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [آل عمران: ٧٨]. فالكتاب الأول: ما كتبوه بأيديهم، والكتاب الثاني: التوراة.

والحكم: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥] أي: حكمًا مؤجلًا. وكتاب الأعمال: قال تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ [المؤمنون: ٦٢]. يعني: كتاب الأعمال. واللوح المحفوظ، وكتاب الأعمار: قال تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]. وهو اللوح المحفوظ، وكتاب الأعمال.

والكتابة: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]. وذلك بأن يُكاتب السيدُ العبد، إذا طلب العبد الكتابة يؤدي العبد بمقتضى هذا الاتفاق مالًا لسيده يُقسِّطه له، فإذا ما دفعه، صار حرًّا. ويُعبر بالكتاب عن الحجة الثابتة: قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠] أي: الحجة الثابتة من جهة الله تعالى. ونقول نحن معبرين عن الرسالة بالكتاب ردًّا على كتابكم بشأن كذا: نحيطكم عِلمًا بما هو آتٍ. فمعنى الكتاب هنا هو الرسالة. كما نطلق الكتاب على (كتاب سيبويه) عندما نكون في جلسة لُغوية، ونقول: ارجع إلى هذه المسألة في (الكتاب) فيكون قصدنا (كتاب سيبويه). وعندما نكون مدعوين في عقد زواج، نقول: ما مكان كتب الكتاب؟ أي: عقد الزواج.

وهكذا تتنوع دَلالة اللفظ تبعًا للحال المحيطة به، فالكتاب له أكثر من معنى، اختلفت المعاني باختلاف الأحوال.

تقسيم اللغات الحية، أشهر الجماعات الإنسانية

عناصر الدرس

تقسيم اللغات : أشهر الجماعات الإنسانية

قسم المؤرخون القدماء الأجناس البشرية إلى ثلاثة أجناس ، انحدر كل جنس منها مِن ولد من أبناء نوح الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ، وقد بَنَوْا هذا التقسيم على ما ورد في سفر "التكوين" : من أن الطوفان الذي حدث في عهد نوح # وعم الأرضَ، وأغرق جميع مَن فيها ، لم ينجو منه من أولاد نوح إلا ثلاثة هم سام ، وحام ، ويافث. ومِن ثَمَّ قرروا أن جميع سكان الأرض من نسل أولاد نوح الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث. سام تُنسب إليه الطائفة أو الفصيلة السامية ، حام تنسب إليه طائفة اللغات الحامية. يافث تنسب إليه طائفة من اللغات الأوربية.

الأنماط اللغوية وتنوع اللغات

عناصر الدرس

الأنماط اللغوية وتنوع اللغات

النمط اللغوي: هو نوع اللغة من حيث تركيبها المورفيمي التركيب الصرفي.

تتنوع اللغات من حيث تركيبها المورفيمي إلى ما يأتي: لغة عازلة، وهي لغة ذات جذور ثابتة لا تتغير. ولغة لصقية. ولغة تصريفية. وفي معظم الحالات تختلط هذه الأنواع الثلاثة في اللغة الواحدة بدرجات متفاوتة، ويتم تصنيف اللغة ضِمن أحد هذه الأنماط على حسب غلبة نمط على آخر في اللغة ذاتها.

مثلًا: اللغة العربية فيها الأنواع الثلاثة: العزل، واللصق، والتصريف. ولكن الغالب على اللغة العربية التصريف، ولذلك نقول بأن اللغة العربية لغة تصريفية.

مثلًا: اللغة التركية: يغلب على اللغة التركية اللصق، نقول مثلًا: "أجزخانة" بيت الدواء، "سَلَحْلِكْ خانة" بيت السلاح. "كتب خانة" دار الكتب.

أيضًا موجود عزل في اللغة العربية، مثلًا: عندما نقول: ضرب موسَى عيسى. لا نعرف الفاعل من المفعول، إلا بأن الفاعل مقدم، والمفعول مؤخر، ضربت ليلى هدى، لا يُعرف الإعراب؛ لأن الإعراب هنا مقدر.

اللصق موجود في اللغة العربية، لكنه قليل، مثلًا: عندما نقول: ذهب، أدخل الهمزة في اللصق، أدخل الهمزة على ذهب: أذهب، لصقنا حرفًا بالكلمة، أصبحت عندنا لغة من النوع العازل، وإنما الغالب على اللغة العربية أنها لغة تصريفية: كتبَ، يكتُب، اكتُبْ، كاتِب، مكتُوب، مَكتَب... إلى آخره. فهذه لغة تصريفية.

أشهر نظرية قسمت اللغات بحسب التطور من حيث قواعد الصرف والتنظيم، قال بها العلامة "شليجل" وتابعه فريق من العلماء؛ حيث قسموا اللغات الإنسانية إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: اللغات المتصرفة التحليلية:

يمتاز هذا القسم بأن كلماته تتغير معانيها بتغير أبنيتها، كما أن أجزاء الجملة يتصل بعضُها ببعض بروابط مستقلة، تدل على مختلف العَلاقات، وتمثل هذا القسم اللغة العربية، واللغات السامية الأخرى، واللغات الهندية الأوربية. سُميت هذه اللغات بالمتصرفة؛ لأن المعاني تتغير بتغير أبنيتها، فنقول مثلًا في اللغة العربية: "فَهْم" للدلالة على المصدر، و"فَهِم" للدلالة على الفعل الماضي، و"افْهَمْ" للدلالة على فعل الأمر، و"مَفْهُوم" للدلالة على ما وقع عليه الفَهم.

وسميت بالتحليلية؛ لأنه يُعبر فيها عن العلاقات النحوية بأدوات مستقلة. مثال ذلك في اللغة العربية: أعطيتكه، وأعطيتك إياه، ونقول: حَضَرَ محمدٌ وعليٌّ، وحضر محمد فَعَلِيٌّ، وحضر محمد ثم علي، وسافر محمدٌ من المملكة إلى القاهرة مع أسرته في الطائرة، فاتخذت اللغةُ هنا حيالَ الجملة تحليلَ أجزائها، وربط بعضها ببعض بأدوات مستقلة. الأدوات المستقلة عندما نقول مثلًا: سافر محمد وعلي: بالواو. وحضر محمد فعلي: الفاء، وحضر محمد ثم علي، ربطنا الجملة الأولى بالجملة الثانية بـ"ثم"، وسافر محمد ثم علي، أي: ثم سافر علي، وسافر محمد مِن المملكة...، "مِن" أتينا بـ"مِن" أداة ربط. فـ"مِن" حرفُ جرٍّ، وسافر محمد من المملكة إلى... "مِن" معناها الابتداءُ، و"إلى" لانتهاء الغاية.

ومن أوضح أمثلة اللغات التحليلية في اللغات الهندية الأوربية، هي اللغة الإنجليزية.

القسم الثاني: اللغات اللصقية، أو اللغات الوصلية:

يمتاز هذا القسم بأن تغير معنى الأصل وعلاقته بما عداه من أجزاء الجملة عن طريق حروفٍ تُلصق بالأصلِ قبل الأصل، وتسمى "سابقة" أو بعد الأصل وتسمى "لاحقة". يمثل هذا القسم اللغة التركية، واللغة اليابانية.

سُميت هذه اللغات باللصقية أو الوصلية؛ للطريقة التي تتبعها من حيث لصق حروفٍ بالأصل لتوضيح المعنى المراد، أو لبيان علاقته بغيره من أجزاء الجملة.

وفي اللغة العربية لصقٌ أيضًا قبلَ أو بعدَ.

القسم الثالث: اللغات الثابتة الجذور:

وهي التي تتكون من أصولٍ لا تتغير صورها، ولا تدخلها لواحق، ولا سوابق، ولا تقبل الاشتقاق، ولا التصريف. هذا القسم قسم اللغات الثابتة الجذور.

تُحدد وظيفة الكلمة حسب وضعها في الجملة، كما قلت قبل ذلك بأننا: لا نعرف الفاعل من المفعول في: "ضرب موسى عيسى"، أو "ضربت هدى ليلى" إلا أن الفاعل يكون مقدمًا، والمفعول يكون بعد الفاعل. إذن تُسمى الجذور الثابتة، أو اللغات الثابتة الجذور.

قلنا: بأن اللغة العربية أيضًا فيها هذا النوع، ولكن غلبة النوع التحليلي على التصريف التحليلي على اللغة العربية تدخل ضمن النوع التصريفي التحليلي.

وهذا القسم من اللغات التي تُسمى اللغات الثابتة الجذور يعني: الجذور ثابتة، جذر الكلمة ثابت، جذر الكلمة هو أصل الكلمة ثابت، ولا يتغير، وإنما تحدد الكلمة موضعها من الجملة؛ سُمِّيت هذه اللغات بالعازلة، اللغة العازلة هي ثابتة

الجذور ؛ لأنها تعزل أجزاء الجملة بعضها عن بعض ، ولا تُصرح بما يربطها من علاقات.

سُمِّيت بغير المتصرفة ؛ لأن كلماتها لا تتصرف ، ولا يتغير معناها ، وأوضح مثل لذلك اللغة الصينية ، الكلمة لها معنى ، توضع في الجملة ، ولكن يتغير معناها بحسب موقع الكلمة في الجملة.

ويرى القائلون بهذه النظرية أن اللغة تطورت من اللغة غير المتصرفة -العازلة- إلى اللغات اللصقية ، ثم إلى اللغات المتصرفة التحليلية.

يعني : كان بداية الأصل مثلًا اللغة الصينية ؛ اللغة الصينية هي بداية الوضع الأول الكلمة لها معنى لا يتحدد عنها إلا بوضعها في الجملة ، موقعها في الجملة هو الذي يحدد معناها ، ثم بعد ذلك تطورت إلى لغة لصقية مثل اللغة التركية ، ثم تطورت إلى التحليلية مثل اللغة العربية ؛ إذن اللغة العربية من أرقى اللغات ؛ لأنها لغة تصريفية تحليلية ، يليها في الدرجة التي بعد اللغة العربية في النزول الترتيب التنازلي اللغة التركية ، يلي التركية ترتيب تنازلي الصينية ، وإذا ذهبنا في التطور ؛ الأصل طبعًا اللغة الصينية ، وبعدها اللغة التركية أخذنا في التطور أكثر اللغة العربية.

إذن اللغة العربية من أرقى اللغات ؛ لأنها من اللغات التصريفية التحليلية.

الفصائل اللغوية مع الاعتناء بالفصيلة السامية

عناصر الدرس

فصيلة اللغات الهندية الأوربية

تمهيد:

العائلات اللغوية: هي الفصائل اللغوية، عائلات لغوية أو السلالات اللغوية.

اصطلح علماء اللغة على أن يسموا اللغات التي يثبت تشابهها أو انحدارها من أصل لغوي واحد: فصيلة لغوية، أو عائلة لغوية، أو أسرة لغوية، أو سلالة لغوية، ولكن المشهور هو الفصيلة اللغوية.

العائلات اللغوية، أو الفصائل اللغوية، أو الأسر اللغوية، أو السلالات اللغوية كلها بمعنى واحد؛ فاصطلح علماء اللغة على أن يسموا اللغات التي يثبت تشابهها، وانحدارها من أصل لغوي واحد هو سلالة لغوية، أو عائلة لغوية، أو فصيلة لغوية.

ولم يتفق العلماء على عدد الفصائل اللغوية، أو العائلات اللغوية، وعلاقة بعضها ببعض، ولهم في ذلك آراء مختلفة أشهرها، وأقربها إلى الصواب رأي العلامة الألماني "ماكس مولر" الذي أرجع لغات البشر إلى ثلاث مجموعات أو فصائل أساسية كبرى:

الفصيلة الأولى: فصيلة اللغات الهندية الأوربية.

الفصيلة الثانية: فصيلة اللغات السامية الحامية.

الفصيلة الثالثة: فصيلة اللغات الطورانية.

فصيلة اللغات الهندية الأوربية :

وهي عائلة لغوية رئيسة تشمل معظم اللغات المستعملة في أوربا ، وإيران ، والهند.

تنقسم هذه العائلة إلى ثماني مجموعات ؛ هي : المجموعة الهندية الآرية نسبة إلى "آريا" : شرف ، يقولون : المجموعة الهندية الآرية يعني : مرتفعة القدر والشرف.

المجموعة الهندية الآرية ، وتشمل :

١ - اللغات الهندية القديمة والحديثة.

٢ - أيضًا تشمل اللغات الفارسية القديمة ، والمتوسطة ، والحديثة.

٣ - وتشمل أيضًا : اللغة الكردية ، واللغة الأفغانية ، واللغة الأُستية : وهي لغة سكان القوقاز الأوسط.

هذه هي المجموعة :

(أ) من الفصيلة الهندية الأوربية.

(ب) اللهجات الأرمينية.

(ج) المجموعة اليونانية ، وتشمل :

١. اللهجة الأيونية ، وهي لهجة يونانية أدبية قديمة كانت مستخدمة في منطقة أيونيا شرقي اليونان.

٢. اللهجة الأتيكية ، وهي لهجة يونانية بائدة شاعت في أثينا.

٣. اللهجة الدورية ، وهي لهجة يونانية قديمة كانت شائعة في كريت ، ورودس ، وصقلية.

٤. اللغة اليونانية الحديثة، وهي لغة متطورة عن اليونانية القديمة، والتي كانت مستخدمة في البلقان، ولم يبقَ منها حاليًا سوى اليونانية الحديثة.

(د) من المجموعة الهندية الأوربية الألبانية، وهي من العائلة الهندية الأوربية الحديثة، وهي مستعملة في ألبانيا.

(هـ) الرومانية أو الإيطالية، وتشمل اللغة اللاتينية وما تفرع منها وهي: الإيطالية الحديثة، والفرنسية، والأسبانية، والبرتغالية.

(و) مجموعة اللغات الكلتية وتشمل: اللغات الأيرلندية، وأيضًا الويلزية، ولغة البريتون، وقد طغت على هذه المجموعة: اللغات الفرنسية، والإنجليزية، والأسبانية.

(ز) المجموعة: الجرمانية، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: القسم الشرقي، وهي اللغة القوطية.

القسم الثاني: القسم الغربي، ويضم: اللغات الأنجلو سكسونية، والأنجلو سكسونية هي اللغة الإنجليزية القديمة، وهي لغة بائدة استُعملت في انجلترا بين سنة ٤٥٠، وسنة ١١٠٠ ميلادية، ومنها انحدرت الإنجليزية الوسطى، ثم الإنجليزية الحديثة. والهولندية، والألمانية.

القسم الثالث: الشمالي، ويضم اللغات: الإيسلندية، والنرويجية، والسويدية، والدنماركية.

(ح) المجموعة السلافية، وتشمل: لغة السلاف الأقدمين، اللغة الروسية، اللغة التشيكية، اللغة البلغارية، اللغة اليوغسلافية، اللغة البولندية.

هذه هي مجموعات اللغات الهندية الأوربية، ونذكرها إجمالًا، وعندما نأتي إلى فصيلة اللغات السامية الحامية فنذكرها تفصيلًا.

فصيلة اللغات الطورانية

الفصيلة الطورانية: وهي نسبة إلى طوران -وهي بلاد التركستان- تسمى هذه العائلة أيضًا "العائلة الأورانية" وتشمل: الفنلندية، والمجرية، والتركية، والمغولية: وهي مستعملة في منغوليا وشمال أفغانستان.

فصيلة اللغات السامية الحامية

الموطن الأصلي للساميين:

اختلف العلماء في الموطن الأصلي للساميين، واختلفت آراؤهم إلى ما يلي:

الرأي الأول: يرى بعض العلماء أن المهد الأول للساميين هو شمال إفريقيا "مصر، وما حولها"، أو بلاد الحبشة، ثم هاجروا إلى آسيا عن طريق برزخ السويس، أو "بوغاز" باب المندب، هذا الرأي له دليله.

أولًا: هذا الرأي يقول: للتشابه الجسماني بين الساميين والحاميين في شعر الرأس، وفي كبر الفكين، وفي أخمص القدمين.

ورُدَّ هذا الرأي بأن التاريخ لم يخبرنا بهجرة للساميين في هذا الاتجاه؛ حيث ثبت أن الساميين هاجروا من آسيا إلى إفريقيا، وليس العكس، أما التشابه الجسماني فمرجعه إلى اتصال سكان جنوبي شبه الجزيرة العربية بالساميين من سكان الحبشة، ومخالطتهم لهم.

الرأي الثاني: ويرى نفر من العلماء أن المهد الأول للساميين إنما هو بلاد أرمينية بالقُرب من حدود كردستان حاليًا.

الرأي الثالث: يرى المستشرق الإيطالي "جويدي" أن المهد الأول للساميين كان جنوب العراق؛ حيث تتبع بعضًا من الكلمات المتداولة في جميع اللغات السامية عن جميع مجالات العمران، والحيوان، والنبات، وادعى أن أول من استخدم هذه الكلمات هم جماعات جنوب العراق.

تصدى لهذا الرأي ولصاحب هذا الرأي المستشرق الألماني "نولدكه"، وأهدر دليل "جويدي"، عندما قدّم هو الآخر طائفة من الكلمات عن الحيوان، والعمران جديرة بالقدم مثل كلمات: رجل، وخيمة، وشيخ، وجبل، وولد؛ هذه الكلمات سامية، كما أن اتخاذ بضعة كلمات لإثبات قضية كهذه لا ينهض دليلًا يعتد به لإثباتها.

الرأي الرابع: وهو رأي طائفة من العلماء يرى أن جزيرة العرب كانت هي المهد الأول للساميين، وهذا هو الرأي الذي نرتضيه.

ذهبت طائفة من العلماء -مؤرخين، ومستشرقين- إلى أن جزيرة العرب كانت المهد الأول للساميين، ومن هؤلاء "سايز" المؤرخ الإنجليزي، و"رايت" المستشرق الإنجليزي، و"شريدر"، و"شرنجر" الألمانيان، و"دجويه" الهولندي، وهذا الرأي هو الذي يؤيده التاريخ؛ إذ يذكر التاريخ أن نزوح الساميين كان من شبه الجزيرة العربية إلى ما جاورها من البلدان طلبًا للرزق، وكان ذلك النزوح يحدث كل ألف سنة تقريبًا، فكانت هجرة الساميين من قلب شبه الجزيرة إلى بابل في القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد، القرن السادس يعني: أول جزيرة كانت إلى العراق أول هجرة كانت من شبه الجزيرة العربية إلى ما جاورها من البلدان كانت

لطلب الرزق ؛ لأن شبه الجزيرة العربية كان صحراء ، الهجرة كانت أو النزوح كان من شبه الجزيرة إلى ما جاورها من البلدان ، وكان ذلك النزوح يحدث كل ألف سنة تقريبًا ، فكان أول هجرة من شبه الجزيرة العربية أو من قلب شبه الجزيرة العربية إلى بابل في شمال العراق في القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد ، ثم كانت هجرة الكنعانيين في القرن السادس والعشرين قبل الميلاد ، ثم كانت الهجرة الثالثة إلى بابل في القرن السادس عشر قبل الميلاد ، ثم كانت هجرة بعض القبائل العربية من الحجاز إلى الشام في القرن السادس قبل الميلاد ، ثم كانت هجرة الساميين مع الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي.

كانت الهجرات تخرج من شبه الجزيرة العربية إلى ما جاورها من البلدان المجاورة ، وكانت طلبًا للعيش والرزق ؛ ولأن شبه الجزيرة العربية كانت صحراء لا زرع فيها ولا ماء ، فكان الكل يذهب من شبه الجزيرة العربية إلى ما جاورها من من البلدان ، وليس كالآن ، حيث البترول في شبه الجزيرة العربية فالكل يهاجر ، والكل يطلب النزوح إلى شبه الجزيرة العربية ، أما قديمًا فكان شبه الجزيرة العربية الناس يهاجرون منها إلى ما جاورها من البلدان طلبًا للرزق.

وكان ذلك النزوح يحدث كل ألف سنة تقريبًا ، فكانت هجرة الساميين من قلب شبه الجزيرة العربية إلى بابل في القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد ، ثم كانت هجرة الكنعانيين في القرن السادس ، والعشرين قبل الميلاد ، ثم كانت الهجرة الثالثة إلى بابل في القرن السادس عشر قبل الميلاد ، ثم كانت هجرة بعض القبائل العربية من الحجاز إلى الشام في القرن السادس قبل الميلاد ، ثم كانت هجرة الساميين مع الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي.

طائفة اللغات السامية:

الفصيلة السامية الحامية تنقسم إلى طائفتين؛ طائفة اللغات السامية، وطائفة اللغات الحامية، يوجد تشابه كبير بين الطائفتين، ولذلك أطلقوا على الطائفتين اسم الفصيلة السامية الحامية.

أولًا: اللغات السامية:

هي مجموعة من اللغات يرجع اسمها اصطلاحًا إلى "سام بن نوح # " يعتقد اللغويون أنها انحدرت من اللغة السامية الأم، وهي لغات بعضها اندثر، وبعضها لا يزال حيًّا.

حدود اللغات السامية: انتشرت هذه الطائفة من اللغات السامية قديمًا في المنطقة التي تحد من الجنوب الشرقي بالخليج العربي، ومن الشمال الشرقي ببلاد ما بين النهرين، ومن الجنوب الغربي بالهضبة الحبشية، ومن الشمال الغربي بالبحر الأبيض المتوسط، واعتاد العلماء أن يقسموها جغرافيًّا إلى شرقية، وغربية.

الطائفة الأولى: الشرقية، وتشمل:

الأكادية:

وهي لغة الشعوب السامية التي أقامت في منطقة ما بين النهرين حوالي الألف الرابع قبل الميلاد، وأخذت في الانقراض في القرن الرابع قبل الميلاد، وقد حلت هذه اللغة محل اللغة الشومارية، التي ليست سامية، وأقدم ما وصل منها مدونًا بالخط المقطعي، أو الإسفيني، أو الوتدي المسماري يرجع إلى حدود القرن الثلاثين قبل الميلاد.

اللغة الشومارية، أو السومارية تسمى سومارية، أو شومارية لأن نعرف أن هناك اضطراد التبادل الصوتي بين اللغات السامية في "الشين، والسين" فمثلًا عندما نقول عندنا: سلام، يقول العبريون: شلوم، ينطقون السين شينًا، تسمى اللغة الشومارية، أو اللغة السومرية، وهي التي كانت في العراق في بلاد ما بين النهرين.

هذه اللغة التي ليست سامية أقدم ما وصل منها مدونًا بالخط المقطعي، أو الإسفيني، أو الوتدي، أو المسماري هو الخط الذي كان يكتب به العراقيون، ونجد في المكتبات كتابًا يقول: هؤلاء الذين كتبوا على الطين، وهم العراقيون؛ لأن الكتابة فن من الفنون الحضارية، وكانت الكتابة توجد حيث توجد الأنهار، فوجدت الكتابة في مصر؛ لأن في مصر نهر النيل، ووجدت الكتابة في العراق لأن العراق به دجلة، والفرات. وجدت أدوات الكتابة في العراق، ووجدت أدوات الكتابة في مصر، ولذلك كان عندنا في مصر كتابة، الخط الهيروغليفي، وأيضًا في العراق كانت هناك كتابة، هناك القلم المسماري، أو الخط المسماري طبعًا يُسمى الخط المقطعي، أو الخط الإسفيني، أو الوتدي، أو المسماري كل اسم فيها صحيح؛ لأن العراقيين بنص الكتاب الذي قال: هؤلاء الذين كتبوا على الطين كانوا يكتبون على الطين، وجدت أدوات الكتابة عندهم فالطين موجود عندهم في "دجلة، والفرات" يأخذون قطعة من الطين، ويرسمون عليها بما يشبه المسامير، يرسمون عليها بقطع المسامير، بقطع محددة، وهكذا يرسمون عليها، مثلًا: كانت الأول الكتابة بالرسم؛ فإذا أرادوا شيئًا رسموه على الطين، ثم بعد ذلك يأخذون الطين، ويضعونه في الشمس، أو على النار فيجف هذا الطين، ثم ترسل الرسالة إلى البلد المراد إرسالها إليها، وكانوا يفهمون الأغراض، برسم صور على الطين؛ فمن يريد جملًا يرسم جملًا، ومن يريد حمارًا يرسم حمارًا بالمسامير، ومن يريد أي شيء يرسمه على الطين، ويجفف هذا الطين عن طريق الشمس، أو عن طريق النار، ثم ترسم الرسالة، سمي

الخط هذا القلم سمي بالخط المقطعي لأنه يضع هذا الذي يرسم به على الطين على هيئة مقاطع معينة ويسمى الخط الإسفيني ؛ لأنه يضع ما يُرسم به شبيه بالإسفين، أو مثلًا الوتدي شبيه بالوتد، ويرسم به، أو المسماري شبيه بالمسمار، ويرسم به على الطين يضع هذا المسمار على الطين، أو الوتد يضعه على الطين فيعلّم به على الطين، وكانت الكتابة هكذا، وسمي الخط المسماري ؛ لأن الذين يكتبون به، أو الذي يكتب به يشبه المسمار، أو الخط الإسفيني يشبه الإسفين، أو المقطعي.

وهكذا أخذت هذه اللغة اللغة الأولى -وهي اللغة الأكدية- كما قلت لغة الشعوب السامية التي قامت في منطقة ما بين النهرين حوالي الألف الرابع قبل الميلاد، أخذت هذه اللغة في الانقراض في القرن الرابع قبل الميلاد.

هذه اللغة -اللغة الأكدية- هي القسم الشرقي من اللغات السامية أخذت في الانقراض في القرن الرابع قبل الميلاد، أقدم ما وصل منها مدونًا بالخط المقطعي أو الإسفيني أو الوتدي المسماري يرجع إلى حدود القرن الثلاثين قبل الميلاد، وآخر ما وصل منها مدونًا في القرن الرابع قبل الميلاد.

الأكادية: موطنها، وتاريخها:

تنقسم اللغة الأكدية إلى لهجتين:

اللهجة الأولى: البابلية، نسبة إلى بابل، وهي لهجة الجنوب.

اللهجة الثانية: الآشورية، نسبة إلى آشور وهي لهجة الشمال.

الطائفة الثانية: الغربية، وهي شمالية وجنوبية. الشمالية، وتشمل:

الأجريتية:

وهي لغة النقوش التي عُثِر عليها ابتداءً من سنة ١٩٢٩ في رأس شمرا -ميناء البيضاء- قريبًا من اللاذقية إلى جهة الشمال، وهي مكتوبة بأبجدية مسمارية، وأقدم ما وصل إلينا منها يرجع إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهي تُنسب إلى مدينة أجريت وهو الاسم القديم لرأس شمرا.

اللغـات الكنعانيـة ومـا تـضم

اللغات الكنعانية، ويندرج تحتها :

أ. الكنعانية القديمة: اسم كنعانية منسوب إلى "كنعان" أحد أبناء "حام"، وهي تطلق على لغة النصوص التي وردت ضمن ما عثر عليه من نصوص آشورية في تل العمارنة في صعيد مصر -الآن توجد في محافظة المنيا- تل العمارنة عاصمة مصر في عهد "إخناتون" حوالي سنة ١٤٠٠ قبل الميلاد، مكتوب بالخط المسماري، ونحن نلاحظ أن اسم كنعان منسوب إلى كنعان أحد أبناء حام، والكنعانية تنسب إلى السامية، فاصطلاح مجموعة السامية نأخذ هذه المصطلحات بالتقريب؛ لأن دخل في المجموعة السامية بعض الحاميين.

ب. الموآبية: تنسب إلى "موآب" شرق الأردن، وهي لغة نقش "ميشع" ملك "موآب"، ويرجع إلى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد.

ج. الفينيقية والبونية: وردت الفينيقية في عدة نقوش نسبت إلى الفينيقيين، وقد سادت في المدن الساحلية لبلاد الشام؛ مثل: جبيل وصور وصيدا، وكتبت بأبجدية عدد حروفها اثنان وعشرون حرفًا، وهذه الأبجدية لأن الفينيقيين هم الذين اخترعوا الأبجدية والأبجدية الفينيقية: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت... إلى آخره، وهؤلاء هم الذين اخترعوا الأبجدية يرجع الفضل إليهم لأنهم هم الذين سبقوا العالم في اختراع الأبجدية، ومن الأبجدية الفينيقية انتقلت الأبجديات إلى العالم شرقه وغربه.

وهذه الأبجدية الفينيقية نستعملها إلى الآن في كتابة الرسائل ؛ في المقدمة نقول: صفحة في المقدمة، يعني: المقدمة والصفحات التمهيدية تكتب بالأبجدية الفينيقية، تُرقَّم بالأبجدية الفينيقية، نقول: صفحة (أ) صفحة (ب) صفحة (ج) صفحة (د) صفحة (هـ) صفحة (و) صفحة (ز) صفحة (ح) صفحة (ط) صفحة (ي) وهكذا، وردت الفينيقية في عدة نقوش نسبت إلى الفينيقيين، والفينيقيون هم الذين اخترعوا الأبجدية الفينيقية ؛ لأن الفينيقيين كانوا مشهورين بركوب البحار، فأدوات الكتابة موجودة عندهم، فاخترعوا هذه الأبجدية الفينيقية، قد سادت في المدن الساحلية لبلاد الشام مثل جبيل وصور وصيدا، وكُتبت بأبجدية عدد حروفها اثنان وعشرون حرفًا كاللغة العبرية أيضًا حروفها اثنان وعشرون حرفًا، ويرجع تاريخ أقدم نقوشها الموجودة على تابوت "حيدان" إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وتفرع عنها اللهجة البونية وهي اللغة التي كانت سائدة في قرطاجنة في شمال إفريقيا في القرن السادس قبل الميلاد إلى حدود القرن الرابع الميلادي.

ويذهب بعض اللغويين إلى أن هذه اللهجة استمرت حتى الفتح الإسلامي، ولفظ "بونية" هو النطق اللاتيني لفينيقية.

د. العبرية: العبرية لغة بني إسرائيل التي كُتب بها معظم أسفار العهد القديم، ويرجح أن أقدم نصوصها الأدبية يرجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد، ممثلة في "نشيد دبورا" في "سفر القضاة" في الإصحاح الخامس.

الآراميـــــــــة وقـــــــــسماها

الآرامية:

الآرامية هذه لغة عاشت منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد تقريبًا، والآرامية كانت لغة المسيحيين؛ ولذلك أي لغة عندما تكون لها سند ديني تبقى وتستمر، فالآرامية كانت مستندة إلى أنها لغة المسيحيين، ولذلك بقي منها إلى الآن في قرية "علولة" قرب دمشق بقايا في هذه القرية، أيضًا اللغة العربية وهي لغة القرآن الكريم ولغة الحديث النبوي الشريف، لماذا قضت على معظم اللغات الأخرى؟ لأنها تستند إلى الدين الإسلامي، والدين الإسلامي هو الذي حفظ اللغة العربية.

وتنقسم إلى قسمين: آرامية غربية، وآرامية شرقية، الآرامية الغربية: هي التي انتشرت في غرب الفرات إلى الحدود الفينيقية على سواحل الشام، هذه هي الآرامية الغربية، وتشمل:

أ. الآرامية القديمة: وهذه الآرامية القديمة كُتبت بها بعض نقوش في جهات متعددة في سوريا، ويرجع تاريخها إلى القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد.

ب. الآرامية المصرية: وجدت في جهات مختلفة في مصر بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد

ج. آرامية العهد القديم: التي نجد نماذج منها في سفري "عزرا" و"دانيال" كتبت في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد.

د. الآرامية الفلسطينية: كانت هذه الآرامية لغة الكلام في فلسطين في عهد المسيح # وظلت كذلك حتى الفتح الإسلامي، وكُتب بها في منتصف القرن الثاني بعد الميلاد إلى القرن السادس، وأشهر ما كُتِب بها تفسيرات التلمود، التلمود هو مجموعة التعاليم والتقاليد اليهودية المنقولة شفهيًّا عن رجال الدين، التلمود الفلسطيني التي تسمى بالجمارا إذن: الجمارا عند اليهود: هي شرح للمشنا وتكملة له، والمشنا هو كتاب مؤلف بالعبرية في فقه اليهود، والترجوم -هو التركوم- كما كُتبت بها بعض كتابات المسيحيين الملكانيين.

هـ. النبطية: وكان يتكلم بهذه اللهجة الأنباط، والأنباط كانوا مزيجًا من العرب والآراميين؛ ولذلك اللغة النبطية خليط من الآرامية والعربية، وهو شعب سامي، كانت له دولة شمالي شبه الجزيرة العربية، وعاصمتهم "سلع" وتعرف اليوم "بالبترا" وهو اسمها اليوناني "بترا" أو الصخرة، والصخرة اسمها بالعبرية أما اسمها القديم باللغة العربية فهو "الرقيم" المشار إليه في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

تقع بلاد النبط جنوب الأردن؛ حيث تمتد جنوب البحر الميت إلى جنوب العقبة، وكانت هذه اللهجة مزيجًا من الآرامية والعربية.

متى ازدهرت هذه اللهجة؟

ازدهرت هذه اللهجة فيما بين القرنين الأول قبل الميلاد والأول بعد الميلاد، وأشهر ما وجد من نقوش في هذه اللهجة في أماكن متعددة من شمال غربي شبه الجزيرة العربية، وفي أودية طور سيناء، يعني: في أودية سيناء -طور سيناء-

كانت موجودة نقوش في هذه اللهجة في هذه الأماكن، موجودة في جنوب الأردن موجودة في طور سيناء.

و. التدمرية: انتشرت هذه اللهجة في منطقة "تدمر" الواقعة في صحراء الشام بين دمشق ونهر الفرات، وازدهرت هذه اللهجة فيما بين القرنين الأول قبل الميلاد والرابع بعد الميلاد.

من لهجات الآرامية:

١. الآرامية الغربية الحديثة: وهي صورة متطورة من الآرامية القديمة، ولا يزال يتكلم بها في بعض القرى القريبة من دمشق أشهرها قرية "معلولة" لماذا؟ لأن اللغة الآرامية كانت لغة المسيحيين، والمسيحيون يتمسكون بهذه اللغة، ولذلك ظل أهل قرية "معلولة" قرب دمشق يتكلمون بهذه اللهجة هي الآرامية الغربية الحديثة.

٢. الشرقية: ومنطقتها شرقي الفرات جنوبًا وشمالًا؛ حيث كانت المملكة البابلية والآشورية، وتنقسم إلى:

أ. الآرامية القديمة: أقدم نصوصها يرجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وازدهرت خلال القرن السابع قبل الميلاد، ووصلتنا منها آثار ترجع إلى القرن الثالث بعد الميلاد أيضًا، ومنها ما كُتِب بالخط المسماري، وما كُتِب بعد ذلك بالخط الآرامي، وهو الذي كتب به اللغة البهلوية، وهي لغة بائدة تنتمي إلى الفرع الإيراني من المجموعة الهندية الإيرانية ضمن العائلة الهندية الأوربية، ولقد سادت

غرب إيران ما بين ٢٠٠ إلى ٦٥٠ ميلادية وانحدرت مع الساسانية من الفارسية القديمة.

ب. السريانية : موطن اللهجة السريانية هو ما بين النهرين في الإقليم الذي كانت عاصمته "الرها" التي اشتهرت لدى اليونان باسم "أودسا" وتُعرف الآن باسم "أرفا" واشتهرت هذه اللغة بالسريانية بعد ظهور المسيح # وأقدم نصوصها يرجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد ، وظلت مزدهرة حتى القرن العاشر الميلادي ، ثم أخذت في الاضمحلال بعد ذلك.

ج. لغة التلمود البابلي : وهي لغة استخدمها يهود العراق في تدوين الكتب الدينية فيما بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد ، ومن أشهر ما كُتب بها الجمارا ، كمارا وهو جزء من التلمود البابلي.

د. المندعية : اشتق اسمها من الكلمة الآرامية : "مداعا" ، ومعناها المعرفة ، ويُعرف أهلها بالصابئين أو المندعيين ، وانتشرت في الجنوب الشرقي من منطقة النفوذ الآرامي ، وأقدم نصوصها بين القرنين السابع والتاسع بعد الميلاد ، ولا يزال للمندعيين بقية حتى اليوم في بعض جهات العراق ، ويعرفون باسم الصابئة.

هـ. الآرامية الشرقية الحديثة : وهي صورة متطورة من الآرامية القديمة في المنطقة الجبلية من النفوذ الآرامي ، وقد تأثرت باللغة الكردية ، ويُطلق عليها أحيانًا السريانية الحديثة أو السريانية الدارجة ، وأشهر أمكنتها طور عابدين ، ومنطقة بحيرة أرمية ، وقد هاجر قوم من أهلها في العصور الأخيرة إلى جهات أرمنيا وروسيا.

الســـــــامية الجنوبيـــــــة

السامية الجنوبية: ومنطقة انتشارها قديمًا شبه الجزيرة العربية والأصقاع الحبشية، وهي شمالية وجنوبية.

أولًا: في الشمال:

وهي لغات شمال جزيرة العرب، ومنها العربية، نشأت في شبه الجزيرة العربية، وانتشرت حيث انتشر الإسلام، وأقدم ما ورد من نقوشها نقش النمارة، يرجع هذا النقش إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة بعد الميلاد برغم أنها تعد بين الدارسين أقرب اللغات السامية إلى اللغة السامية الأم.

وقلنا قبل ذلك بأن: السبب في حداثة الذي ظهر من النقوش؛ لأن اللغة العربية وجدت في منطقة صحراوية، والمنطقة الصحراوية لا توجد عندهم كتابة، فهذه النقوش طبعًا مبنية على الكتابة؛ لأن الكتابة فن من الفنون الحضرية، وجدت الكتابة في العراق؛ لأن دجلة والفرات طبعًا كانا موجودان في العراق، ووجدت الكتابة في النيل، لوجود نهر النيل في مصر، الكتابة كانت توجد حيث توجد الأنهار، أما في شبه الجزيرة العربية، فكانت صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء، وهذا السبب في حداثة النقوش أو في عدم وجود قدم النقوش الموجودة للغة العربية؛ لأن شبه الجزيرة العربية كانت صحراء، والكتابة لم تكن موجودة حتى عندما جاء الإسلام، فالذين كانوا يكتبون أو يعرفون الكتابة كانوا يعدون على الأصابع مثلًا في مكة وما إلى ذلك.

فإذن العربية نشأت في شبه الجزيرة العربية، وانتشرت حيث انتشر الإسلام، أقدم ما ورد من نقوشها نقش النمارة، يرجع إلى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة بعد الميلاد، رغم أن بقية اللغات الأخرى السامية ترجع إلى قبل الميلاد إلى القرن العاشر؛ لأن شبه الجزيرة العربية كانت صحراء، لم تكن الكتابة موجودة في ذلك الوقت، فلم توجد النقوش في شبه الجزيرة العربية في مرحلة قديمة من الزمن.

اللغة العربية تنقسم إلى:

١. اللغة العربية كانت موجودة في الشمال، لغة النصوص، لغة مسموعة في الشمال، وهي لغات شمال شبه الجزيرة العربية، ومنها العربية.

٢. ولغة النقوش في الجنوب، وهي لغات وصلت إلينا بعض خصائصها عن طريق النقوش.

تعد بين الدارسين وبين المستشرقين أقرب اللغات السامية إلى اللغة السامية الأم؛ لأن اللغة العربية تحتفظ بالعناصر الأساسية للغة السامية الأم.

٣. لغات نقوش أقدم ما ورد من النقوش هو نقش النمارة لغة نقوش، وهي لغات لم يسمعها اللغويون، ولم يقعدوا قواعدها، ولكن تعرفوا عليها من خلال النقوش، وهي لغات وصلت إلينا بعض خصائصها عن طريق النقوش.

هذه النقوش - نقوش العربية- منها:

أ. الصفوية: سميت بذلك لوجودها في منطقة "الصفاة" في "الحرة" جنوب شرقي دمشق في "حوران" وفي جهات أخرى ويرجع ما عثر عليه من نقوشها إلى ما بين القرنين الثاني قبل الميلاد والثالث بعد الميلاد.

ب. الثمودية -النقوش الثمودية- : وتنسب إلى قوم عرفوا في التاريخ بالثموديين، ومنطقتها في جهات متفرقة من شمال غرب شبه الجزيرة العربية، ويرجع ما عثر عليه من نقوشها إلى ما بين القرنين الخامس قبل الميلاد والرابع بعد الميلاد، الثمودية نسبة إلى قوم ثمود.

ج. اللحيانية: نسبة إلى قوم عرفوا في التاريخ باللحيانيين، وقد عثر على نقوش منها شمال الحجاز ويرجع ما عثر عليه منها إلى ما بين القرن الرابع قبل الميلاد والقرن الرابع بعد الميلاد.

ثانيًا: في الجنوب:

تشمل لغات جنوبي الجزيرة العربية ولهجاتها واللهجات الحبشية، ومنها:

أ. لغات نقوش جنوبي الجزيرة، وكانت تسمى لدى المستشرقين في أول الأمر بالحميرية، وقد وصلت إلينا عن طريق نقوش عُثر عليها في اليمن، وفي أماكن أخرى، وأقدم ما وصل إلينا من نقوشها -من الحميرية- يرجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد، وأحدثها إلى القرن السادس بعد الميلاد، وتشمل الحضرمية، وهي لغة من لغات جنوب الجزيرة العربية عُثر على نقوشها في حضرموت.

ب. القطبانية: وهي لغة من لغات جنوب جزيرة العرب عُثر عليها في قطبان شمالي منطقة عدن.

ج. المعينية: وهي لغة أهل مملكة معين التي كان لها شأن تجاري فيما بين القرن الثامن قبل الميلاد -على أرجح الآراء- والقرن الرابع قبل الميلاد ومنطقتها الجزء الشمالي الشرقي من اليمن.

د. السبئية : لغة النقوش التي حلت محل المعينية ثم سادت كل المنطقة اليمنية.

هـ. اللهجات الجنوبية الحديثة : وهي بقايا لغات النقوش القديمة التي كانت في جنوب بلاد العرب، وهي متأثرة باللغة العربية، ويتكلم بها الآن في مناطق مختلفة، ومنها :

- **المهرية :** ويتكلم بها الناس في منطقة مهرة.
- **الشحرية :** ويتكلم بها في منطقة جبلية صغيرة على ساحل المحيط الهندي متاخمة لمهرة من ناحية الشرق.
- **السوقطرية :** ويتكلم بها في جزيرة سوقطرى وفي جزر مجاورة لها.

اللغات السامية الحبشية

اللغات السامية الحبشية -وهي اللغات الأثيوبية- هي لغات سامية دخلت المناطق الأثيوبية عن طريق هجرات آتية من جنوب الجزيرة العربية منذ القرن العاشر قبل الميلاد تقريبًا، وتشمل "الجعز أو الكعز" الحبشية القديمة أو "الأثيوبية" وتسمى الأثيوبية وتنطق الآن "الجيز" لسقوط حرف العين منها. وهي أقدم ما وصل إلينا مدونًا من اللغات السامية في الحبشة.

أقدم ما وصلنا إلينا منها نقوش بغير حركات يعني: ليست مضبوطة بالحركات من القرن الثالث الميلادي، ولكنها تُكتب منذ القرن الخامس بالحركات، وهي في تراكيبها ومعاني كلماتها أقرب إلى اللغة العربية الفصحى، وأخذت تنقرض منذ القرن الثاني عشر الميلادي وبقيت لغة الكنيسة.

ومن اللهجات الحبشية: التجرية، تنطق بكاف -كالكاف الفارسية- التجرية، وتنسب إلى منطقة التجري، وانتشرت في المناطق المنخفضة من أريتريا في شرقها وغربها وشمالها، وكذلك في جذر دهلك في الشرق، في منطقة تمتد من مصوّع إلى كسَلا غربًا، ولعل اعتناق المتكلمين بها للإسلام كان من أهم العوامل التي ساعدتها على مقاومة الأمهرية المسيحية، وقد اشتقت هذه اللغة من لغة سامية حبشية انقرضت، يقال: إنها كانت أخت للغة الجعزية، وأخذ في تدوينها منذ أوائل القرن العشرين، القرن الماضي.

أيضًا من اللهجات الحبشية: التجرينية، وتنسب أيضًا إلى منطقة التجرى، ولكنها تختص بالناحية الجنوبية منها، وانتشرت في بعض جهات أريتريا وشمال أثيوبيا، وهذه التسمية التجرينية تسمية أمهرية تمييزًا لها عن التجرية وقد تأثرت بالأمهرية -ونحن نعرف أن الأمهرية مسيحية لقربها من منطقة انتشارها وهي أخت للتجرية- ودونت نصوصها منذ أوائل القرن العشرين.

الأمهرية: وهي منسوبة إلى منطقة أمهرة، ويرجح أنها اشتقت من أخت أخرى للجعزية، انقرضت هذه اللغة، وتأثرت الأمهرية بعناصر لغوية كوشية، ومنطقة انتشارها تمتد شمالًا إلى منطقة المتكلمين بالتجرينية، وجنوبًا إلى صحراء الدناكل، وأقدم ما وصل إلينا من نصوصها يرجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي، وأصبحت اللغة الرسمية في أثيوبيا منذ القرن الثالث عشر الميلادي.

الهرارية: وهي لغة أهل مدينة هرر، وهي متأثرة بلغات مختلفة منها الجالا والصومالية، كما تأثرت بالعربية؛ لأن أهلها مسلمون، وتكتب بالخط العربي، وأقدم ما وصل إلينا منها يرجع إلى القرن السادس عشر الميلادي.

الجوراجية: مجموعة من اللهجات منسوبة إلى جوراجيا، في غرب المنطقة الحبشية، ويتكلم بها نحو نصف مليون من البشر، ولم يعرفها الدارسون إلا منذ القرن التاسع عشر الميلادي.

اللغات الحامية

اللغات الحامية هي مجموعة من اللغات ضمن العائلة السامية الحامية، وتنقسم هذه اللغات إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: اللغات المصرية القديمة، وهي بائدة، واستعملت بين سنة ثلاث ألف ومائتين وألف وسبعمائة وأربعين قبل الميلادي.

المجموعة الثانية: اللغات الليبية البربرية، وهي لغات كانت مستعملة في شمال إفريقيا من واحة سيوة إلى المحيط الأطلسي ولم يبق منها سوى البربرية.

المجموعة الثالثة: اللغات الكوشية: وهي نسبة إلى كوش أحد أولاد حام، ومنها: الصومالية، والغالا والبيجا. والغالا مستعملة غرب أثيوبيا. والبيجا أو البتجيا وهي لغة مستخدمة في شمال أريتريا، واللغات الحامية منسوبة إلى حام بن نوح، وانتشرت في شمال أفريقية.

نأتي هنا إلى نهاية اللغات السامية والحامية وقد تناولنا من الفصائل اللغوية: الفصيلة الهندية الأوربية إجمالًا. والفصيلة السامية الحامية بالتفصيل ما عدا -طبعًا- اللغة العربية، وسنذكرها بالتفصيل فيما يأتي إن شاء الله.

خصائص اللغات السامية

نأتي بعد ذلك إلى خصائص اللغات السامية، اللغات السامية التي أخذنا منها اللغة العربية واللغة الآرامية واللغة الأكدية التي تسمى البابلية والآشورية والفينيقية والكنعانية... إلى آخره.

توجد خصائص مشتركة للغات السامية التي منها اللغة العربية؛ لأن اللغة العربية هي إحدى اللغات السامية، وهي أفصحها وأرفعها وأرقاها جميعًا، وهي لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ولغة الآثار الأدبية من شعر ونثر، وهي اللغة السائدة في اثنتين وعشرين دولة عربية، وهي إحدى اللغات الخمس الرسمية والمعتمدة في الأمم المتحدة وفي جميع المنظمات والمؤتمرات الدولية، ويتطلع إلى إتقانها الملايين من المسلمين بصفتها لغة الإسلام.

الخصائص المشتركة للغات السامية:

تتميز هذه اللغات عن أنواع اللغات الأخرى بمجموعة من المميزات والخصائص المشتركة، من أبرزها:

أولًا: أن أغلب الكلمات يرجع في اشتقاقها إلى أصلٍ ذي ثلاثة أحرف صامتة. ونحن نعرف أن الحروف في اللغة العربية تنقسم إلى قسمين حروف صامتة، وحروف صائتة يعني صوامت وصوائت. من خصيصة الصوامت أنه يقف حاجز أو عائق في جهاز التصويت، ثم يجتاز الصوت ذلك الحاجز أو العائق. أما الصائت فلا يقف عائق أمامه في جهاز التصويت لا عائق كلي ولا عائق جزئي عندما أقول: "أَ، أُ، إِ" إذن هنا لا عائق كلي ولا جزئي، ولذلك أصوات اللين

الأصـوات الـصائتة -صـائت يعـني: مـصوت- الأصـوات الواضـحة في الـسمع أصـوات اللـين في اللغـة العربيـة القـصيرة: الفتحـة والـضمة والكـسرة، الطويلـة: الألف والواو والياء. الألف مطلقًا؛ لأن الألف لا بـد أن يكـون قبلـها فتحـة، ولا بد أن تكون صوت لين. أما الضمة والياء متى تكونان من أصـوات اللـين ومتـى لا تكونان؟ تكونان من أصوات اللين إذا كانت الواو أو اليـاء سـاكنة، وقبلـها حركـة مجانسة يعـني واوًا سـاكنة وقبلـها ضـمة أو يـاء سـاكنة وقبلـها كـسرة: "يقـو" "يقـو" "يقول" الواو هنا ساكنة يقول الواو ساكنة، وقبلها ضم إذن الواو هنـا صـوت لـين طويل.

مثلًا يُقِيل أو يَقَيل الياء ساكنة وقبلها كسر إذن حركة مجانسة الكسر تناسـب اليـاء، إذن الياء هنا صوت لين، علة طويلة الواو ساكنة وقبلها حركة مجانـسة الـضم إذن الواو هنا صوت لين طويل أو صوت مد ألف أو واو أو يـاء الألـف مطلقًـا صـوت لين طويل لماذا؟ لأن الألف لا بد أن تكون ساكنة وقبلها حركة مجانسة الفتح، أمـا الواو والياء فتارة تكونان من أصوات اللين أصوات اللين الطويلة، وتـارة تكونـان من أصوات الشبيهة بأصوات اللين.

الياء والواو قـد تكونـان مـن الأصـوات الـشبيهة بأصـوات اللـين، وهنـاك شـرطان لتكونا من أصوات اللين الطويلة. الشرطان هما: أن يكون الـصوت صـوت الـواو أو اليـاء سـاكن وقبلـه حركـة مجانسة، إذا كانـت الـواو ليـست سـاكنة ليـست مـن أصوات اللين الطويلة عنـدما نقـول مثلًـا: وهـب ورث، الـواو محركـة بـالفتح، أو مثلًا: وزن يَزن، الياء محركة بالفتح ليست ساكنة ليست الواو ساكنة؛ إذن ليست من أصوات اللين الطويلة ولكنها شبه صوت لين.

أيضًا إذا كان قبل الواو أو الياء حركة غير مجانسة مثل: بيت، الياء ساكنة ولكن قبلها حركة الفتح الفاتحة ليست مجانسة للياء، الياء ليست صوت لين طويل؛ لأن الياء ساكنة ولكن ليس قبلها حركة مجانسة، ليست الكسرة قبلها، إنما نقول: "بَيْت" الياء ساكنة، فيه شرط موجود، ولكن الشرط الآخر مفتقد، وهو مجانسته لحركة ليست من أصوات اللين الطويلة.

"يوم" الياء مفتوحة إذن ليست الياء ساكنة، الواو هنا ساكنة، ولكن قبلها حركة غير مجانسة. متى تكون الواو من أصوات اللين الطويلة؟ تكون الواو من أصوات اللين الطويلة إذا كانت ساكنة وقبلها حركة مجانسة هي الضمة. متى تكون الياء من أصوات اللين الطويلة؟ إذا كانت الياء ساكنة وقبلها حركة مجانسة هي الكسر. الواو ساكنة، وقبلها حركة مجانسة هي الضمة.

إذا افتقد شرط من الشرطين إذن فلا تكون الواو أو الياء من أصوات اللين في هذه الحالة، ولكن من أشباه أصوات اللين. إذن تتميز اللغات السامية عن أنواع اللغات الأخرى بمميزات وخصائص مشتركة من أبرزها ما يلي:

أن أغلب الكلمات يرجع في اشتقاقها إلى أصل ذي ثلاثة أحرف يعني أصوات صامتة، وقلنا بأن صامتة يعني ليست صائتة؛ لأن الصائت هو الذي لا يقف عائق أمامه يثنيه عن طريقه، الصامت هو الذي يقف عائق أمامه يثنيه عن طريقه، أما الصائت فالذي لا يقف عائق في جهاز التصويت يثنيه عن طريقه، وقلنا بأن الصائت ينقسم إلى: صائت قصير وصائت طويل، يعني صوت لين قصير وصوت لين طويل، صوت اللين القصير هو: الفتحة، الضمة، الكسرة. صوت اللين الطويل: الألف، والواو، والياء. نقول: "أَا أُو إِي" لا يقف عائق في جهاز التصويت يثني هذا الصوت عند خروجه، أصوات اللين تخرج دون عائق

وتخرج واضحة ليس هناك عائق في أصوات اللين الطويلة أو القصيرة، هذه أصوات اللين.

الأصوات الصامتة هي التي يقف عائق في جهاز التصويت عند خروجها، ثم يزول هذا العائق عندما نقول مثلًا: "أبّ أب أب" العائق في الشفتين تلتقي الشفتان التقاء محكمًا، مثلًا الدال: إد إد يقف العائق حاجز، ثم ينفرج فجأة إج أو إد، يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا يلتقيان، ثم ينفرجان فجأة، هذا الالتقاء المحكم هو العائق، وهذا التقاء محكم مثلًا في: "أق، إد، إب" هذا التقاء محكم "إق إك" التقاء محكم.

التقاء غير محكم عندما نقول: "إز إز"، "إش إس" التقاء غير محكم؛ لأنه سمح بتسرب هواء الصوت هذا التقاء غير محكم. التقاء محكم عندما نقول: إج إد إق إد إب إت هذا التقاء محكم.

إذن أغلب الكلمات يرجع في اشتقاقها إلى أصل ذي ثلاثة أحرف صامتة يعني أصوات صامتة يعني ليست أصوات لين ليست أصوات صائتة، وأغلب الكلمات يرجع في اشتقاقه في اللغات السامية إلى أصل ذي ثلاثة أحرف صامتة، الأحرف الصامتة يعني ثلاثة أحرف مثلًا ضرب: ضاد والراء والباء. قعد: قاف والعين والدال. مثلًا: "عبد" العين والباء والدال، "ذهب": ذال والهاء والباء، "كتب": كاف والتاء والباء، "قعد جلس"، مثلًا "ذاكر ذكر".

ثانيًا: لا تكاد توجد في اللغات السامية كلمات مركبة من أكثر من أصل، وذلك بخلاف اللغات الأخرى مثلًا عندنا في اللغات الهندية الأوربية مثلًا اللغة الفارسية تجد أن الكلمات مركبة من أكثر من أصل، مثلًا: إبريق، الكلمة فارسية، آبريز مكونة من آب وريز مثلًا كهربا: "كه" و"ربا"، "زركشه"...

وهكذا إذن اللغات الهندية الأوربية فيها تركيب من أكثر من أصل أما عندنا في اللغات السامية لا تكاد توجد في اللغات السامية كلمات مركبة من أكثر من أصل، الحظ الأوفر من الكلمات كلمات غير مركبة في اللغات السامية؛ إذن اللغات السامية تمتاز بأن كلماتها لا تكاد توجد فيها كلمات مركبة من أكثر من أصل، وذلك بخلاف اللغات الهندية الأوربية.

ثالثًا: للأصوات الصامتة في اللغة السامية القدح المعلى والحظ الأوفر من الاهتمام إذا ما قورنت بأصوات اللين، عندنا مثلًا علماء اللغة العربية اهتم علماء اللغة العربية بالأصوات الصامتة الألف الباء التاء كذا... إلخ، الأصوات الصامتة مثلًا الهمزة فيها عائق في جهاز التصويت، مثلًا حروف المباني، اهتم بها علماء العربية وحروف المعاني أيضًا اهتم بها علماء العربية الباء، الفاء، ... إلخ، اهتم بها علماء العربية بخلاف أصوات اللين القصيرة و الطويلة.

رابعًا: اشتراك اللغات السامية في عدد كبير جدًّا من الألفاظ التي تتحد أو تتقارب معانيها ومبانيها والتشابه في الضمائر وصلة القرابة والأعداد، اشتراك في عدد كبير من الألفاظ، في اللغة العربية مثلًا سلام، نجد في اللغة العبرية شلوم، اللغات السامية تشترك في عدد كبير جدًّا من الألفاظ التي تتحد أو تتقارب معانيها ومبانيها وتشابه في الضمائر وصلة الأقارب الأب والأم والأخ... إلخ.

والأعداد تشابه في تكوين هذه الألفاظ اشتراك اللغات السامية في عدد كبير جدًّا من الألفاظ، مثلًا: اللغة العربية مع اللغة الفارسية بينهما ألفاظ كثيرة مشتركة؛ ولكن دلت دلائل تاريخية على أن هذه الألفاظ نقلت من الفارسية إلى العربية عن طريق الإعارة بأنها أتت إلى العربية وعربت، مثلًا كلمة كنز أصلها جنج عربت

إلى كنز، كلمات كثيرة من اللغة الفارسية عربت دخلت اللغة العربية وعربت، مثلًا ديبا عربت إلى ديباج، مثلًا نشسته عربت إلى نشا، كما عندنا أيضًا من الكلمات العربية دخلت اللغة الفارسية وفرست.

التبادل تأثير وتأثر بين اللغات عندما نتكلم عن اشترك اللغات السامية في عدد كبير جدًّا من الألفاظ التي تتحد أو تتقارب معانيها ومبانيها وتشابه في الضمائر وصلة القرابة الأب والأم والأخ وأخت... إلخ، والأعداد اثنان وثلاثة... إلخ، هذا الاشتراك بين اللغات السامية لم تدل دلائل تاريخية على أنه كان خاصًّا بلغة من اللغات، ثم نقل عن طريق الإعارة وإنما هو اشتراك في أصول سامية، يعني اشتراك اللغات السامية في الأصول، في الضمائر، في أسماء الإشارة، في الأسماء الموصولة، في عدد كبير جدًّا من الألفاظ، ولم تدل دلائل تاريخية على أن هذه الألفاظ كانت خاصة باللغة، ثم نقلت إلى لغة أخرى، إذن هذا خصيصة من خصائص اللغات السامية.

خامسًا: التأنيث في الأعم الأغلب يكون في اللغات السامية بإضافة تاء إلى المذكر. فالتأنيث في اللغة العربية مثلًا: يكون بإضافة تاء للمذكر مثل: "تلميذ تلميذة" "طالب طالبة" تضيف تاء إلى المذكر "كاتب كاتبة" في غير الأعم الأغلب نضيف مثلًا ألف تأنيث مقصورة سكران نقول: سكرى، نضيف ألف، يعني مثل: هدى، ألف تأنيث مقصورة، وقد تكون هناك كلمات يستوي فيها المذكر والمؤنث مثل: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

قريب لأن صيغة فعيل يستوي فيها المذكر والمؤنث، مثلًا: سكين وسكينة يستوي فيها المذكر والمؤنث.

خصائص اللغة العربية

نأتي بعد ذلك إلى اللغة العربية : وهي لغة التفكير والتعبير والثقافة والاستعمال اليومي لعدد كبير جدًّا من البشر ؛ وهي من اللغات الحية لأن اللغة الحية هي : لغة التفكير والتعبير ولغة الثقافة والاستعمال اليومي لعدد كبير جدًّا من البشر ، لغة يستعملها البشر في تعاملاتهم ؛ في التجارة والصناعة في كذا... إلخ.

تستعمل في المنظمات الدولية وقبلها عصبة الأمم. وهي إحدى اللغات الخمسة الرسمية والمعتمدة في حياة الأمم المتحدة وجميع المنظمات والمؤتمرات الدولية ، وهي لغة القرآن الكريم مأدبة الله في الأرض ، يطعم منها من يشاء بما يشاء ، وهي لغة التعليم والأدب والثقافة لملايين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها هذه اللغة العربية هي من إحدى اللغات السامية.

اللغة العربية تمتاز بمميزات منها :

الميزة الأولى : أنها لغة القرآن الكريم.

الميزة الثانية : أنها أكثر أخواتها الساميات احتفاظًا بالأصول السامية إزاء كل التغيرات ، فاللغة العربية محتفظة بالأصوات السامية ، احتفاظها أيضًا بالإعراب الكامل.

الميزة الثالثة : اتساع العربية في التعبير وتنوع أساليبها حيث يؤدى المعنى في هذه اللغة بأساليب متنوعة ، فهذا عن طريق الحقيقة ، وذاك عن طريق المجاز ، وذلك عن طريق الكناية.

من الممكن أن تقول مثلًا: "قابلت رجلًا شجاعًا"، "قابلت رجلًا بالحقيقة"، "قابلت رجلًا شجاعًا" من الممكن أن نقول عن طريق المجاز: "قابلت أسدًا في الفصل"، "قابلت أسدًا في المدرج" استحالة عادية أن الأسد لا يأتي في المدرج، أو أن الأسد لا يأتي في الفصل، عندما تقول: قابلت أسدًا في الفصل. أنت تقصد رجلًا شجاعًا بطريق المجاز، وأيضًا تقول: قابلت رجلًا شجاعًا عن طريق الحقيقة، فطريق الحقيقة وطريق المجاز، ممكن تقول أيضًا: قابلت رجلًا كريمًا، وممكن تقول: قابلت رجلًا كثير الرماد. فكثرة الرماد أيضًا يلزم منها كثرة الكرم عن طريق الكناية، أو "قابلت رجلًا جبان الكلب". يعني من كثرة الضيوف التي تذهب إليه، تقول مثلًا: "قابلت رجلًا كريمًا، أو قابلت رجلًا ذو حسب وذو مكانة... إلخ". قابلت رجلًا ماجدًا أو رجلًا ذو حسب ممكن تقول: قابلت رجلًا المجد يمشي بين برديه. فطريق الكناية وطريق الحقيقة تقول مثلًا: قابلت رجلًا جبانًا، ويمكن أن تقول: قابلت رجلًا يأكل العيش بالجبن يعني جبان يأكل العيش بالجبن فيها تورية؛ لأن الجبن له معنيان الجبن العادي المأخوذ من اللبن والجبن الخوف.

كما قلت في الكناية - عندما يعبر عن إنسان شجاع - يقول: "قابلت أسدًا يمشي في الشارع"، "قابلت أسدًا في الفصل" قرينة مانعة، أو "قابلت رجلًا يمشي في الحديقة الصغيرة، ليست حديقة حيوانات"؛ إذن فيه قرينة عادية هذه القرينة المانعة استحالة عادية مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

إذن: اللغة العربية تمتاز باتساع التعبير. وتنوع أساليبها حيث يؤدى المعنى الواحد بأساليب متنوعة؛ فهذا عن طريق الحقيقة وذاك عن طريق المجاز وذلك عن طريق الكناية.

الميزة الرابعة: أنها تحظى بالقياس والقياس كثير في اللغة العربية: قياس معنوي، وقياس شكلي، تمتاز اللغة العربية بالتجدد والحياة بما تحظى به من قياس واشتقاق ونحت، نقيس شيئًا على شيء، نقيس استعمال على استعمال آخر؛ لأننا لما نسمع كل مثال تكلم به العرب نحن نقيس ما لم يرد فيه نص، على ما ورد فيه نص.

فنحن لم نسمع كل فاعل سمعنا مثلًا: قام زيد، يمكن أن نقول: قام بكر، قام علي، وكثير من الأسماء الحديثة التي استحدثت لم نسمعها، ولكننا نقيس، فنأتي بـ"بكر" بدل "زيد" وكذلك نأتي بـ"خالد" ، و"إيهاب" و"شعبان"... إلخ.

إذن لم نسمع كل مثال عن العرب وسيبويه يقول: "ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب". إذن هذه ميزة من مميزات اللغة العربية أنها تحظى بالقياس والقياس كثير في اللغة العربية: قياس معنوي وقياس شكلي، ففي القياس الشكلي نقيس مثلًا بعض الألفاظ من حيث الشكل مثلًا عندنا قياس الحجازيون والتميميون؛ الحجازيون قاسوا "ما" على "ليس" قياسًا معنويًّا فأعملوا "ما" عمل "ليس"؛ لأن "ما" نافية و"ليس" نافية فكما أن "ليس" ترفع الاسم وتنصب الخبر، كذلك "ما" نافية ترفع الاسم وتنصب الخبر فالحجازيون قالوا: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١] التميميون قالوا في غير القرآن: "ما محمد قائم". أهملوا "ما".

فالتميميون قاسوا "ما" على "هل" قياسًا شكليًّا فـ"ما" مكونة من حرفين: حرف متحرك الميم مفتوحة والألف ساكنة؛ إذن "ما" تشبه "هل" فـ"هل" أيضًا أداة استفهام مكونة من حرفين الهاء مفتوحة ومتحركة واللام ساكنة؛ إذن التميميون قاسوا "ما" –أي: حرف متحرك فساكن- على "هل" حرف متحرك فساكن،

قياسا شكليًّا من حيث الشكل واحد. إذن القياس الشكلي يعني: قياس شكل الحروف بشكل الحروف؛ يعني: حركات فوق سكنات..

والحجازيون قاسوا "ما" على "ليس" قياسًا معنويًّا يقيسون معنى على معنى: "ما" فـ"ما" نافية وكذلك "ليس" نافية فكما أن "ليس" ترفع الاسم وتنصب الخبر كذلك "ما" ترفع الاسم وتنصب الخبر.

أيضًا قياس خبّاز فعّال لمحترف المهنة من أي مهنة، فعّال صيغة فعال، ولكن لم نسمع مثلًا بعض الحرف مثلًا سباك نقيس سباك على خباز، سمعنا خباز وطحّان وعجّان، وما إلى ذلك أما لم نسمع سباك مثلًا خرّاط يخرط المعادن والحديد وما إلى ذلك. إذن قياس ما لم نسمعه على -أي: ما لم يَرد فيه نص- على ما ورد فيه نص، فهنا لما نسمع بعض الألفاظ، وبعض الصيغ لنقيس على الذي سمعناه.

إذن القياس أيضًا من مميزات اللغة العربية وفيه: تكثير للمفردات، زيادة الثورة اللفظة للغة العربية، فيه الاشتقاق أيضًا الاشتقاق نشتق أسماء الحرف، نشتق كثير من الألفاظ أيضًا من تكثير المفردات في اللغة العربية فعل وفاعل ومفعول وكذا... إلخ، هذه من مميزات اللغة العربية.

الميزة الخامسة: توجد فيها بعض العوامل تساعد على نمو اللغة منها: النحت، والاشتقاق، والتعريب.

وأبرزها ظاهرة النحت: وهي ظاهرة من ظواهر اللغة العربية، وهي من مميزات اللغة العربية، النحت في اللغة النشر والقشر والبري، تقول: نحته ينحته أي: براء، قال تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النور: ١٤٩] العرب تنحت في معناه اللغوي النحت اللغوي نحت كلمتين أو أكثر من كلمة واحدة.

النحت اللغوي نحت كلمة من كلمتين أو أكثر يسمى حديثًا: "الاختزال" وفائدته في اللغة العربية؛ الاختصار وأيضًا توليد كلمات جديدة تختصر وتوليد كلمات جديدة، الكلمة الواحدة تدل على ما كانت تدل عليها الكلمتان أو الجملة اختصرنا الكلمات والاختصار في اللغة والإيجاز بلاغة، فالنحت من مميزات اللغة العربية، يوجد نحت فعلي وهو: أن تنحت من الجملة فعلًا يدل على مضمونها أو على معناها مثل: بسمل، حسبل. "بسمل": قال: بسم الله الرحمن الرحيم، "حسبل" قال: حسبي الله ونعم الوكيل. "حوقل" قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. "حيعل" قال: حي على الصلاة، حي على الفلاح إذن أنت قلت كلمة أو قلت فعلًا واختصرت جملة.

أيضًا نحت وصفي، وهو أن تنحت من كلمتين كلمة واحدة تدل على صفة بمعناهما، أو بأشد منهما مثل: "ضبطر" للرجل الشديد، منحوت من "ضبط وضبر" ضبط يعني: حفظه بالحزم، وضبر يعني: فيها معنى الشدة.

أيضًا النحت الاسمي أن تنحت من كلمتين اسمًا مثل جلمود من جمد وجلد. النحت النسبي، وهو أن تنسب شيئًا أو شخصًا إلى عبد الدار أو عبد شمس أو امرؤ القيس أو دار العلوم فتقول: عبدري وعبشمي ومرقسي ودرعمي. ماذا يحدث في النحت؟ نأخذ من الأول حرفين ومن الثاني حرفين "عبد الدار" عبد أخذنا عبد ومن دار أخذنا "در" الدال والراء ونسبنا وأتينا بياء النسب عبدري، دار العلوم درعمي يؤخذ من الأول حرفان ومن الثاني حرفان، عبد شمس عبشمي، امرؤ القيس مرقسي، أفاد النحت هنا الاختصار وتوليد كلمات جديدة بدلًا من أن نقول: "منسوب إلى دار العلوم" نقول: "درعمي"، فهمنا أنه منسوب إلى دار العلوم مثل: عبد الدار منسوب إلى عبد الدار يقول فيها: عبدري،

منسوب إلى عبد شمس نقول فيها: عبشمي نفهم أنه منسوب إلى عبد شمس، وهكذا.

أيضًا من أنواع النحت، النحت التخفيفي التي تمتاز به اللغة العربية، ويتحقق ذلك النحت في كل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة مصدرة ببني مثل: بني العنبر يقولون فيها: "بل عنبر"، وبني الحارث يقولون فيها: "بل حارث"، وبني الهجيم يقولون فيها: "بل هجيم"، وبني الحصين يقولون فيها: "بل حصين"، وبني الخزرج يقولون فيها: "بل خزرج"، وبني القين يقولون فيها: "بل قين"، لِمَ ذلك؟ لقرب مخرجي النون واللام، فلما لم يمكنهم الإدغام لسكون اللام حذفوا؛ لأن التخفيف بالحذف أخف من الإدغام نفسه؛ لأن الإدغام إدخال حرف ساكن في حرف متحرك أو بمعنى آخر النطق بحرفين حرفًا كالثاني مشددًا، فالإدغام فيه خفة أيضًا؛ لأن القبائل البدوية التي كانت تذهب وتميل وتفضل السهولة والاقتصاد في المجهود العضلي مالت إلى الإدغام.

أيضًا القبائل البدوية مالت إلى الحذف وكانت القبائل البدوية تحذف أيضًا قصدًا أو طلبًا للتخفيف، بعد ذلك نقول: أيهما أسهل الحذف أم الإدغام؟ الحذف أسهل طبعًا؛ لأننا عندما نحذف حرفًا سيصبح الحرفان حرفًا واحدًا. بينما الإدغام أدغمت، أي: أدخلت حرفًا في حرف آخر. يعني: ليس سهلًا كالحذف؛ لأن الحذف أخف من الإدغام، صحيح الإدغام خفيف والإدغام والإظهار لهجتان من اللهجات العربية الإظهار لهجة القبائل الحجازية والإدغام لهجة القبائل البدوية.

لماذا ذهب الحجازيون إلى الإظهار؟

ذهبوا إلى الإظهار لبيان الأصل ؛ لأن الحجازيين كانوا أهل حضر ، فكانوا لا يبالون بثقل أو بخفة ، ولذلك ذهبوا إلى الإظهار إظهار الحرفين أو فك الحرفين طلبًا لبيان الأصل.

عندما تقول مثلًا : "غُض الطرف" التميمون يقولون : غض الطرف ، غض بدل اغضض يقولون : غض ، الحجازيون يقولون : اغضض. ونجد أن اللهجتان موجدتان في القرآن الكريم : ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠] لهجة الحجازيين إن تمسسكم ، فعند التميميين : ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٤] ومن يرتد بدل "يرتدد" ، إذن اللهجة التميمية موجودة والحجازية موجودة.

إذن ذهب التميميون إلى الإدغام ليس لبيان الأصل ولكن قصدًا للتخفيف والحجازيون ذهبوا إلى الإظهار قصدًا لبيان الأصل ، وطبعًا نحن نذكر هذه العلل ؛ لأن أخطر مصطلحات الدرس اللغوي هو النص والقياس والعلة ، العلة من الأساس في المنهج المعياري الذي يفسر ويعلل ، أما المنهج الوصفي فلا يفسر ولا يعلل.

إذن الاختصار عندما قلت في بني القين : "بنل قين" ، قلنا : فلما لم يمكنهم الإدغام لسكون اللام حذفوا ، "بنل التي أصلها : "بني فـ" اللام" هنا ساكنة. وعندما ندغم يكون إدغام الساكن في المتحرك ، وليس العكس لا ندغم المتحرك في الساكن ؛ لأن المتحرك يكون أقوى من الساكن لأن السكون عدم الحركة فلا ندغم المتحرك في الساكن ، ولكن العكس ندغم الساكن في المتحرك ، وندغم الأول في الثاني ؛ لأن الذي يذوب في الآخر هو الضعيف وليس القوي ، مثل : بني القين ، اللام ساكنة والنون متحركة ، بني القين ، إذن لما لم يمكنهم الإدغام

حذفوا؛ قالوا: بل قين، حذفوا النون؛ لأن النون متحركة، فقالوا: بل قين، وذلك لقرب مخرجي النون واللام.

وكذلك في النحت التخفيفي يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة، فأما إذا لم تظهر لام المعرفة فلا يكون ذلك النحت مثل: بني الصيداء لم نقل: بني الصيداء، اللام هنا لا تظهر؛ فنقول فيها: بني الصيداء، لا يكون هنا نحت، وبني الديان لا نقول: "بل ديان"، نقول: بني الديان، وبني الضباب، وبني النجار؛ فلا ينحت منها من ذلك شيء؛ لأن لام المعرفة هنا لا تظهر، هذا النحت ميزة من مميزات اللغة العربية، والقصد منه أو الغرض منه الاختصار وتوليد كلمات جديدة، والاختصار والإيجاز من البلاغة؛ لأن البلاغة هي إيجاز واختصار من غير أن تخل بالمعنى فهذا من البلاغة، أيضًا توليد كلمات جديدة، تكثير مفردات في اللغة العربية، زيادة الثروة اللفظية للغة العربية.

من مميزات اللغة العربية -كما سبق-: أنها تشتمل على السعة في التعبير وتنوع أساليبها. أيضًا من مميزات اللغة العربية: الكناية؛ لأن عندما نقول عن رجل مثلًا كريم نقول بأنه كثير الرماد جبان الكلب فهذا أيضًا تكثير للأساليب والمفردات اللغوية.

الميزة السادسة: العلاقة بين أصوات الكلمة ومعناها أيضًا من ميزات اللغة العربية: فتوجد علاقة بين أصوات الكلمات ومعانيها، عبر عنه ابن جني: "بإمساس الألفاظ أشباه المعاني" وفيه باب آخر أيضًا تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، يعني: تقارب الألفاظ لتقارب المعاني مثلًا من مميزات اللغة العربية إن فيه علاقة بين أصوات الكلمات ومعانيها، يعني الصوت القوي يدل على معنى قوي الصوت الضعيف يدل على معنى ضعيف.

إذن الصوت يدل المعنى ؛ ولذلك قال ابن جني : إمساس الألفاظ على أشباه المعاني أو في الباب الآخر تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني ، يعني تقارب الألفاظ لتقارب المعاني. فعندنا مثلًا : "هز وأز" الهاء عندنا حرف مهتوت ضعيف الزاي مشتركة بين هز وأز ، ولكن عندنا في هز الهاء ضعيفة وأز الهمزة قوية ؛ لأن الهاء حرف مهموس ، الحروف المهموسة مجموعة في "سكت فحثه شخص" على رأي القدماء صوت مجهور الهمزة مجهورة ، أما المحدثون فقالوا : لا مجهورة ولا مهموسة ، أو بعضهم قال : مجهورة وبعضهم قال : مهموسة ، إنما الهمزة أقوى من الهاء المعنى الهز والأز هما التحريك هز الشجرة أو هز أو كذا فيه تحريك يجمع الهز والأز التحريك ، ولكن الهز التحريك برفق ؛ لأن الهاء ضعيفة ، أما الأز فهو التحريك بقوة لأجل الهمزة ؛ ولذلك قال تعالى في جانب السيدة مريم : ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ [مريم: ٢٥] وهزي إليك ، أتى بالهاء ؛ لأن السيدة مريم كانت ضعيفة وفي هذا الوقت لا تستطيع أن يؤتي لها بالمعنى القوي فقال : ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ ﴾ .

أما في جانب آخر عندما قال تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴾ [مريم: ٨٣] يعني تزعجهم وتقلقهم ؛ لأن الحال يقتضي ذلك ، أما في جانب السيدة مريم فالهز يكون هز برفق : ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ أما في جانب الكافرين : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴾ يعني تزعجهم وتقلقهم الصوت الضعيف للمعنى الضعيف ، والصوت القوي للمعنى القوي.

أيضًا في فعل : "نضح ونضخ" : النضح والنضخ ، الاثنان بمعنى تسرب الماء نضح ونضخ يشتركان في النون والضاد ، نضح نضخ الفعلان يشتركان في النون والضاد

يختلفان في أي حرف، في الحاء والخاء الحاء والخاء، الحاء حرف مهموس والخاء حرف مهموس، ولكن الخاء جرس أقوى من الحاء؛ إذن معنى النضخ أقوى من النضح؛ ولذلك ورد في القرآن الكريم: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٦] لم يقل: نضاحتان؛ لأنه لو قال: نضاحتان، أهل الجنة يكون عندهم جفاف في المياه قال: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ النضخ أقوى من النضح؛ لأن النضخ تسرب الماء بفوران، أما النضح فهو تسرب الماء تسرب ضعيف؛ لأن الهاء حرف ضعيف الجرس قال: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ ولم يقل: نضاحتان. فهنا أيضًا تمتاز اللغة العربية بوجود علاقة بين أصوات الكلمات ومعانيها.

أيضًا عندنا صر وصرصر، صر للصوت الطويل، صرصر مقاطع متكررة صرصر، صرصر مقطعين، دلالة على أن صوت الجندب صر صوت طويل أما صرصر البازي، يعني صوت بتقطيع في الصوت إذن صر يدل على طول الصوت اللغوي، وصرصر يدل على تقطيع الصوت؛ لأن صر مقطع مكون من صاد "صامت، ع"، يعني: "علة قصيرة، صاد صر" مكون من مقطع من صرصر، وهكذا.

أيضًا عندنا مثلًا: قطف وقطع، قطف مكونة من ثلاثة أصوات، وقطع كذلك، وفيه اختلاف بين الفعلين في الفاء والعين، قطف وقطع العين والفاء أيهما أقوى؟ الفاء حرف مهموس ضعيف والعين حرف مجهور قطع عندما نقول قطع الشجرة قطع الشجرة فيه الجهد ومجهود وفيه مشقة إنما عندما تقطف وردة نقول للطفل: اقطف هذه الوردة، تقول قطف الوردة. إنما لا تقل قطف شجرة يعني قطع شجرة لا لأن الصوت الضعيف للمعنى الضعيف والصوت القوي للمعني القوي، فعندما نقول للوردة قطف؛ لأن القطف فيه رفق وفيه ضعف؛ فنقول: قطف الوردة، إنما قطع الشجرة فيه شدة وفيه قوة فنقول: قطع الشجرة.

إذن الفاء ضعيفة تدل على المعنى الضعيف أما العين فمجهورة قوية بتدل على المعنى القوي ولذلك نقول قطف الوردة ولا نقول: قطع الوردة ونقول قطع الشجرة.

أيضًا عندنا مثلًا المصادر مثل: غليان غثيان، غليان وغثيان فيه صلة أيضًا بين الأصوات وبين المعاني، غليان الفعل المصدر عندنا فيه حركات متولية الغين محركة بالفتح اللام محركة بالفتح الياء محركة بالفتح غليان، وغثيان أيضًا غثيان حركات متوالية غثيان، غليان الغليان يدل على الحدث أن الغليان أيضًا فيه توالي حركات عندما يغلي الماء على القدر فيكون فيه توالي الحدث توالي الحركات فقاقيع ويغلي الماء؛ إذن حركات المثال متوالية وحركات الحدث أيضًا متوالية، إذن فيه علاقة بين أصوات اللغة العربية وبين الأحداث ما تدل عليه علاقة بين الكلمة وبين الحدث التي تدل عليه هذه الكلمة.

الغثيان عندما يكون إنسان أكل أكله مثلًا ليست حميدة أو يعني لخبط في الأكل يكون عنده غثيان بطنه فيها تقلبات نفسه ليست مستقرة يعني: "أراد أن يخرج ما في جوفه"، في المثال الذي عندنا: غثيان حركات متوالية أيضًا في الفعل في الحدث كلمة غثيان تدل على اضطراب، في أمعاء هذا الرجل عنده حركة واضطرب وما إلى ذلك.

أيضًا عندنا "خضم وقضم" الفعلان متفقان في الضاد والميم خضم قضم الضاد والميم متفقان، الخلاف بين الفعلين في القاف والخاء الخاء بجرسها فيه لين وفيه ضخامة، ولذلك نقول: "خضم البطيخ" ولا نقل: قضم البطيخ؛ لأن القضم للشيء اليابس نقول: قضمت الدابة الشعير؛ لأن القضم القاف فيها صلابة تدل على قضم الشيء اليابس، إنما الخاء فيها ضخامة وفيها لين فتدل على الشيء اللين.

الميزة السابعة: تمتاز اللغة العربية بظواهر دلالية منها الترادف، والترادف هو: تماثل المعاني لكلمتين أو تماثل معنيين لكلمتين، الترادف عبارة عن معنى متعدد اللفظ أو ألفاظ أو أكثر من لفظ لمعنى واحد، يعني لفظان أو أكثر لمعنى واحد مثل: "الإنسان والبشر"، تعبر عن الإنسان بالبشر، ويمكن أن تعبر عنه بالإنسان، ويمكن أن تعبر مثلًا عن الحنطة بالبُّر، ويمكن أن تعبر عن البُّر بالقمح أيضًا، ويمكن أن تعبر عن الساعد بالذراع، ويمكن أن تعبر بالذراع عن الساعد، أنف ومرثن أيضًا الاثنان بمعنى واحد فيه زيادة في الثروة اللفظية، مثلًا أردت أن تأتي بقصيدة فائية تأتي بأنف مبني على النون تأتي بمرثن؛ لأن الأنف هو المرثن، الذراع هو الساعد، الريب هو الشك، والشك هو الريب إذن فيه تكثير للمفردات في اللغة العربية.

الترادف ينشأ من اختلاف اللهجات العربية، ونحن نعرف أن القبائل العربية كانت كثيرة ومختلفة في لهجاتها أيضًا كانت كثيرة تبعًا لهذه القبائل فعندنا مثلًا بعض الألفاظ: مثلًا الرزق الشيء المرزوق عند قبيلة أزد شنوءة بمعنى الشكر على لهجاتهم جاء قوله تعالى في سورة الواقعة الشيء المرزوق قال تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٢] "وتجعلون رزقكم" يعني: شكركم الرزق معناه الشكر عند أزد شنوءة ويمكن أن نعبر عن الشيء المرزوق بالرزق، ويمكن أن نعبر عن الشيء المرزوق بالشكر، عند أزد شنوءة.

أيضًا العتيل عند طيئ معناه الأجير نعبر عنه بلفظ الأجير. أيضًا لَمّا عند هذيل بمعنى إلا وعليها قوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ [الطارق: ٤] أي: إلا عليها حافظ. أي: إلا عليها حافظ. اللهو ما يلهو، وبمعنى الولد أو المرأة عند حضرموت إنما عند جمهور العرب معنى أي: ما يلهو يعني اللهو ما يلهو مثلًا يمر

الوقت تلهو بأي شيء تتسلى فيه لضياع الوقت هو ضياع الوقت دون فائدة، اللهو هذا أطلق عند حضرموت على الولد أو المرأة. "اللين" بمعنى النخلة يعني اللينة هي النخلة عند الأوس اللينة هي النخلة من الممكن تسميتها نخلة وممكن تسميتها لينة، "المدية" عند القرشيين سكين، وعند قبيلة دوس بطن من الأزد مدية، وعندما قدم أبو هريرة من دوس من قبيلته عام خيبر قال له رسول ﷺ : ((ناولني السكين)) وكانت السكين هذه الآلة على الأرض، فنظر أبو هريرة يمينًا وشمالًا فلم يفهم معنى السكين، فعاد عليه الرسول ﷺ العبارة مرة ثانية: ((ناولني السكين)) فالتفت أيضًا يمينة ويسرة ولم يفهم معنى هذه الآلة، اسم هذه الآلة فأعاد عليه الرسول ﷺ العبارة مرة ثالثة؛ فقال أبو هريرة: "آلمدية تريد؟" يعني: أنت تريد المدية أو تسمى سكينًا عندكم؟ ويقول أبو هريرة: فوالله لم أعرف هذا الاسم إلا هذا اليوم.

فإذن هناك قبيلة تطلق اللفظ على معنى، وقبيلة أخرى تطلق لفظًا آخر على نفس المعنى، وقبيلة ثالثة تطلق لفظًا ثالثًا وهكذا. إذن هذا يسمى الترادف والترادف في اللغة العربية من تكثير أو من مميزات هذه اللغة؛ لأنه يكثر مفردات اللغة العربية.

أيضًا "نقّبوا" بمعنى هربوا عند أهل اليمن نقبوا بمعنى هربوا. أيضًا "البر" الحبة المعروفة قبيلة هذيل تطلق عليها البر، وأهل الكوفة يطلقون عليها الحنطة، وأهل الشام يطلقون عليها لفظ القمح، إذن كثرت المفردات على المعنى الواحد المعنى الواحد الحبة المعروفة اسمها قمح، اسمها بر، اسمها حنطة؛ لأن العرب أسموها بهذه الأسماء، إذن عندما نقول: البر، نقصد به هذه الحبة المعروفة الحنطة أيضًا نقصد بها نفس الحبة المعروفة، القمح أيضًا هي نفس الحبة المعروفة التي يطلق عليه بر والتي يطلق حنطة... إلخ.

المعنى واحد ولكن الألفاظ اختلفت، فاختلاف الألفاظ هذا يزيد من ثروة اللغة العربية، يعد هذا ميزة من مميزات اللغة العربية.

فظاهرة الترادف من خصائص ومن مميزات اللغة العربية؛ فعندما اختلفت اللهجات واختلفت القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية؛ نجد أن كل قبيلة أطلقت اسمًا على شيءٍ معين سمتها قبيلة من القبائل باسم، وسمته قبيلة أخرى باسم آخر، وأسمته قبيلة ثالثة باسم ثالث... وهكذا، ثم بعد ذلك تعاور هذه الأسماء كلٌّ؛ فأصبحت عندنا ظاهرة الترادف في اللغة العربية وهي ميزة من مميزات اللغة العربية.

وكلمة "المنزفة": وهي شيء يرفع الماء ويرمى في المزارع: كلمة عربية، أيضًا الجادوف: شيء يرفع به الماء ويرمى به في المزارع: عراقية، وفي مصر عامة أهل مصر يسمون هذا المعنى "الشادوف"؛ إذن المعنى الواحد أطلق عليه أكثر من لفظ: إذن المنزفة: جمهور العرب، والجادوف: عرقية، والشادوف: عامة مصر؛ إذن ثلاثة ألفاظ لمعنى واحد، تكثير مفردات اللغة العربية، نعبر عنه بالمنزفة، نعبر عن هذا المعنى بالجادوف، ونعبر عن هذا المعنى بالشادوف؛ إذن ثلاثة ألفاظ لمعنى واحد.

أيضًا "القرية": وهي كل مكان اتصل به الأبنية واتخذ قررًا، عند أهل الشام يطلقون على هذا المعنى كفر؛ إذن لفظان لمعنى واحد.

أيضًا "الكنيف"، موضع بني للغائط عند أهل الكوفة؛ قالوا: لأنه يكنف صاحبه ويستره، أيضًا "المرحاض" أهل اليمن يعني أسموه المرحاض؛ لأنه أخذ من الرحض وهو الغسل؛ لأنه عندما يذهب إلى هذا الموضوع يغسل ما يشاء.

من فوائد هذه الظاهرة:

تكثير المسائل -وهي الطرق- إلى الأخبار عما في النفس؛ فإنه ربما نسي الإنسان أحد اللفظين أو عسر عليه النطق به إذا كان ألثغ مثلًا، ولولا المترادفات تعين هذا الشخص على قصده؛ لما قدر على ذلك.

ومنها التوسع في سلوك طرق الفصاحة وأساليب البلاغة في النظم، والنثر؛ ومنها قد يكون أحد المترادفين أجلى من الآخر؛ فيكون هذا المترادف شرحًا للآخر الخفي وتبيانًا له، وقد يعكس الحال بالنسبة إلى قومٍ دون آخرين:

مثلًا: الأشق والأمق: هو الطويل، تذكرت "الطويل"؛ عبر به، ذهب إلى ذهنك الأشق أو الأمق؛ عبر بأي من هذه الألفاظ.

"وقد يعكس الحال بالنسبة إلى قومٍ دون آخرين": يعني قد يكون المرادف لك سهلًا، قد يكون عند غيرك صعبًا؛ إذن قد يكون اللفظ المرادف الذي أختاره سهلًا عندي، ويكون هذا اللفظ ذاته صعبًا عند آخرين؛ إذن الترادف مما تمتاز بها اللغة العربية، وطالت بها غيرها من اللغات، ومظهر من مظاهر اتساع اللغة وعظمها، هذه ميزه من مميزات اللغة العربية.

الميزة الثامنة: التعريب: هو أن تتفوه العرب باللفظ الأجنبي على منهجاها وطريقتها، والعرب تفوهت بكثير من الألفاظ الأجنبية على طريقتها ومنهجاها، أقسام التعريب: معرب، ومولد، ومحدث.

المعرب: هو ما استعمله العرب الذين يحتج بكلامهم من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها، وهذا ميزة أيضًا من مميزات اللغة العربية.

دواعي التعريب:

١. الضرورة: قد يضطر إنسان إلى استعمال لفظ الآن وليس له نظير مثلًا في اللغة العربية: لفظ موجود عند الفرس مثلًا، أو موجود في عصرنا الحديث وليس موجودًا عندنا، نأتي بهذا اللفظ الأجنبي، ولكن أن ننطق به كما نطق العرب بالأصوات، يعني يشتمل هذا اللفظ على صوت "P" ثقيلة في اللغة الإنجليزية، نحول هذه الـ "P" الثقيلة إلى فاء مثلًا، نحولها إلى حرف شبيه بها. "الگاف" الفارسية أيضًا نحولها إلى حرف شبيه بها في اللغة العربية إلى كاف مثلًا... وهكذا.

٢. خفة اللفظ الأجنبي في النطق من نظيره العربي: يوجد كلمات في اللغة العربية كانت ثقيلة على اللسان عند العرب؛ فالعربي اختار اللفظ الأخف عنده: فمثلًا كان اللفظ العربي للمسك "المشموم"؛ فالعربي اختار "المسك" اللفظ الأجنبي بدلًا من المشموم. فاخترنا المسك وعربناه ونطقناه كما ينطق العرب به.

ميزة أيضًا من مميزات اللغة العربية: أنها تأتي باللفظ الأجنبي وتصبغه بالصبغة العربية؛ فيصبح عندنا لفظين: لفظ قديم عربي، ولفظ حديث؛ فمنه تكثر المفردات للغة العربية، وتسهيل والقصد بالسهولة والاقتصاد في المجهود العضلي ما دام لفظ المسك أخف من لفظ المشموم؛ إذن نستعمل اللفظ الأجنبي.

أيضًا كلمة "الورد" كان اسمه في اللغة العربية "الحوجب"، أتينا به وأدخلناه إلى اللغة العربية، وهذا طبعًا ميزة من مميزات اللغة العربية وإننا استعملنا اللفظ الأخف.

أيضًا لفظ "الإبريق" كان عند العرب النظير العربي له الطامورة: أتينا بالإبريق - وكان الإبريق في اللغة الفارسية مأخوذ من "آبواريز" فارسي، فأتينا به إلى اللغة العربية، وأصبح معربًا.

أيضًا لفظ القثد: بمعنى الخيار، أتينا بلفظ الخيار من خارج اللغة العربية مرادفًا لكلمة القثد؛ إذن أنت مخير بين أن تقول الإبريق أو تقول: الطامورة، بين أن تقول: الخيار وبين أن تقول القثد. لك أن تستعمل هذا، ولك أن تستعمل ذلك.

أيضًا لفظ "التوت" وكان يسمى في العربية "الفرصاد": أنت مخير أن تقول: التوت وبين أن تقول الفرصاد، أيضًا بين أن تقول: النرجس وبين أن تقول "العبهر"، العبهر: اسمه العربي القديم، أيضًا الياسمين: الياسمين كان اسمه في اللغة العربية السمسق أو السجلاط، عرب لفظ الياسمين ودخل اللغة العربية وكثرنا به مفردات اللغة العربية بهذا.

أيضًا الفرسك في اللغة العربية هو الخوخ: أتينا به من اللغات الأجنبية، وأدخلناه في اللغة العربية وكان يسمى الفرسك عندنا.

٣. الرغبة والافتخار وحب الظهور: إعجاب أمه بأخرى فتقتبس منها بعض ألفاظ لغتها.

التعريب يعني عربت الكلمة الأعجمية بتغير بعض حروف أصواتها بما يوافق ألسنة العرب؛ أما إذا أبقيت الكلمة على صورتها الأعجمية دون تغيير؛ فكانت تسمى "دخيل" نقول: كلمة "دخيل":

إذن المعرب: هو اللفظ الأجنبي الذي غيرته العرب بالنقص أو الزيادة أو القلب.

أنواع التغيير في التعريب:

التغيير في تعريب الكلمات الأجنبية إما أن يكون بنقص بعض الحروف: مثل كلمة "نشسته" عربت إلى "نشا"، أو زيادة حرف: مثل "ديبا" عربت إلى "ديباج"،

أو إبدال حرف من حرف: مثل "گورب" بالگاف الفارسية عربت إلى "جورب" بالجيم العربية، أو إبدال حركة من حركة مثل: "دَستور" على وزن "فَعلول" عرب إلى "دُستور"؛ لأن صيغة "فَعلول" عندنا في اللغة العربية نادرة، فعربت إلى صيغة غير نادرة: وهي صيغة "فُعلول"، مثلًا تبديل السكون مثل: "كازْرون": وهي بلدة، عربت إلى "كازارون"؛ لأن في "كازْرون" التقى ساكنان: الألف، والزاي، وعندنا في اللغة العربية لا يجتمع ساكنان في وسط الكلمة؛ فحركنا الساكن وقلنا فيها "كازارون".

القسم الثاني: من الكلمات التي دخلت العربية: هو إبقاء الكلمة على صورتها ويسمى بالدخيل، والدخيل قليل في اللغة العربية: مثل كلمات "خراسان" "تليفون" "تلغراف" "تلفزيون"، "كيلو"، دخلت العربية كلمات قليلة؛ ولكن لا إفراط ولا تفريط إن وجدنا نظيرًا؛ استعمالنا النظير العربي مثلًا: كلمة هاتف نستعملها بدل "التليفون".

حياة اللغة، تفرع اللغة إلى لهجات

عناصر الدرس

حيـــــــــاة اللغـــــــــة

اللغة الحية هي: لغة التفكير، والتعبير، والثقافة، والاستعمال اليومي لعدد كبير من البشر.

تقابل اللغةَ الحيةَ اللغةُ المندثرةُ أو الميتةُ: وهي اللغة التي كانت مستعملة في الزمان الغابر، ثم توقف استعمالها نهائيًّا؛ كالأكادية: والأكادية من اللغات السامية، نسبة إلى أرض "أكد" إلى أرض جنوب العراق، وسميت بالبابلية أيام حكم البابليين، وأيام حكم الآشوريين سميت بالأشورية.

وأيضًا الكنعانية: وهي أيضًا من الفصيلة السامية؛ ولكنها اندثرت، وتوقف استعمالها نهائيًّا، وكذلك الكلدانية.

أيضًا اللغة الميتة أو اللغة المندثرة التي تقابل اللغة الحية: قلنا بأنها توقف استعمالها نهائيًّا كالأكادية، والكنعانية، والكلدانية، أو لم تعد تستعمل في الاتصال اليومي العادي؛ وإنما يقتصر استعمالها على أغراض دينية أو أغراض علمية: مثل القبطية: فالقبطية -مثلًا- في مصر لا تستعمل في الاستعمال العادي، لا يستعملها عدد كبير جدًّا من البشر، ليست لغة تفكير أو تعبير أو ثقافة، أو استعمال يومي لعدد كبير من البشر، تسمى لغة ميتة؛ برغم أنها تستعمل استعمالًا نادرًا في الكنيسة؛ إنما تعد لغة ميتة؛ لأنها لم تعد تستعمل في الاتصال اليومي العادي؛ وإنما يقتصر في استعمالها على أغراض دينية في الكنيسة، أو أغراض علمية مثل: اللاتينية، والسنسكريتية.

ولكـي تبقـى اللغـة وتنمـو وتحـتفظ بحيويتهـا في الـتفكير، والتعـبير، والثقافـة والاستعمال اليـومي لا بـد لهـا مـن مواكبـة الحـضارة؛ فـضلًا عـن مقومـات البقـاء الأخرى: كمحافظة الناطقين بها عليها عبر العـصور، دون أن يتحولـوا عنهـا إلى غيرها، ووضع القواعد والمعايير التي تحفظها من سوء الاستعمال.

واللغة من أجل أن تبقى لا بد لها من مواكبة الحضارة؛ فلا بد لمواكبة الحضارة أن تقـترض بعـض الألفـاظ مـن اللغـات الأخـرى، بـلا إفـراط ولا تفـريط: يعـني أن تقترض بعض الألفاظ التي تقتضي الحضارة اقتراضها عند الضرورة؛ ولذلك قلنا بأننا نلجأ إلى تعريب الكلمات الأجنبية عند الضرورة.

لكن إذا وجدنا مرادف لهذه الكلمة الأجنبية؛ نستعمل المرادف مثلًا البرق والبريد والهاتف نستعمل الهاتف ولا نستعمل التليفون. "ترومواي" مثلًا نقول عنها "ترام"، نقول عنها "جماز" مأخوذ من الجماز الجمزة وهو السريع، مثلًا كلمـة "سمكـري" ممكن نشتق من اللغة العربية صفاح بدل سمكري: هو صـانع الـصفيح نـشتق مـن هذه الكلمة العربية كلمة ترادف الكلمة الدخيلة من اللغات الأجنبية.

إذن لنحافظ على اللغة العربية: لا بد لها من مواكبة الحضارة بأن نقترض لهـا مـن اللغـات الأجنبيـة عنـد الـضرورة، إذا وجـدنا مرادفًـا للكلمـة الأجنبيـة؛ نـستعمل المرادف، إذا وجدنا الاشـتقاق يـؤدي المعنـى مـن الكلمـة العربيـة؛ اشـتققنا، وإذا وجـدنا ترجمـة؛ اسـتعملنا الترجمـة، وإذا لجأنـا بعـد ذلـك إلى التعريـب؛ عربنـا الكلمة الأجنبية: عربناها بأن صبغناها بالصبغة العربية؛ إذن هـذه الأشـياء لا بـد منها للمحافظة على حياة اللغـة، ولا بـد أيـضًا مـن وضـع القواعـد والمعـايير الـتي تحفظ اللغة من سوء الاستعمال.

تفرع اللغة وانقسامها إلى لهجات

هناك قانون لُغوي يقول بأنه متى انتشرت اللغة في مناطق واسعة من الأرض، وتكلم بها جماعات كثيرة، يعيشون في بيئة جغرافية واسعة، وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية أو اجتماعية؛ استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها أمدًا طويلًا.

عوامل تفتيت اللغة وعوامل انقسامها إلى لهجات هي:

البيئة الجغرافية المتسعة، الحواجز بين الزائد المتكلمين باللغة الواحدة، الفواصل الجغرافية، الفواصل الاجتماعية: فواصل الطبقات، هذه الفواصل وهذه العوامل تؤدي إلى عدم الاحتفاظ بوحدة اللغة أمدًا طويلًا؛ بل تنقسم اللغة إلى لهجات... وهذا ما حدث للغة العربية.

نجد أن اللغة العربية انقسمت إلى لهجات متعددة؛ هذه اللهجات نتيجة لانقسام القبائل العربية ووجود الفواصل الجغرافية بين أجزاء المنطقة العربية؛ فظهر عندنا مثلًا القبيلة الحجازية وقبيلة تميم، وقبيلة هذيل، وقبيلة أزد شنوءة، وقبيلة بكر ابن وائل، والأنصار... وهذه القبائل متعددة؛ وجدنا أن كل قبيلة استعملت لهجة خاصة بها، فمثلًا عندنا الحجازيون يظهرون، يقولون مثلًا: "لم تمنن وامنن"، التميميون يدغمون: "وَمَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِه" (البقرة: ٢١٧) الحجازيون يظهرون: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠] مثلًا الشاعر يقول:

وغض الطرف إنك من نمير ❖ فلا كعبًا بلغت ولا كلابًا

اغضض: لهجة حجازية، غض: لهجة تميمية، الحجازيون مالوا إلى الإظهار قصدًا لبيان الأصل، التميميون مالوا إلى الإدغام؛ قصدًا للسهولة والاقتصاد في الجهد العضلي.

نجد أن هناك لهجات أخرى تبعًا للقبائل: مثلًا اللخلخانية عند أعراب الشحر وعمان: وهي نقص بعض حروف الكلمة في الإدراج والوصل، يقولون في "ما شاء الله": ما شا الله. العجرفية: وهي تفخيم الحروف وتغليظها؛ حتى يملى صداها الفم، وتنسب إلى قبيلة ضبة، الغمغمة: وهي سرعة نطق أصوات الكلمة واختلاط حروفها، وخفاؤها حتى لا يفهم السامع المراد، وتنسب إلى قبيلة قضاعة، الاستنطاء: وهي إبدال العين الساكنة نونًا إذا جاورت الطاء، يقولون في أعطى: "أنطى" ومنه الحديث: ((اليد العليا المنطية...))، وتنسب هذه الظاهرة إلى سعد بن بكر، وهذيل، والأزد، وقيس، والأنصار، الطمطمانية: وهي إبدال لام التعريف ميمًا؛ فيقولون في الرجل: "امرجل"، وفي السفر: "امسفر"، ويقولون في طاب الهواء: "طاب امهواء"، وتنسب إلى حمير.

أيضًا "الوكم": جمهور العرب ينطقون الكاف من ضمير الجمع "كُم" مضمومة مطلقًا؛ ولكن بكر بن وائل تكسر هذه الكاف بعد الياء أو الكسرة، فيقولون: بدلًا من عليكُم وبكُم يقولون "عليكِم وبكِم"؛ قال الشاعر:

وإن قال مولاهم على جل حادث ❖ من الدهر رُدُّوا فضل أحلامِكِم رَدُّوا

فكسروا الكاف فقالوا: "أحلامِكِم" بدلًا "أحلامِكُم".

أيضًا "الوهم": وجمهرة العرب تنطق هاء "هُم" مضمومة ما لم يسبقها ياء ولا كسرة، ولكن قومًا من ربيعة أو كلب؛ فإنهم يكسرونها وإن لم يسبقها ياء ولا كسرة؛ فيقولون: "منهِم وعنهِم" بدلًا من منهُم وعنهُم.

أيضًا لهجات مثلًا قبيلة هذيل تبدل حاء "حتى" عينًا وهي الفحفحة: من ذلك ما روي عن عمر: أنه سمع رجل يقرأ "عتى حين". فقال: من أقرأك؟ قال: ابن مسعود. فكتب إليه: "إن الله عز وجل أنزل هذا القرآن فجعله عربيًّا وأنزله بلغة قريش، فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلهجة هذيل، والسلام". إذن لهجة هذيل لهجة انحرفت عن العربية الفصحى.

وأيضًا من هذه اللهجات التي انقسمت في شبه الجزيرة العربية وتفرعت: "العجعجة": والعجعجة هي إبدال الياء المشددة جيمًا، وتنسب إلى قبيلة قضاعة، يقولون في تميمي: تميمِج، وأيضًا تنسب إلى فقيم -دار من تميم- قال أبو عمرو بن العلاء: قلت لرجل من بني حنظلة: ممن أنت؟ قال: فقيمج؟ قلت: من أيهم؟ قال: مرِّج. أي: مري: أراد فقيمي ومري، وعليها جاء قول الشاعر:

عمي عويف وأبو علِجٍّ ❖ المطعمان اللحم بالعشِجِّ

هذه العجعجة أيضًا لهجة من لهجات شبه الجزيرة العربية التي انقسمت عندما اتسعت بيئة اللغة العربية، وتعدد الناطقون بها، وفصلت بينهم الفواصل الجغرافية.

أيضًا هناك لهجة أخرى وهي عكس العجعجة، وهي: إبدال الجيم ياءً، وتنسب هذه الظاهرة إلى تميم، قالوا في الصهاريج: الصهاري وصهري لغة تميم، كما قالوا في شجرة: شيرة؛ بقلب الجيم ياءً -عكس العجعجة- قال أبو حاتم: قال: سمعت أم الهيثم تقول:

إذا لم يكن فيكن ظلٌّ ولا جنًى ❖ فأبعدكن اللهُ من شَيَرات

أيضًا هناك لهجة أخرى، هي لهجة أهل اليمن، وتسمى: الوتم، والوتم هو إبدال السين تاءً. يقولون في الناس وأكياس: النات، وأكيات، قال الشاعر:

يا قبح الله بني السعلاتِ ❖ عمرو بن يربوع شرار الناتِ

غير أعفاء ولا أكيات

شرار النات، أي: شرار الناس.

ولا أكيات: أي ولا عقلاء؛ فأكيات هنا: يعني أكياس، جمع كيس: وهو العاقل. والسعلات: الساحرة من الجن.

ويقولون في علة قلب السين تاء في الوتم: وإنما أبدلت التاء من السين؛ لأن في السين صفيرًا فاستثقلوه فأبدلوه من السين التاء، وينسب الوتم لأهل اليمن.

عندما تأتي إلينا لهجة، أو تأتي إلينا مسألة؛ لا بد أن نعلل لهذه المسألة؛ لأن هذه من أخطر مصطلحات الدرس اللغوي ولا بد أن تُستوفى، النص: لا بد أن يكون النص كاملًا، والقياس: لا بد أن نقيس ما لم يسمع على ما سمع، والعلة: لا بد أن نعلل للظواهر اللغوية التي توجد عندنا؛ لأن هذا هو من أعمال المنهج المعياري، والمنهج المعياري هذا كما قلنا عنه: أنه عن طريقه قعدت قواعد اللغة العربية، أو قعد علماء العربية لنا قواعد هذه اللغة.

أيضًا العنعنة من لهجات شبه الجزيرة العربية التي وصلت إلينا بعد انقسام اللغة العربية إلى لهجات في شبه الجزيرة العربية؛ نتيجة لاتساع بيئة اللغة العربية والعنعنة: هي إبدال العين من الهمزة المفتوحة، في أنْ أو أنَّ يقولون في أنْ: عنْ. وفي أنَّ: عنَّ؛ قال ذو الرمة:

أعَنْ ترسمت من خرقاء منزلةً ❖ ماءُ الصبابةِ من عينيك مسجومُ

هنا أبدل العين من الهمزة المفتوحة عينًا: "عَنْ ترسمت" أصلها: "أن ترسمت". وهذه اللهجة تسمى بالعنعنة وتنسب إلى تميم؛ يقولون: عنعنة تميم؛ قال الشاعر:

فما أُبْنَ حتى قُلْنَ: يا ليت عَنَّنا ❖ ترابٌ وعَنَّ الأرض بالناس تُخْسَفُ

فما أبن: يعني فما رجعن. يا ليت عَنَّنَا: يعني يا ليت أننا. وعنَّ الأرض: يعني: وأن الأرض. إذن البيت الشعري أصله:

فما أُبْنَ حتى قُلْنَ: يا ليت أننا ❖ ترابٌ وأنَّ الأرض بالناس تخسفُ

قال الفراء: لغة قريش ومن جاورهم أَنَّ، وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف أَنَّ إذا كانت مفتوحةً: عينًا، يقولون: أشهد عَنَّك رسول الله: أي أنك رسول الله. فإذا كسروا؛ رجعوا إلى الألف -يعني إلى الهمزة- وعليها قول الشاعر:

فلا تُلْهِكَ الدنيا عن الدينِ واعتمد ❖ لآخرة لا بد عَنْ ستصيرها

أصلها: لا بد أن، وقال الآخر:

أعن تغنت على ساقٍ مطوقة ❖ ورقاء تدعو هديلًا فوق أعواد

أعن أصلها: أأنْ.

علة العنعنة قلب همزة أنْ وأنَّ عينًا: يقولون: كما أبدلت الهاء من الهمزة؛ لقربها منها في المخرج؛ أبدلت منها العين؛ لأن العلة واحدة.

أبدلت العين من الهمزة؛ لأن العين والهمزة من حروف الحلق التي يصح حلول بعضها محل بعض، تقول: مدح، ومده، والحاء والهاء من حروف الحلق؛ حروف الحلق هي ستة: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء. فعندنا مثلًا أراق وهراق، الحرفان يصح حلول بعضهما محل بعض؛ حروف الحلق ثلاثة مدارج وستة حروف كل حرفين في مدرج: المدرج الأول: من أقصى الحلق: الهمزة والهاء، المدرج الثاني: العين والحاء، المدرج الثالث: الغين والخاء؛ هذه هي حروف الحلق، يصح حلول بعضها محل بعض؛ فعلّة العنعنة: كما أبدلت

الهاء من الهمزة في أراق وهراق؛ لقربها منها في المخرج؛ أبدلت أيضًا العين؛ لأن العلة واحدة؛ لأن حروف الحلق يصح حلول بعضها محل بعض.

أيضًا من اللهجات في شبه الجزيرة العربية: الكشكشة وهي إبدال كاف المؤنث في الوقف شينًا، وهذه اللهجة موجودة الآن في الكويت مثلًا؛ يقولون في أبوكِ: أبوتشِ؛ علة ذلك: قالوا: حرصًا على البيان؛ لأن الكسرة في الوقف تخفى؛ فحرصًا على بيان الكسرة هذه يقلبون، أو يحولون الكاف إلى شين: يقولون في أبوكِ: أبوشي أو أبوتشي. هذه اللهجة لهجة ربيعة ومضر، يقولون: كشكشة ربيعة ومضر.

يقولون مثلًا في عليكِ: عليشِي. ومنكِ: منشِي. ومررت بشِي. بدل: بكِ. ومنهم من يجري الوصل مجرى الوقف، يعني أيضًا يبدل في الوصل الكاف شينًا.

إذن الأصل في هذه اللهجة -وهي إبدال الكاف ضمير المؤنثة -أو ضمير المؤنث- شينًا في الوقف حرصًا على البيان: هذه اللهجة في الأصل أنها في حالة الوقف، ومنهم من يبدل الكاف شينًا في الوصل أيضًا؛ إجراءً للوصل مجرى الوقف، قال الشاعر:

فعيناشِي عيناها وجيدُشِي جيدها ❖ سوى أن عظم الساقِ منشِي دقيقُ

الأصل قبل القلب:

فعيناكِ عيناها وجيدُك جيدها ❖ سوى أن عظم الساق مِنكِ دقيقُ

أيضًا قالوا في أعطيتكِ: أعطيتُشِ.

هناك لهجة أيضًا وهي: الكسكسة، للفرق بين المذكر والمؤنث إبدال الكاف ضمير المذكر سينًا، الصورة الثانية: إلحاق السين بالكاف.

نقول في منكَ: مِنْسَ، ونقول في عليكَ: عَلَيْسَ، بالسين، وتنسب أيضًا إلى ربيعة ومضر، ونسبها ابن جني إلى هوازن؛ وهوازن أيضًا قبيلة مضرية، ونسبها الزمخشري وابن يعيش إلى بكر بن وائل؛ وبكر بن وائل من ربيعة.

علل المستشرقون تلك الظاهرة بأن الكاف كالجيم الخالية من التعطيش -يعني: الجيم القاهرية والكاف الفارسية، الجاف الفارسية والجيم المصرية- دفعتها الكسرة التي تليها إلى أن تكون من وسط الحنك؛ فصارت "ch": "c-h" يعني: حرف مزدوج، نحن نرجح أن الكشكشة كانت أيضًا بإبدال كاف المؤنث حرفي: "ch"؛ يعني: حرف مزدوج بدليل النطق في بعض اللهجات الدارجة الآن في شبه الجزيرة العربية؛ حيث يقولون في أبوكِ: "أبتشِي" توجد هذه اللهجة في الكويت الآن.

إذن لماذا أصاب الانحراف في النطق بعض القبائل العربية؟

لأن هناك حواجز جغرافية، أو حواجز طبقية، أو انفصال بين القبائل، وكانت هذه الحواجز تشبه -إلى حد كبير- الحواجز السياسية الآن؛ عندما تفصل الحدود السياسية بين البلدان، كانت هناك في الجاهلية الحواجز القبلية؛ كانت كل قبيلة متمسكة بموطنها، عندما يأتي إليه بعض الأفراد من القبائل الأخرى، تظن أن هؤلاء الأفراد جواسيس وكانت تحافظ على أراضيها بأن تبعد الآخرين عنها؛ فهذه الفواصل سواء كانت فواصل جغرافية أو فواصل قبلية، قامت مقام الحدود السياسية الآن، وهذا كان السبب في نشأة اللهجات العربية، وانقسام لهجات اللغة العربية.

أسباب تفرع اللغة إلى لهجات

يوجد لهجات كثيرة في شبه الجزيرة العربية: الإدغام، والإظهار، والفحفحة، والكشكشة... إلى آخره، هذه اللهجات كانت نتيجة للفواصل في شبه الجزيرة العربية؛ لأن الفواصل في شبه الجزيرة العربية كانت كالحدود السياسية الآن، يعني كانت تشبه الحدود السياسية بين البلدان العربية الآن.

ويمكننا إرجاع تفرع اللغة إلى لهجات إلى الأسباب الآتية:

١. الفواصل الجغرافية: إذا كان المتكلمون باللغة الواحدة يعيشون في بيئة جغرافية واسعة، وتفصل الجبال، أو الوديان، أو غيرها من الفواصل الجغرافية بقعة عن بقعة أخرى؛ فإن هذه الفواصل تعزل هذه البيئات بعضها عن بعضها الآخر، وتؤدي -مع الزمن- إلى تكوين لهجات في اللغة الواحدة.

وهذا ما حدث للغة العربية؛ فقد تفرعت إلى لهجات؛ حيث انتشرت القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية المترامية الأطراف بين سهول وهضاب، وأودية وجبال، وسواحل وصحارٍ؛ فانفصلت كل بيئة عن الأخرى؛ فالذين يعيشون في بيئة صحراوية بادية غير مستقرة: مثلًا في نجد والعروض يتكلمون لهجة غير التي يتكلمها الذين يعيشون بمناطق الحضارة والاستقرار في الحجاز وتهامة واليمن.

ولم تسلم البيئة العربية من تلك الفواصل في عصرنا الحاضر؛ حيث نجد اختلافًا بين البيئات المتعددة، فضلًا عن الحدود السياسية والتي تقف حاجزًا ليس من اليسير اختراقه.

فعندنا مثلًا الوطن العربي، الفواصل السياسية بين ليبيا ومصر: قبائل أولاد علي ينقسمون بين الدولة الليبية والدولة المصرية: الحدود السياسية هي التي تفصل بين الذين يعيشون في ليبيا والذين يعيشون في مصر.

إذن الفواصل السياسية الآن تقوم مقام الفواصل الجغرافية قديمًا: القبيلة الواحدة تفصل الحدود السياسية بين قسميها.

٢. الانعزال الاجتماعي: ونعبر عنه بأنه فواصل الطبقات.

الانعزال الاجتماعي واختلاف الظروف الاجتماعية بين البيئات المختلفة لهما تأثيرهما الذي لا يستهان به في تفرع اللغة إلى لهجات؛ فكل طبقة من طبقات المجتمع تتخذ لهجة مختلفة عن الطبقة الأخرى تلائمها وتتناسب معها؛ فالطبقة الإرستقراطية مثلًا تتخذ لهجة غير لهجة الطبقة الوسطى، أو الطبقة الدنيا من المجتمع، ولهجة الصناع تخالف لهجة الزراع؛ ولذا يقرر فندريس -مؤلف كتاب (اللغة)- أن العاميات الخاصة تتميز بتنوعها الذي لا يحد؛ وأنها في تغير دائم تبعًا للظروف والأمكنة؛ فكل جماعة خاصة وكل هيئة من أرباب المهن لها عاميتها الخاصة بها.

كل طائفة من طوائف المجتمع تستعمل بعض الألفاظ في معاني خاصة لا تدركها غيرها من الطوائف التي تعيش معها فمثلا يستعمل النجارون بعض المصطلحات الخاصة بهم، وكذلك الحدادون... حتى اللصوص وطريدو القانون لهم اصطلاحاتهم الخاصة بهم، وهذه اللغات الخاصة أو العاميات الخاصة كاللهجات تمامًا: يقول فندريس: اللغات الخاصة تنشأ من الانفصال الاجتماعي؛ لذلك

كانت -من حيث المبدأ- كاللهجات تمامًا ؛ ولكنها تقوم دائمًا على مادة لغة مشتركة ؛ فالعزلة الاجتماعية هذه إذا انضمت إلى العزلة الجغرافية ساعدت على تفرع اللغة إلى لهجات.

٣. احتكاك اللغات واختلاطها نتيجة غزو أو هجرات أو تجاور ؛ حيث يعد الصراع اللغوي بين اللغات من العوامل الخطيرة التأثير في انقسام اللغة وتفرعها إلى لهجات ؛ بل يقرر فندريس أن تطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي يعد أمرًا مثاليًّا لا يكاد يتحقق في أية لغة ؛ بل على العكس من ذلك فإن الأثر الذي يقع على لغة من لغات مجاورة لها، كثيرًا ما يلعب دورًا هامًّا في التطور اللغوي.

الاختلاف الفردي في الكلام، والقياس الخاطئ

فإذا عاش الطفل أو عاش هؤلاء الأطفال بعيدًا عما يقوِّم ألسنتهم، ويصلح خطأهم كأن يكون آباؤهم مشغولين في طلب الرزق في بلاد أخرى، فإن هذه الانحرافات والأخطاء تصبح بمرور الزمن لهجة اعتادوها وتمسكوا بها، ويُحْتمل أن تكون لهجة تميم -قبيلة تميم في شبه الجزيرة العربية- في بناء اسم المفعول من الأجوف اليائي بالإتمام ؛ قياسًا على الفعل الصحيح- من هذا القبيل، ثم أصبحت بمرور الزمن لهجة خاصة بلهجة تميم ؛ لأن لهجة تميم يصححون اسم المفعول من الأجوف اليائي فيقولون في مدين مديون بالإتمام، هذه اللهجة طبعًا يحتمل أن تكون من الخطأ في الأقيسة ؛ لأنهم قاسوا الأجوف على الصحيح

فالصحيح يقولون مثلًا مفعول نبني الكلمة على اسم المفعول مثلًا مفعول قياسًا على الفعل الصحيح مثلًا عندنا غمر اسم المفعول منها مغمور؛ لأنه فعل صحيح، إنما دان نقول فيه: مدين وليس مديون؛ فإذن هذا قياس خاطئ بمرور الزمن أصبح لهجة من اللهجات العربية وهي لهجة تميم..

فإذن الأخطاء التي يخطئ فيها الأطفال، والذين يعتادون أن يتكلموا بها من وجهة نظرهم أنها صحيحة، ولكنها في الواقع تجانب الصواب، وهذا القياس الخاطئ قد يصبح بمرور الوقت لهجة خاصة.

الأسباب التي أدت إلى تكوُّن اللهجات العربية

هذا ويمكن أن نجمل الأسباب التي أدت إلى تكوُّن اللهجات العربية في: العزلة والاختلاط بغير العرب.

السبب الأول: العزلة:

هذه العزلة تكون سببًا في نشأة اللهجات، وأيضًا العزلة تكون سببًا في وحدة اللغة، كيف تكون العزلة سببًا من أسباب نشأة اللهجات أو انقسام اللغة إلى لهجات، وكيف يكون الاختلاط سببًا في انقسام اللغة إلى لهجات؟ والعزلة عكس الاختلاط.

نقول في انقسام اللغة العربية إلى لهجات أن العزلة سبب من أسباب نشأة اللهجات في اللغة العربية عزلة مم؟ عزلة من العرب -يعني القبائل المنعزلة- قبيلة

تميم كانت مثلًا لها منطقة معينة، قبيلة أزد شنوءة، أزد السراة... كل قبيلة لها منطقة معينة، الذين يذهبون إليها من القبائل الأخرى تظنهم جواسيس، وممنوع الاقتراب من موطن القبيلة.

السبب الثاني: الاختلاط بغير العرب:

فأنت عندما تختلط بفرنسيين أو بانجليز أو بأمريكان فإن هذا الاختلاط بغير العرب سيؤدي بمرور الزمن إلى نطقك بالأحرف العربية محرفة عن النطق الصحيح، إذن النطق السليم أو الصحيح أو الأصلي للأصوات العربية سينحرف باختلاطك بغير العرب، ستنطق أصواتًا عربية كما ينطقها أجانب، أو غير العرب؛ مثلًا عندنا صوت الباء: ممكن أن تنطق صوت الباء بـ"P" الثقيلة أو تنطق مثلًا الفاء بـ"V" وهكذا، إذن الاختلاط بغير العرب سيؤدي بمرور الزمن إلى انقسام اللغة إلى لهجات.

كما أن اختلاط بعض القبائل العربية بغير العرب يقتضي أن يتعرف كل فريق على لغة الفريق الآخر، وبلاد العرب تجاورها أمم كثيرة من جميع جهاتها كالهند، وفارس، والعراق، والشام، والروم، ومصر، والحبشة، والتي كانت على جانب كبير من المدنية والحضارة.

ولقد احتاج العرب إلى الاتصال بهذه الأمم، وكانت هناك علاقات تجارية وسياسية بينها وبين تلك الأمم، وهذه العلاقات تستلزم الاتصال المباشر وقد اختلطت قبائل عربية بالأعاجم على نطاق واسع؛ فلهجات القبائل التي كانت

في بادية الشام أو في العراق مثلًا كانت تجاور لغات كالآرامية والعبرية، والصراع معها أدى إلى بروز ظواهر لهجية، فعندما نسمع عراقيًّا يقول في طالب: تالب، ينطق الطاء تاء؛ متأثرًا باللغة الفارسية، صوت الطاء غير موجود في اللغة الفارسية، فينطقون الطاء تاء تأثرًا باللغة الفارسية.

هذه اللغات عندما تجاور لغة كاللغة العربية؛ فإن المتكلمين باللغة العربية تنحرف ألسنتهم نتيجة لمخالطتهم هؤلاء المتكلمين باللغة الفارسية، وكذلك بقية سكان البراري الذين كانوا يجاورون الأمم الأخرى. وإذا رأينا أن موقف العلماء من جمع اللغة من هذه القبائل كان موقفًا حازمًا؛ فلم يأخذوا عنهم اللغة، قال السيوطي نقلًا عن الفارابي: لم يؤخذ من لخم ولا من جذام؛ فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط ولا من قضاعة، ولا من غسان، ولا من إياد؛ فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية، ولا من تغلب والنمر؛ لأنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس، ولا من عبد القيس، وأزد عمان؛ لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن؛ لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وأهل الطائف؛ لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم. ولا من حاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتهم.

فسكان البراري وسكان المناطق التي كانت تجاور الأمم الأخرى اللغات الأخرى غير العربية لم يأخذ عنهم علماء اللغة العربية ، وذلك خشية انحراف ألسنتهم بل ذهبوا وسط شبه الجزيرة العربية ، وكانت فصاحة القبائل ترتكز على دعامتين :

الدعامة الأولى : مكة وما جاورها هؤلاء هم أهل الفصاحة.

وانتقلت هذه الظاهرة إلى البلاد المجاورة للفرس وهم العراقيون.

الدعامة الثانية : وهي التوغل في البداوة ، وقد كان مُقَعِّدُو اللغة الذين نقلوا اللغة كانوا لا ينقلون عن المناطق المتطرفة سكان البراري المخالطين للأمم المجاورة ، لماذا؟ لأن المجاورين هنا للأمم الأخرى ، الذين يسكنون في أطراف شبه الجزيرة العربية انحرفت ألسنتهم ؛ لمجاورتهم هذه اللغات الأخرى.

تحول اللهجة إلى اللغة

عناصر الدرس

تحـــول اللهجـــة إلى لغـــة

وعن تحول اللهجة إلى لغة: فإن اللهجة لا يفصل بينها وبين اللغة الفصحى سوى بعض الصفات الصوتية، وقليل من التغيير في بعض التراكيب وفي بعض المعاني. هذه الصفات الصوتية لا تبعد اللهجة عن أخواتها، فأنت تقول مثلًا: قال، وغيرك يقول: "جال" والبعض يقول: "آل" بلهجة القاهرة وكل هذه اللهجات لا تغير المعنى؛ عندما تستمع إلى "آل" كذا أو قال كذا أو جال كذا الثلاثة بمعنى واحد، هذه الانحرافات الصوتية هي انحرافات صوتيّة إذن لا يفصل بين اللهجة وبين اللغة المشتركة الفصحى سوى بعض الصفات الصوتية.

يعني مثلًا تفخيم، ترقيق، تحول صوت إلى صوت آخر، عندما نقول هنا في مصر مثلًا: التفخيم والترقيق قبيلة تفخم وقبيلة ترقق منطقة تفخم ومنطقة ترقق، منطقة تُميل ومنطقة لا تميل. عائشة أو فاطِمَة.

أيضًا هناك تغيير في بعض المعاني بين اللهجات العربية، وقليل من التغيير في بعض المعاني، عندنا في بعض المعاني في اللهجات مثلًا في السدفة: السدفة عند قيس بمعنى الضوء، والسدفة عند تميم بمعنى الظلمة، يقول شاعر تميم:

وأقطع الليل إذا ما أسدفا ❖ ....

أي: إذا ما أظلم، وقبيلة قيس تطلق السدفة على الضوء هذا الضوء وهذه الظلمة بعض المعاني، إنما لو كثرت الاختلافات في المعاني؛ تنقسم اللغة إلى لهجات.

أيضًا هناك اختلاف بين اللهجات العربية في بعض التراكيب مثلًا الاختلاف في الإعراب موجود أيضًا، ولكنه قليل في بعض المعاني.

أما الاختلافات الصوتية: فلو كثرت أيضًا فلا ضير على اللغة العربية من هذه الاختلافات الصوتية؛ لأن المعنى لا يختلف عندما ينطق السوري وينطق المصري وينطق العراقي المعنى واحد. صحيح هناك بعض الاختلافات الصوتية، ولكن المعنى لا يتغير.

إذن: لتحول اللهجة إلى لغة نقول: إن اللهجات العربية لا يفصل بينها وبين اللغة المشتركة الفصحى سوى بعض الصفات الصوتية، وقليل من التغيير في بعض التراكيب، وفي بعض المعاني. هذه التغييرات لا تغير المعاني، إنما إذا تغيرت المعاني وتغيرت التراكيب أصبحت اللهجة لغة؛ فعندنا مثلًا في شبه الجزيرة العربية، أو في اللغة السامية الأم، اللغة السامية الأم تفرع منها اللهجة الآرمية التي أصبحت فيما بعد اللغة الآرمية، ثم تفرعت اللغة الآرمية إلى اللهجة السريانية، وانفصلت السريانية وأصبحت اللغة السريانية، فإذن إذا انفصلت اللغة، أو إذا كثرت الاختلافات، وقلت الظواهر المشتركة بين المتكلمين بهذه اللغة، فتنفصل اللهجة وتصبح لغة، تنفصل عن أخواتها، ويصبح لها معاجمها الخاصة، ويصبح لها قواعد خاصة بهذه اللهجة، وتنشأ معاجم لهذه اللهجة، وتصبح لغة وتنفصل عن لهجاتها، وبالتالي يتعسر الاتصال بين المتكلمين بهذه اللهجة، وبين المتكلمين بأخواتها من اللهجات العربية الأخرى.

بعد ذلك إذا انفصلت اللهجة عن غيرها من اللهجات المتحدة معها في الانتماء اللغة الأم؛ تعسر التفاهم بين أفراد اللغة الواحدة، وبيئة اللهجة وأيضًا؛ لأن اللهجة عبارة عن جزء من بيئة أوسع -يعني بيئة اللهجة عبارة عن جزء من بيئة

أوسع وأشمل، تضم عدة لهجات- لكل لهجة خصائصها، فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة العام والخاص؛ فالعام يعني اللغة تشتمل على أكثر من لهجة، والخاص اللهجة؛ لأن اللهجة جزء من اللغة، فاللغة تشمل أكثر من لهجة.

السمات والخصائص التي تتميز بها اللهجة تكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها. نريد أن نُعَرِّفَ اللهجة؟ اللهجة: هي عبارة عن مجموعة من الصفات الصوتية في بيئة معينة يتكلم بها أفراد هذه، أي: تمسك أفراد هذه البيئة. هناك بعض العلماء قال: اللهجة مجموعة من الصفات اللغوية في بيئة معينة يتمسك بها أفراد هذه البيئة، الذين قالوا: بأن اللهجة مجموعة من الصفات الصوتية، عرَّفوا اللهجة باعتبار ما ينبغي أن تكون عليه اللهجة، يعني اللهجة ينبغي ألا تتعدى الصفات الصوتية؛ لأن اللهجة لو تعدت الصفات الصوتية إلى التراكيب وإلى المعاني، وكثرت هذه الاختلافات الخاصة بالتراكيب؛ أصبح للهجة قواعدها الخاصة يعني قواعد الإعراب؛ وما دام اختلف الإعراب اختلفت اللهجة عن أختها، وأصبحت لغة.

وإذا كثرت الاختلافات من حيث الدلالة -ومن حيث المعنى أيضًا- يصبح للهجة معاجمها الخاصة بها، انغلقت المعاني وتعسر التفاهم بين الأفراد الناطقين باللهجات المختلفة في اللغة الواحدة؛ تقول مثلًا: المعهد الثانوي بالثاء، وغيرك يقول: السانوي بالسين، أنت مثلًا تقول: قال، وغيرك يقول: "آل"، وغيرهما يقول: جال، المعنى لم يختلف، وهذه خلافات صوتية. وهذه الخلافات الصوتية لا تؤدي إلى أن تصبح اللهجة لغة، أما إذا كثرت الخلافات من حيث المعنى، ومن حيث التراكيب فهذا هو العيب الذي يؤدي إلى أن تصبح اللهجة لغة.

أما الذين عرَّفوا اللهجة: بأنها مجموعة من الصفات اللغوية في بيئةٍ معينة يتمسك بها أفراد هذه البيئة؛ فاللغة أربعة مستويات: مستوى صوتي، ومستوى صرفي، ومستوى نحوي، ومستوى دلالي، أما الخلافات الأخرى مثلًا في البنية، أو الخلافات مثلًا في النواحي التركيبية في النحو، في الإعراب، الانحرافات في المعنى ستؤدي إلى انغلاق المعنى؛ وأن تصبح اللهجة لغة، ويتعسر التفاهم بين أصحاب اللغة الواحدة.

ونحن نعرف اللهجة: بأنها مجموعة من الصفات الصوتية، وهذا تعريف باعتبار ما ينبغي أن تكون عليه اللهجة. واللهجة أيضًا مجموعة من الصفات اللغوية. وهذا باعتبار الواقع؛ لأنه في الخلافات بين اللهجات يوجد خلاف في المعنى، وخلاف في التراكيب، وخلاف أيضًا في الناحية الصرفية، موجود أيضًا خلافات من حيث الأصوات، لو بحثنا من حيث الواقع؛ نجد أن هناك خلافات من حيث الأصوات ومن حيث الصرف.

من حيث الأصوات فهناك خلافات صوتية من حيث البنية مثلا: مدين ومديون بنية الكلمة نسج الكلمة حركاتها وسكناتها، فعل وأفعل؛ قبيلة تقول: فتن وقبيلة تقول: أفتن، قبيلة تقول: حزن وقبيلة تقول: أحزن كل قبيلة لها لهجة خاصة بها هذه هي الخلافات في البنية.

كما أن هناك خلافات من حيث المعنى؛ مثلًا السدفة، السدفة بمعنى الضوء وبمعنى الظلمة.

عندنا مثلًا كما قلنا قبل ذلك في المشترك اللفظي والتضاد والترادف؛ ترادف مثلًا كلمة البر والحنطة والقمح، القمح لهجة شامية، البر حجازية، الحنطة كوفية، كل منطقة لها لفظ خاص بها، وهذا خلاف من حيث الألفاظ، يعني كثرت

الألفاظ والمعنى واحد، طبعًا هذه خلافات موجودة بين القبائل وبين المناطق العربية.

إذن إذا عرفنا اللهجة بأنها مجموعة من الظواهر أو الصفات اللغوية، يعني أنها تشمل الصفات اللغوية؛ تشمل الأصوات، وتشمل الصرف، وتشمل النحو، وتشمل الدلالة، هذا التعريف باعتبار الواقع فعلًا، فالذين يعرفون اللهجة بأنها مجموعة من الصفات اللغوية يعرفونها باعتبار ما هو واقع اللهجة.

أما الذين قالوا: مجموعة من الصفات الصوتية، فهذا تعريف للهجة باعتبار ما ينبغي أن تكون عليه اللهجة؛ لأن اللهجة لا ينبغي أن تتعدى الخلافات الصوتية إلى غيرها من الخلافات، أيضًا السمات والخصائص التي تتميز بها اللهجة تكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها. وهي لا تنحصر في هذه الأصوات فقط، ولكن هناك خلافات في الدلالة، وهناك خلافات في التراكيب؛ والنحو والإعراب. وهناك خلافات في الصرف؛ في بنية الكلمة ونسجها، إنما نقول: تكاد، أي: أنها قليلة في اللهجات العربية، إنما إذا كثرت الخلافات غير الخلافات الصوتية انفصلت اللهجة عن لغتها وأصبحت لغة، ولذلك لا خوف على اللغة من الخلافات الصوتية، تميم تقول في "أن": "عن" كما قلنا التي تسمى: العنعنة، وهزيل تقول في "حتى": "عتى"، تسمى: الفحفحة. وعقيل تفتح الأصوات الحلقية إذا انفتح ما قبلها في الاسم، فتقول في جَهْرَة: جَهَرَة، وفي زَهْرة: زَهَرة. وهزيل تفتح الياء والواو في مثل بيْضات وجوْزات، يقولون: بيَضات وجوَزات، فهذه خلافات صوتية.

إذن السمات والخصائص التي تتميز بها اللهجة تكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها.

الصفات التي تفرق بين لهجات لغة واحدة

تناولنا -فيما سبق- الصفات الصوتية التي تفرِّق بين لهجات اللغة الواحدة والصفات الأخرى، الصفات البنيوية والتركيبية، والصفات الخاصة أو السمات الخاصة بالدَّلالة.

من الصفات الصوتية أو السمات الصوتية للقبائل العربية؛ فعندنا قريش تقول في: ﴿ صِرَٰطَ ﴾ [الفاتحة: ٧] بالصاد، وعامة العرب يقولون: "سراط" بالسين وعندنا في القراءات القرآنية في قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ﴾، في سورة الفاتحة تُقرأ "السراط" بالسين، و"الصراط" بالصاد؛ تأثرًا بصوت الطاء، يعني: قلب السين صادًا؛ تأثرًا بصوت الطاء، لأن السين غير مرققة، والطاء مفخمة من أصوات الإطباق وهي أعلى درجات الاستعلاء، فتأثرت السين بالطاء، فقلبت السين صادًا، والنطق بالكلمة على أصلها "سراط" بالسين على الأصل..

في قاعدة "الاقتضاب" للبطليوسي يقول: إذا وجدنا كلمةً تنطق بالسين وتنطق بالصاد اختلفت السين والصاد في الكلمة؛ فيجوز نطقها بالسين ويجوز نطقها بالصاد، يقول: فأعتقد أن السين هي الأصل لماذا؟ لأن الحرف الأضعف هو الذي يتأثر بالقوى، فهنا السين تأثرت بالأقوى هو صوت الطاء، فقلبت السين صادًا؛ لتوائم الطاء في الإطباق، وهذا يسمى بالتوائم الصوتي. وهذه الظاهرة موجودة في اللغة العربية؛ فقريش تقول: ﴿ صِرَٰطَ ﴾ لأنها وائمت بين الصاد والطاء، وهذا يسمى التوائم الصوتي، أما عامة العرب فقالوا: "سراط" بالسين، وهذه لهجة وتلك لهجة أخرى، والمعنَى واحد.

أيضًا قريش تقول: ﴿ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]. الخلافات الصوتية بفتح النون، وبهراء تقول: "نِسْتَعِينُ". وتسمى هذه اللهجة تلتلة، وتنسب إلى قبيلة بهراء، إنما سرت عدوى كسر حروف المضارعة من قبيلة بهراء إلى العرب قاطبةً ما عدا الحجازيين،

قد ترجع سمات اللهجة إلى البنية. فبنو أسد يقولون في مؤنث: سكران سكرانة، وفي مؤنث غضبان يقولون فيه: غضبانة، لكن في العربية الفصحى عندما نؤنث سكران، نقول: سكرى. وفي غضبان نقول: غضبى. هذه الخلافات من حيث البنية كثيرة موجودة في القبائل العربية، مع اتفاق المعنى.

أيضًا الخلافات من حيث البنية المد والقصر تطويل البنية وقصرها أيضًا موجود في القبائل العربية، مثل: مَدِين ومَدْيُون، التميميون يقولون: مديون، الحجازيون يقولون: مدين.

أيضًا قد ترجع الخلافات بين القبائل العربية إلى الدلالة؛ فقَيْس تقول لفظ السدفة على الضوء، بينما تطلقه تَميم على الظلمة، وسجد في لغة عامة العرب: وضَعَ جبهته على الأرض، بينما هو في لهجة طيء بمعنى: انتصب، والرزق في لغة عامة العرب اسم للشيء المرزوق، وهو كل ما ينتفع به، بينما في لهجة أزد شنوءة بمعنى: الشكر، وبه فسر قوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٢] أي: شكركم، ولكن ينبغي أن تكون تلك السمات الخاصة بالمعنى والبنية، قليلة جدًّا؛ لأنه إذا كثرت الخلافات في البنية والدلالة، تباعدت اللهجات بعضها عن بعضها الآخر، وبمرور الزمن تستقل كل لهجة عن الأخرى، وتصبح لها قواعدها الخاصة بها، ودلالتها المقصورة عليها؛ وعندئذ تصبح اللهجة لغة.

وهذا ما حدث للهجات السامية السليلة من اللغة السامية الأم عندما كثرت تلك الخلافات، وبمرور الزمن، استقلت هذه اللهجات وأضحت لغاتٍ؛ فاللغة السامية حينئذٍ تسمى لغة أصلية أو لغة أم، وهي اللغة التي انحدرت منها عدة لغات، واللغة المنحدرة تسمى لغة سليلة، وقد تصبح اللغة السليلة لغة أمًّا كما هو الحال في اللغة الآرامية، فقد انحدرت الآرامية من السامية، والسامية لغة أم، ثم انحدر عن الآرامية اللهجة السريانية، ثم اكتمل كيان السريانية بمرور الزمن وأصبحت لغة مستقلة بعد أن كانت لهجة من لهجات الآرامية.

واللغة خارج وطنها تسمَّى لغة خارجية، وهي التي تجمع بين خصائص عائلتين لغويتين؛ نتيجة انسلاخها عن عائلتها الأصلية؛ لبعدها عن مركز هذه العائلة، ولاحتكاك أهلها بِشَعْبٍ يتكلم لغة أخرى تنتمي إلى عائلة لغوية.

الصراع اللغوي

عناصر الدرس

الصراع اللغوي؛ أسبابه، ونتائجه

الصراع اللغوي:

هو ذلك التنافس بين لغتين أو أكثر للهيمنة في مجتمعٍ ما، وتختلف نتائج الصراع وآثاره تبعًا لنوع العامل ومداه، يعني: أنه إذا كان هناك صراع بين لغتين في مجتمع ما، تختلف نتائج الصراع وآثار هذا الصراع تبعًا لنوع العامل ومَداه؛ فهناك عوامل للصراع اللغوي. الصراع اللغوي نتيجة مثلًا حرب. الصراع اللغوي نتيجة تجاور. الصراع اللغوي نتيجة هجرة. تماس لغوي بين لغتين أو أكثر؛ قد يكون الصراع مثلًا قويًّا، قد يكون الصراع ضعيفًا؛ فآثار الصراع تختلف باعتبار القوة والضعف.

فكثيرًا ما يحدث احتكاك لغوي بين لغتين أو أكثر عن طريق الحرب، أو التجارة، أو السياحة، أو التجاور الجغرافي، وتتقارع اللغتان وتتصارعان، وعندما تخمد نار الصراع وتخبو، وتضع الحرب أوزارها؛ إما أن تظفر إحدى اللغتين بالأخرى وتنتصر عليها، إلا أنها تتأثر بها، أو أن تتكافئَا، فلا تستطيع إحداهما القضاء على الأخرى، وعندئذ تترك كل لغة آثارًا في نظيرتها، فتتقاسم اللغتان التأثير والتأثر.

يقول "فندريس": إن تطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي، يعد أمرًا مثاليًّا لا يكاد يتحقق في أية لغة، بل على العكس من ذلك، فإن الأثر الذي يقع على لغة من لغات مجاورة لها، كثيرًا ما يلعب دورًا هامًّا في التطور اللغوي، تطور اللغة أي انقسامها إلى لهجات.

وفي التاريخ ما يؤيد ذلك: فقد غزا العرب جهاتٍ كثيرةً، وأعلى اللهُ العربيةَ على غيرها من اللغات، وأظفرها على كثير منها، واستطاعت العربية أن تصرع تلك اللغات في مَهْدها، وأن تحل محلها؛ فقد تغلبت اللغة العربية على الآرامية في العراق وفي الشام، وعلى الفارسية في بعض الأماكن التي كان خاضعة لمملكة فارس القديمة، وعلى القِبطية في مصر، وعلى البربرية في شمال أفريقيا، وحلت محل تلك اللغات.

وذلك لأسباب عدة:

أولًا: السبب الديني: لأنها اللغة العربية لغة القرآن الكريم، والإسلام والرسول ﷺ فتعانقت مع القلوب، واستولت على المشاعر واستمالت الأبصار.

ثانيًا: السبب السياسي: وهو أن اللغة العربية كانت لغة الحكام المنتصرين.

ثالثًا: السبب الشعبي: وهي لغة خصبةٌ بالناطقين بها، أي: أنها أكثر الناطقين بهذه اللغة فهي غنية بروائع أساليبها؛ ولذلك كان هذا السبب الشعبي أيضًا من أسباب تغلب اللغة العربية.

رابعًا: السبب اللغوي: وهي لغة راقية، غنية بأساليبها خصبة بمفرداتها، وجموعها، وثرية بجمال دلالاتها وإيجازها، زاخرة بصيغها واشتقاقاتها، ناطقة بكمال إعرابها، كاشفة عن مرونتها، ومواكبتها الحضارات في يومها، وفي غَدِهَا. فهذا عن طريق الكناية، وذاك عن طريق الاستعارة، وذاك عن طريق التورية، وما إلى ذلك، وخصبة بالمفردات فللمعنى الواحد أكثر من مفردة، عندما نقول: قمح وحنطة وبُر، عندما نقول: يد وساعد، هذا يجعل اللغة العربية غنية في ثروتها، وتكاثر هذه المفردات سبب من أسباب تغلب اللغة العربية.

أيضًا الجموع الكثيرة: جمع قلة، وجمع كثرة، وجمع مذكر، وجمع مؤنث إلى آخره. فهذه اللغة غنية بهذه الجموع، الإعراب الكامل غير موجود إلا في اللغة العربية، وهذا من مميزات اللغة العربية. الأسلوب الواحد. نجد مثلًا عندما يقول إنسان: أنا قاتلُ فلان، غَيْرَ المعنى الذي يقول: أنا قاتلٌ فلانًا، فقاتلٌ بالتنوين تهديد. أما عندما يقول: أنا قاتلُ فلان فهذا على اعتبار الماضي فكأنه فعل هذا الفعل. وهكذا يتغير المعنى بتغير الإعراب.

أيضًا هذا الصراع اللغوي يختلف في نتائجه وآثاره تبعًا لشدته أو ضعفه، فإذا كان الغزاةُ كَثْرة، وأعقبهم هجرات من الشعب الغازي إلى البلاد المغزوة، يبحثون فيها عن موارد الرزق المختلفة؛ فإن الطبقة العليا -وهي طبقة الحكام- ستكون من الغزاة أو من الفاتحين. والطبقة الوسطى من تجار وصناع وغيرهم، سيتكونان من الغزاة. أما الطبقة الدنيا من المجتمع: فستكون من أصحاب البلاد الأصليين، وهم الذين هُزموا وغُلِبوا على أمرهم، وضعفوا، ومن عادة الضعيف أن يقلد القوي، ومن عادة المحكوم أن يقلد الحاكم؛ ومن ثم لا تمكث اللغة المغزوة وقتًا طويلًا حتى تنهزِمَ، ولكنها مع انهزامها تُؤثِّر في اللغة الغازية.

مثال ذلك: غزو الأنجلوسكسون لبلاد الإنجليز، وهذا كان قديمًا حيث قضت اللغة الغازية الإنجليزية على اللغة الكلتية المغزوة، إلا أن "الكِلتية" تركت بعض الآثار في اللغة الإنجليزية الغازية. ومثال ذلك أيضًا: الفتح الإسلامي لمصر مثلًا، حيث قضت اللغة العربية -لغة الفاتحين- على اللغة القبطية في مصر مثلًا، بما هيأ الله لها من أسباب النصر؛ إلا أن العربية تأثرت بالقبطية، وبخاصة في المفردات.

ومن الكلمات القبطية التي لا تزال مستعملة في العامية المصرية إلى اليوم كلمات: طوب، كلمة قبطية ومعناها بالقبطية: حجر، وكلمة مِيْت ومعناها: ريف،

نقول: ميت عقبة، ميت أبو الكوم، ميت غمر، ميت كذا، ولذلك لا يصح لنا أن نقول: قرية ميت أبو الكوم؛ لأن معنى "ميت" هي قرية، ودخلت اللغة العربية؛ رغم أن اللغة القبطية هُزِمَت وغُلِبَت؛ ولكن مع انهزامها تركت آثارًا في اللغة العربية، وهذه المفردات دليل على تأثر اللغة العربية باللغة القبطية.

أيضًا من الألفاظ القبطية: كلمة "بولاق" ومعناها: شاطئ النهر أو جزيرة، نقول عندنا في مصر: بولاق الدكرور وكلمة: شُونة، موجودة في اللغة العربية ومعناها: مخزن، مقتبسة من اللغة القبطية، وكلمة: زلط ومعناها: حَجر أملس، ومن أراد أن يطلع على كثير من الكلمات هذه، فليرجِعْ إلى تاريخ اللغات السامية لـ (إسرائيل ول فنسون) الطبعة الأولى صـ٢٢٢.

وكلمة قطن، وهو نبت زراعي، من أراد أن يطلع أيضًا على كثير من الكلمات فلينظر إلى (غرائب اللغة العربية) لـ رافائيل نخلة اليسوعي الطبعة الرابعة ٢٨٥. وكلمة: "تاتا" كلمة مصرية قديمة ومعناها: امشي. كلمة: "بخ" بمعنى: شيطان، كلمة ترخ كلمة قبطية، كلمة المدمس -الفول المدمس- أصلها المتمس بمعنى: الفول المطبوخ في الفرن، كلمة البيصارة أصلها: بيصورة، وهي أيضًا قبطية. كذلك كلمة: "ياما" أيضًا قبطية ومعناها: كثير. كلمة "عنتيل" قبطية، ومعناها: قوي، نقول: فلان عنتيل، يعني: قوي، كلمة "باش الخبز" أي: تبلل. كلمة أيضًا قبطية، ودخلت في اللغة العربية.

ونقول: فلانٌ لايص أي: وقع في الوحل، وكلمة شبرا ومعناها: الحقل، ويُقال: شبرا منت، وكلمة "منيا" التي تسبق أسماء البلاد معناها بالقبطية: محطة، كمنيا القمح، ومنيا... إلى آخره. هذه الألفاظ كلها ألفاظ قبطية. مثل: الفوطة،

والفأس، والماجور، والمنشة، والزباطة، هذه الألفاظ كلها ألفاظ قبطية دخلت اللغة العربية.

ومن أراد أن يكثر من هذه الألفاظ؛ فليرجع إلى (علم اللغة) للدكتور علي عبد الواحد وافي، الطبعة السابعة، نقلًا عن كتاب (آثار حضارة الفراعنة في حياتنا) للأستاذ محرم كمال.

كما تركت الآرامية آثارًا في عربية الشام رغم أنها انهزمت وانكسرت أمام العربية، إلا أنها تركت آثارًا في عربية الشام؛ عندما فتح العرب بلاد الشام والعراقَيْن -عراق العرب وعراق العجم؛ لأن العراق يسمى عراق العرب، وعراق العجم- حيث دخلت العربية كثير من الكلمات الآرامية، وبخاصة المختصة بالزراعة؛ وذلك لأن الأعراب كانوا يحتقرون الزراعة، فضلًا عن كون بلادهم الأصلية -أي: شبه جزيرة العرب- فقيرة جدًّا بالحيوانات.

يقول الدكتور جواد علي في كتابه (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام): وكراهة العرب للزراعة، كراهية نشأت من عدم توافر الماء والأرض لأكثر الناس؛ فصاروا يكرهونها، والآراميون هم الذين غرسوا النخل في تلك البلاد. هذا طبعًا من مرجع (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) أو (تاريخ العرب قبل الإسلام) لجواد علي، الطبعة الأولى الجزء السابع صفحة ٢٧.

فمن الكلمات الآرامية التي دخلت اللغة العربية -رغم انهزام الآرامية- كلمة: بِذر أو بَذَر، وأيضًا حصد، وداسَ؛ لأن كل هذه الكلمات متصلة بالزراعة: حصد الزرع، داس الحِنطة، مثلًا: بِطيخ من الآرامية، بعير كلمة آرامية، تِبن كلمة آرامية، توت كلمة آرامية أيضًا: تين، ثوم، جرجير، خوخ، شتلة، سعتر، فجل، فحل، فرع، فل، كبش، كراث، كرفس، كزبرة، كمثرى،

كُنَاشة، كانون، لبلاب، لوف، لبنة، تمساح، خُص، مدماك، مرج، نعناع، ناقوس، نورج، يم. هذه الكلمات كلها كلمات آرامية دخلت اللغة العربية.

ومن أراد الإكثار من هذه، فلينظر إلى (غرائب اللغة العربية) لرافائيل نخلة اليسوعي، من صفحة ١٧٠إلى ٢١٠.

واللغة البربرية رغم انهزامها في بلاد المغرب أيضًا، ولكنها تركت آثارًا في اللغة العربية.

أما إذا كان الغزاة قلة؛ فإنه بمرور الوقت، ستذوب لغتهم في لغة أصحاب البلاد المغزوة، وفي هذه الحال فإن اللغة المغزوة ستتأثر باللغة الغازية رغم تغلبها عليها، ومثال ذلك: غزو النورمانديين لانجلترا في القرن الحادي عشر؛ حيث تغلبت اللغة الإنجليزية على لغة الغزاة النورمانديين، ومع ذلك تركت النورماندية الفرنسية آثارًا في اللغة الإنجليزية، واللغة العربية لم تقوَ على الانتصار في بلاد فارس؛ فأطلق اسم إيران على بلاد فارس منذ عام ١٩٣٥ ميلاديًّا، التي فتحها العرب في خلافة عمر بن الخطاب > سنة ١٦ هجرية، فلم تقوَ اللغة العربية على الانتصار -في بلاد فارس- على اللغة الفارسية على الرغم من فتح العرب لبلاد الفارس وبقائها تحت سلطانهم أمدًا طويلًا؛ وذلك لأن الشعب العربي لم يكن إذ ذاك أرقى حضارةً من الشعب الفارسي، ولقلة عدد الجالية العربية بفارس، وضعف امتزاجها بالسكان، ولانتماء اللغتين إلى فصيلتين مختلفتين؛ فالعربية من الفصيلة السامية والفارسية من الفصيلة الهندية الأوروبية. هذا سبب عدم تغلب العربية على الانتصار في بلاد فارس.

أما بلاد العراق والشام، فاللغة العربية واللغة الآرامية فصيلة واحدة والعربية قضت على الآرامية ولكن ليس قضاء كليًّا، فالآن بعض اللهجات من الآرامية -

السريانية- موجودة في قرية قربَ دِمشق تسمى قرية "معلولة". لماذا قضت عليها العربية؟ لأن اللغة الآرامية لغة المَسيحيين، واللغة إذا كانت تستند إلى دين، فإن هذه اللغة تقوى، ولذلك فإن اللغة العربية لما استندت إلى الدين الإسلامي؛ تغلبت على بقية اللغات الأخرى كالآرامية والعبرية، والفينيقية.

تأثر اللغة بعضها ببعض

وعن صراع اللغة العربية مع اللغة الفارسية؛ فقد تركت كل لغة من اللغتين آثارًا في اللغة الأخرى، فنجد في العربية كلمات فارسية دخلت العربية، وعُرِّبَتْ مثل كلمة إبريق، وأصلها في الفارسية: آبريز، وآبريز مركبة من كلمتين، ونحن نعرف أن اللغة العربية تكاد تخلو من الكلمات المركبة، أما اللغة الفارسية، فالتركيب موجود فيها بكثرة.

عندنا أيضًا من الآثار التي دخلت، أو من الكلمات التي دخلت اللغة العربية وعُرِّبَتْ كلمة: إستبرق، وأصلها: استبرج، وكلمة دِهليز، وأصلها بالفارسية دَهليز بفتح الدال عُرِّبَتْ عندنا في اللغة العربية إلى دِهليز، لماذا؟ لأن صيغة فعلول نادرة في لغة العرب، فعُرِّبَتْ إلى دهليز على وزن: فعليل، وعندنا أيضًا دستور كانت في الفارسية دستور بفتح الدال، ووجدنا أن صيغة فعلول نادرة أيضًا في لغة العرب، فعُرِّبَتْ إلى دستور بضمّ الدال.

أيضًا من الكلمات التي دخلت العربية وأصلها فارسي، وعُرِّبَتْ كلمة ديباج، وأصلها ديبا، فدخلت اللغة العربية وعُرِّبَتْ بزيادة حرف على حروفها فعُرِّبَتْ إلى ديباج. أيضًا كلمة سُرَادق، وأصلها سُرَاد أيضًا عُرِّبَتْ بزيادة حرف. وكلمة

فستق من الفارسية، وأصلها في الفارسية بسته بالباء الثقيلة بسته، وهذه الباء لا توجد في اللغة العربية، فعُرِّبَتْ إلى فستق بالفاء وهو قريب منها، وكلمة كنز وأصلها في الفارسية كلج، بالكاف الفارسية. وكلمة نموذج وأصلها نموذه، وكلمة هندسة وأصلها إندازه، كما نجد في المقابل كلمات عربية دخلت الفارسية وفُرِّسَتْ، وهذا طبعًا أثر من آثار العربية في اللغة الفارسية، مثل كلمة: حصار، حصن، حق، حامي، احتياج، حال، حالًا، خوارج، عقوبة، علامة، علم، غازي، غارة، قتل، مقدمة، قوم، مملكة، هلاك. هذه الكلمات نلاحظ أن أكثر هذه الكلمات لا يوجد فيها حرف الحاء، لا يوجد حرف الحاء في اللغة الفارسية، وهذه الكلمات أكثرها موجود فيها حرف الحاء حصن، حق، حامي، احتياج، حال. كيف ينطق به الفرس؛ لأن حرف الحاء لا يوجد في اللغة الفارسية.

الكلمات التي بها حرف الحاء وعربية وفُرِّسَتْ، الإيرانيّون ينطقون حرفَ الحاء هاء يقولون: في حصار هصار، وفي حصن هصن، وفي حق هق، وفي حامي هامي، وفي احتياج اهتياج، وفي حال هال، ويقولون في موسم الحج عن حرم هرم، نعرف أنه أنه إيراني فارسي.

لكن اللغة العربية لم تقوَ على الانتصار على اللغات الإسبانية، لماذا؟ على الرغم من فتح العرب للأندلس، وبقائها تحت سلطانهم نحو سبعة قرون، وذلك لانتماء العربية إلى فصيلة غير فصيلة اللغات الإسبانية، ولعدم امتزاج الشعوب القوطية بالشعب العربي، ومع ذلك فقد تركت اللغة العربية آثارًا قوية في الإسبانية هذه الآثار نجدها في الكلمات الآتية، الكلمات الإسبانية المقتبسة من اللغة العربية نجدها في ما يأتي: البحيرة، البردعة، البركة، البشارة، البقية، البلاغ، البناء، البيض، تابوت، الجب، الجعبة، الحجام، الحركة، الحصان، الْحَلْبَة، الحنطة،

الخرج، الخرشوف، الخزانة، مخاطرة، الخنجر، الخياط، دف، دليل، رهن، زيت، زيتونة، الساقية، مسكين، سلام، صوت، شرف، الضبه، الضيعة، طبل، طاحونة، مطرقة، مضمورة، العربية، العارضة، العضو، العقرب، الغار، الفارس، الفقيه، فلان، القصر، القاضي، القفص، القنطرة، القائد، الكروان، الكنية، اللوز، مملوك، الماء، منديل، النيل، الوزير، الوصي، هذه الكلمات موجودة في (غرائب اللغة العربية) لرفائيل نخلة اليسوعي، بتصرف وإيجاز.

هذه الكلمات إسلامية مقتبسة من اللغة العربية، وهذه من آثار اللغة العربية في اللغة الإسبانية، كما أثرت الإسبانية في اللغة العربية، فاقتبست العربية بعض الكلمات الإسبانية مثل: كلمات: بطاطا، تبغ، تنباك، ريال، هذه الكلمات في المرجع السابق في "غرائب اللغة العربية".

الصراع اللغوي بين اللغة العربية واللغة التركية ورغم عدم تغلب إحدى اللغتين على الأخرى، إلا أن كلًّا منهما قد تأثر بالأخرى.

أما الصراع اللغوي نتيجة هجرات؛ طلبًا للرزق، وبحثًا عن سبل العيش، فمثاله هجرة الساميين إلى العراق، إلى بابل في القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد؛ حيث قضت اللغة السامية على لغة السومariين أو الشوماريين الذين كانوا يسكنون في هذه البلاد بعد صراع معها إلا أنها تأثرت بالسومارية أو الشومارية في المفردات، وأيضًا التوسع في أزمنة الفعل، وإهمال بعض الحروف الأبجدية السامية، وتحريف الألفاظ؛ نتيجةً لنطق السُّكّان الأصليين بهذه الألفاظ.

مثال الصراع اللغوي نتيجة الجوار بين اللغات، وتأثير بعضها في بعض اللغة الروسية واللغات المجاورة لها في البقاع الأسيوية؛ حيث قضت اللغة الروسية على

غيرها من اللغات المجاورة، وذلك نتيجة لتأثير النفوذ الروسي على حياة هذه الشعوب، ومثال صراع اللغتين المتجاورتين أيضًا اللغة العربية واللغة النوبية، بعد تهجير النوبيين إلى أراضيهم بشمال أسوان، ومع مرور الزمن فإن الصراع اللغوي بين العربية في صعيد مصر وبين اللغة النوبية سيؤدّي إلى ظهور لهجات؛ نتيجة هذا الصراع. ومثال الصراع اللغوي نتيجة السياحة ما حدث بين اللغة العربية ولغات السائحين في لبنان، ونشأة اللهجة اللبنانية متأثرة بلغات السائحين، وإن تدفق السياح في جمهوريتنا مصر العربية للتنزّه، أو للاستطلاع، والبحث لَتوطئة صراعٍ لغوي سيؤدّي مع مرور الزمن إلى ظهور لهجات جديدة، واقتباس مفردات من لغات السُّيَّاح الوافدين إلينا من الأصقاع الأوربية وغيرها.

أيضًا في مصر هناك صراعٌ لغوي لغة السياح، واللغة العربية، سيؤدي مع مرور الزمن إلى ظهور لهجات جديدة، واقتباس مفردات من لغات السياح الوافدين إلينا من الأصقاع الأوربية وغيرها.

ومثال الصراع اللغوي نتيجة للزيارة، أو الحج، أو العمل ما نلحظه في لهجة المدينة المنورة؛ حيث التقت في المدينة الأمم، وتعارفت في صعيدها الشعوب، وتواصلت في جوانبها الألسنة، ترك ذلك آثارًا ما زالت ملامحها في لهجة المدينة المنورة حتى الآن، فممّا اقتبسته لهجة المدينة المنورة من ألفاظ فارسية؛ نتيجة لالتقاء الحجاج، أو العمل. مثلًا كلمة: أسطوانة، والأسطوانة هي "الأنبوبة" بلهجة القاهرة، يقولون: أسطوانة غاز، أسطوانة هذه كلمة فارسية، وأيضًا كلمة بستان كلمة فارسية وعُرِّبَتْ، وهذه الكلمة مركّبة من "بـُ" أي: رائحة "ستان" أي: محل، أيضًا كلمة "باذنجان"، يقولون في باذنجان، وفي بعض الأحيان

يكتفون بالأسود، فإذا قلت لهم: الأسود، فالمقصود هو الباذنجان، وأصله في الفارسية باذنكان، أيضًا كلمة بنجرة، أصلها في الفارسية بنجرة يعني: نافذة، أو كل شباك مشبك.

أيضًا جزر، الجزر معروف: الرومة التي تؤكل مأخوذة من كزر، أو من كزر بكسرتين، فحرفت في لهجة المدينة إلى جزر، أيضًا حراج هو البيع بالمزاد، يقولون: حرج على كذا، هذه أيضًا كلمة فارسية، أيضًا خربز يطلقه أهل المدينة على البطيخ، فهذه أيضًا لهجة فارسية، وأصلها في الفارسية خربوز، أيضًا كلمة "دغري" أي: اذهب إلى الإمام، وأيضًا كلمة "زلابية" أي: بقلاوة باللهجة القاهرية، وهي كلمة فارسية لنوع من الفطائر، هذه الكلمة معربة عن زلابيبا، وهو عجين يُقلى بالسمن ثم يعقد بالدبس، أيضًا كلمة زنبيل، أي: كيس من البلاستيك، مأخوذة من الفارسية، أو مخلاج الدرويش فارسي، أيضًا شال: ثوب يوضع على الكتفين، أيضًا من الفارسية، شرشف: ملاة أصله بالفارسي جارشل، بمعنى ملاءة، صقر أيضًا من الفارسية، صندل: مشاية تلبس في رجل الإنسان فارسية أيضًا، كاسه أي: قدح، أو الكباية باللهجة القاهرية، وهي بالفارسية كاسه. هذه كلمات دخلت إلى اللغة العربية إلى لهجة المدينة المنورة.

هناك أيضًا كلمات آرامية دخلت لهجة المدينة المنورة العربية في لهجة المدينة كلمة سكين، وهي كلمة آرامية، كلمة قارورة أيضًا كلمة آرامية، كلمة فيلم، وأصله فِلِم، من الإنجليزية دخل إلى لهجة المدينة من الإنجليزية، أيضًا من الإسبانية كلمة: بطاطا المعروفة، كلمة ريال اسم نقد قديم من الإسبانية، وعُدّ بعد ذلك من التركية، ولذا نراه من توافق اللغات؛ لأن فيه اتفاق بين الإسبانية وبين التركية

في كلمة ريال، يعني: دخل الأول من الأسبانية، وعُدّ بعد ذلك من التركية، إما أن نقول: إن أصله من الإسبانية، أو نقول: إن فيه توافق بين الإسبانية، وبين التركية.

ومن الإيطالية كلمة زلطة أي: سلطة، وهي من المشهيّات المعروفة، أيضًا كلمة طاولة، وكلمة فاتورة، وأيضًا من الألفاظ التركية التي دخلت إلى لهجة المدينة أيضًا كلمة بوري، بوري يعني: مكبر الصوت هو البوق عند الجند من التركية، ومأخوذة من التركية، أيضًا كلمة تنورة أي: جونلة من الملابس، وهو ما يحيط بالجسم من الخصر إلى القدمين، أيضًا كلمة ريال قلنا: بأنها هي يعني: ممكن تكون مأخوذة من التركية، وممكن تكون مأخوذة من الإسبانية، أو من توافق اللغتين.

أيضًا كلمة شراب: لما يُلبس في القدم، هو الجورب، كلمة تركية، أيضًا كندرة أي: الحذاء، كندرة كلمة تركية مأخوذة عن اليونانية بمعنى: حذاء، أيضًا كلمة مريول أيضًا في لهجة المدينة المنورة أي: مريلة بلهجة القاهرة، ومن اليونانية سيرة، دخلت كلمة سيرة من اليونانية إلى لهجة المدينة المنورة، أو إلى عربية المدينة المنورة، كلمة سيره يعني: بمعنى صف أو طابور، وكلمة سيره يونانية، كلمة صف عربية، كلمة طابور تركية، إذن هنا ترادف سيره، صف، وطابور، ولذلك عندما نبحث في نشأت الترادف في اللغة العربية، نقول: من أسباب نشأة الترادف هو دخول كلمات غير عربية إلى اللغة العربية.

الترادف في اللغة العربية عندما نقول مثلًا: ذراع وساعد، أنف ومرصن، سكين ومدية، إلى آخره، انتظمت في العربية في سلك الترادف، أيضًا كلمة فندق من

اليونانية دخلت إلى لهجة المدينة، أيضًا من الصينية دخلت إلى لهجة المدينة "عربية المدينة" شاهي بمعنى: شاي، هو نبات من الصينية بواسطة التركية.

لهجة قريش وسيادتها

ونذكر في هذا المقام ظاهرة قوية يلحظها الباحث في صراع لهجات شبه الجزيرة العربية، واشتباكها قبل الإسلام؛ فكانت الواحدة من اللهجات تبتلع الأخرى أولًا، ثم يتكون من الاثنتين لهجة لم تكن موجودة من قبل، وهذه اللهجات الجديدة تمتزج بلهجة أخرى، وهكذا ظلّ هذا التدرج ينتقل في أزمنة طويلة.

أثناء الجاهلية كانت لهجات الشمال قبل الإسلام ذات سلطان قوي، ونفوذ واسع؛ فكانت تبتلع اللهجات الجنوبية ابتلاعًا، أي: أن لهجات الشمال كانت تبتلع لهجات الجنوب الواحدة تِلْوَ الأخرى. حتى أصبحت اللهجات الشمالية هي السائدة في أغلب أقاليم شبة الجزيرة العربية بعد أن التهمت أكثر اللهجات الجنوبية، وتغذّت بها.

وعلى هذا الدّرب استطاعت اللهجة القرشية -بعد اشتباكها مع غيرها من اللهجات في شبه الجزيرة العربية- أن تبقى، وتتغلّب على اللهجات الأخرى، وتخرج من ذلك الصراع قويةً بألفاظها، وأساليبها، ودلالاتها، عريقة بما للناطقين بها من مكانة، هذه المكانة كانت مكانة دينية سامية بين قبائل شبه الجزيرة العربية. أيضًا كانت هذه المكانة الدينية، والتي تبعها مكانة سياسية كانت سببًا في نزول القرآن الكريم بهذه اللهجة، بعد صراعها الطويل مع لهجات القبائل العربية.

اللهجات في شبه الجزيرة العربية كانت تتصارع؛ لهجات الشمال مع لهجات الجنوب، والتغلّب في النهاية كان يكون للهجات الشمال، كانت -كما يقول- إسرائيل ولفنسون في كتابه "تاريخ اللغات السامية": كانت لهجات الشمال تَلْتَهِمُ الواحدة تِلْوَ الأخرى.

العوامل التي أَدّت إلى تغلّب اللهجة القرشية:

١. العامل الأول والقوي في تغلب اللهجة القرشية على بقية اللهجات الأخرى: العامل الديني، أو النفوذ الديني؛ فقد كان القرشيون يعملون سدنة لبيت الله الحرام، ولذلك اكتسبوا مكانة دينية عند القبائل الأخرى في شبه الجزيرة العربية، كانت وفود العرب تأتيهم من جميع الجهات، ولذلك اكتسبوا مكانة دينية عند جميع القبائل في شبه الجزيرة العربية.

٢. أيضًا اكتسب القرشيون مكانة تجارية، كانوا يقومون برحلتي الشتاء والصيف، الشتاء لليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، فيجلبون البضاعة من اليمن، ومن الشام، ثم يوزعونها على القبائل في شبه الجزيرة العربية؛ فاكتسب القرشيون نفوذًا ثانيًا، وهو نفود التجارة عندنا نفوذ الاقتصاد، أو وزارة التموين.

٣. فالنفوذ التجاري أيضًا في شبه الجزيرة العربية كان نفوذًا قويًّا، نفوذ الاقتصاد والتجارة؛ لأن شبه الجزيرة العربية صحراء خالية، لا زرع فيها ولا ماء، فكانت التجارة تكتسب نفوذًا قويًّا.

هذا النفوذ الديني -الذي تكلمنا عنه- والنفوذ التجاري الذي كان للقرشيين بسبب رحلة الشتاء والصيف، أكسب القرشيين نفوذًا ثالثًا وهو نفوذ الحكم، نلمس ذلك عندما لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، واجتمع الأنصار

والمهاجرون في سقيفة بني ساعدة، وطمع الأنصار في الخلافة، فقال أبو بكر الصديق > قولته المشهورة: "لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، فلا تنفسوا على إخوانكم ما حباهم الله به من فضله".

إذن القرشيون كانوا يتمتعون بنفوذ الحكم أيضًا إذن سبب تغلّب اللغة القرشية على بقية اللهجات الأخرى بعد صراعها مع اللهجات الأخرى كان السبب الديني، ثم السبب التجاري ثم نفوذ الحكم.

وضمّ القرشيون إلى لهجتهم ما هي في مسيس الحاجة إليه من الألفاظ، والأساليب ما رَأَوْهُ أخفّ على ألسنتهم ضمّوه إلى لهجتهم، وما رأوه أيسر ضموه إلى لهجتهم، ولذلك ضمّت القرشية أفضل ما كان، وأحسن ما ينبغي، ومن أجل هذا تكلّم العرب بالقرشية، الجميع كانوا في الأسواق في الجاهلية، والأسواق في الجاهلية كانت مجنة، وعكاظ، وذو مجاز، وقد كانت الأسواق مجالًا من مجالات الثقافة عند العرب، ولذلك كانت القصائد تُلقى باللهجة القرشية، وكان الشعراء يتبارون في الإنشاد باللهجة القرشية، وكان الخطباء يخطبون باللهجة القرشية، وكان العامّة يتعدون عن اللهجة القرشية؛ لأنهم لا يستطيعون غير التكلم بصفات لهجاتهم القبلية: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٤].

قائمة المراجع العامة

١. **(أسس علم اللغة)**
ماريو باي، ترجمة: أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣ م.

٢. **(الخصائص)**
أبو الفتح ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، بغداد، دار الشئون الثقافية العامة، ١٩٩٠م.

٣. **(اللهجات العربية والقراءات القرآنية)**
إبراهيم أبو سكين، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، الزقازيق، ٢٠٠٦م.

٤. **(المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي).**
رمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧ م.

٥. **(تاريخ اللغات السامية)**
ولفنسون، بيروت، دار القلم، ١٩٨٠م.

٦. **(دراسات في فقه اللغة)**
صبحي الصالح، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٣م.

٧. **(علم الدلالة)**
إبراهيم أبو سكين، الزقازيق، دار الزهراء للطباعة، ٢٠٠٣م.

٨. **(علم الصوتيات، وتجويد آيات الله البينات)**
إبراهيم أبو سكين، كلية اللغة العربية، الزقازيق، جامعة الأزهر، ٢٠٠٠م.

٩. **(علم اللغة الاجتماعي)**
كمال بشر، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، ١٩٩٧م.

١٠. **(علم اللغة وصناعة المعاجم)**
علي القاسمي، جامعة الملك سعود، عماد شئون المكتبات، ١٩٩١م.

١١. (**علم اللغة**)
إبراهيم أبو سكين، الزقازيق، دار الزهراء للطباعة، ١٩٩٧ م.

١٢. (**علم اللغة**)
علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع و النشر، ١٩٧٢ م .

١٣. (**عن التعاقب والمعاقبة من الجانب الصوتي الصرفي**)
أحمد علم الدين الجندي، مقال بمجلة مجمع اللغة العربية ج ٤٠، نوفمبر ١٩٧٧م.

١٤. (**فقه اللغة في الكتب العربية**)
عبده الراجحي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م.

١٥. (**في أصول اللغة**)
رمضان عبد التواب، مقال بمجلة مجمع اللغة العربية ج ٤٠، نوفمبر ١٩٧٧م.

١٦. (**مناهج البحث في اللغة**).
إبراهيم أبو سكين، القاهرة، دار الفاروق الحديثة للطبع والنشر، ١٩٩٦م.

